علوم البلاغة

تأليف

أحمد مصطفى المراغي

من خريجي مدرسة دار العلوم ومدرس اللغة العربية والشريعة
بكلية غردون بالخرطوم

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة محمد محمد مطر بالعتبة الخضراء (بالمرور)
سنة ١٣٣٥ ــ ١٩١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ، بك المعونة والتوفيق ، ومنك الهداية لأقوم طريق ، وبنور عرفانك نستضيء ، اذا أظلمت الشبهات ، في دُجُنّة الخطوب المُدْلَهِمّات ، وبفضلك نطلب يقيناً يملأ الصدر ، ويستولي على زمام القلب ، ويملك ناصية الهوى ، ويكبت سورة النفس ، فيردها عن غيها اذا نزغت ، ويكبح جماح شهواتها اذا جمحت ، فانك أنت الوزر والملجأ ، والنصير والمعين ،

وصل ربنا ، على محمد عبدك ورسولك ، الذي آتيته الحكمة وفصل الخطاب ، وعصمته من الخطأ وألهمته الصواب ، ومننت عليه بفضيلة البيان ، فقلَجَ بقاطع حجته قول من عارضه بالزور والبهتان

وبعد فان موضع علوم البيان ، من علوم العربية ، موضع الرأس من الانسان ، واليتيمة من قلائد العقيان ، فهي مستودع سرها المصون ، ومظهر جلالها الذي لا تحيط به الظنون ، فلا فضيلة لكلام على كلام ، الا بما يحويه من لطائفها ، ويودعه من مزاياها وخصائصها ، ولا تبريز لمتكلم على متكلم ، الا بما يحوكه من وشيها ، ويلفظه من درها ، وينفثه من سحرها ، ويجنيه من يانع ثمرها ، فبهديها يسترشد الشاعر ، فيقول الشعر الأنيق ، وبمراعاتها يستعين الناثر ، فيبرز للناس الحلو الرشيق ، وبنور

مصباحها ، يميزان الخبيث من الطيب ، ويفصلان الغث عن السمين ، فلا يحوكان سفسافا مفسولا ، ولا مبتذلا مرذولا ، ولا يمزجان صفواً بكدر ، ولا يخلطان غرراً بعُرر ،

أجل ، وهي الواسطة أيضاً ، في معرفة وجه إعجاز القرآن ، ودرك ما فيه من خصائص البيان ، وتفهم براعة أسلوبه ، وانسجام تأليفه . وسهولة نظمه وسلاسته ، وعذوبته وجزالته ، واشتماله على الايجاز البديع ، والاختصار اللطيف ، الى أمثال ذلك من محاسنه ، التي أسالت على العرب الوادى عجزاً ، حتى حارت فيها عقولهم ، وقصرت عن بلوغ شأوها جهابذتهم وفحولهم ، فلم يستطيعوا سبيلا للمعارضة ، حينما سيموا خطة التحدى ، فلجئوا الى السيف والسنان ، بعد أن خرست شقاشقهم عن مقابلة البرهان بالبرهان ، وتلك حيلة من أرغم ، وعيّ فأفحم ، حتى اضطُر أمثال ذلكم المتكبر الجاحد ، والصلف المعاند ، الوليد بن المغيرة ، أن يقول فيه مقالته المأثورة ، (وَاللهِ إِنَّ لِكَلَامِهِ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُورِقٌ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ الْبَشَرِ)

فالجاهل بأسرارها ، والمحروم من اقتطاف جنى ثمارها ، لا يعرف وجه الاعجاز الا بالتقليد ، ولا يحصل علمه له الا بالسماع ، فسواء فى قضية النظر ، هو والزنجى والبربرى ، والفارسى والنبطى اذ كل أولئك يتلقونه

سماعاً بالتواتر ، ويصل اليهم علمه من مشافهة الأول الآخر ، بَيْدَ أنه لن يتسنى لناثر أو شاعر ، أن ينال هذه الحظوة ويمتاز بهذه المنقبة : الا اذا ضرب فى اللغة والادب بسهم ، وكان فيهما راسخ القدم ، اذ هما منبرح البلاغة ، ومَغْنَى الفصاحة ، والدوحة المثمرة الأغصان ، المترامية الأفنان ، والا فأنى له أن يجتنب الحُوشيّ القبيح ، والوخم المتكلّف ، وينبذ السوقى المرذول والمبتذل الذى مجّه السمع ، ويركن الى ما كان جيد السبك ، محكم النسج والحوك ، كما لا بد له من دراسة علمى النحو والتصريف ، اذ هما ، المعيار الذى لا يستبين نقصان كلام أو رجحانه ، الا اذا عرض تجاه مرآتهما ومثل أمام قضاتهما ، فمن شذ عن قانونهما فقد خدش وجه الكلام ، وكان حرياً بان توجه اليه سهام الملام ، هذا وأن توافر تلك المعدات ، لا يهيء المرء لان يكون كاتبا مبرزا ، ولا شاعرا مفلقا ، مالم يمنح حظا من سلامة الذوق ، ويؤتى قسطا من صفاء الحس ، وتلك فضيلة ، لا ينالها الا الافذاذ من الناس ، صقلت اذواقهم ، ورق شعورهم ، وسما الى الاوج خيالهم ، وصيغت من معدن الاحساس الشريف نفوسهم ، اذ ذاك تسلس لهم محاسن البلاغة ، وتنقاد لهم طرائف الفصاحة ، وتكون طوع أمرهم ونهيهم ، ونازلة على حكمهم ، يوجهونها أنى شاءوا ، وكيف اشتهوا وأحبوا .

(وبعد) فانك سترى فى النبذة التاريخية التالية ، ما طرأ على هذه العلوم من التقلبات ، من سعد او نحس فى مختلف الاوقات ، ويتضح لك : كيفية بدئها وتكونها ، ثم ترعرعها ونموها ، الى أن بلغت الاشد ، ووصلت الى الذروة

القصوى من الكمال ، ثم هرمها وشيخوختها الى أن اعتراها الوهن والضعف ؛ فازال نضارتها ورواءها ، وطمس معالم جمالها ، فلم يبق فيها الا الذماء ، والا مايتعلل به المريض حتى يتاح له الشفاء ، وفيها أيضا ترى طريقة الاولين ، ومقاصدهم فى التأليف ، ومنحى الآخرين كالسكاكى ومن شايعه من المؤلفين حتى عصرنا ، ويستبين لك منها ، أن سبيل الاولين التى نهجوها ، أن يأخذوا بيد الباحث ، ويسيروا معه حتى يلمس بطرف بنانه الخصائص ، ثم يستنتج منها القوانين والدساتير ، وان مهيع المتأخرين ؛ وضع القواعد والقوانين ، والحدود والرسوم ، ليطبقها المطلع ، على ما يقرؤه من المنثور والمنظوم ،

وجلى أن الاولى أسد فى تربية ملكة البلاغة ، وأمثل فى القبض على زمام الفصاحة ، وأن الثانية فى ضبط مسائل الفنون أحكم ، وفى الأحاطة بقواعد العلوم أقوم ؛ ولكن قلما يصيب الرامى بمزاولتها المرمى ، ويوفق الى طريق الصواب ،

ومنها أيضاً تعلم سبيل المؤلفين في هذه الفنون فى عصرنا ، ومحاكاتهم المتأخرين وجريهم على منوالهم ، واقتفاء آثارهم ، فلم يعنوا بالامثلة والشواهد ، ولم يعطوها الحظ الكافى من الاهتمام بأمرها ، حتى تشرح ما أجمل من قواعد الفن ، وتوضح ما انبهم من تلك القوانين .

ومن ثم رأينا أن نضع كتاباً يجمع بين الطريقتين ، وينال حظه من الفائدتين ، يحوي طريقة المتأخرين ، ليكون أنجع فى الدرس ، وأقرب الى

التناول ، ويشاكل منهج المتقدمين فى الشرح والبيان ؛ والاعتماد على الامثلة والشواهد ، حتى تستبين للقارىء خصائص البلاغة مجسمة ملموسة ، ولطائف الكلام مرموقة محسوسة ، ويسهل تطبيق العلم على العمل ، والاجمال على التفصيل ، وذلك أمثل الطرق ، لبنائه على قواعد علم النفس ، من تعويد الناظر الركون الى الوجدان والحس ،

فاذا كنا قد وفقنا الى ما قصدنا ، وهدينا الى الغرض الذى توخينا ، فذلك الفضل من الله ، وان كنا تنكبنا عن جادة الحق ، وأخطأنا شاكلة الصواب ، فليغض القارىء الطرف عما يراه من الهفوات ، ويعثر عليه من الزلات ، فان الطريق وعر ، والمركب غير ذلول ، وقديما قال الأول ، كَفَى المَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ ، وليعلم باْنا لم ندخر وسعاً فى تمحيص ما كتبنا وتهذيبه ؛ وتنقيح ما رتبنا وتجويده ، بعد أن قضينا وقتاً طويلا فى البحث والتنقيب ، فى الأمهات المؤلفة فى هذه الفنون وفى غيرها ، للمتقدمين والمتأخرين ، واطلعنا على الرسائل التى صنفها معاصرونا ومن تقدمهم بقليل ؛ جزى الله الجميع خيراً ، وعلى الله التكلان وبه المستعان

فى ٢٤ رجب سنة ١٣٣٤ احمد مصطفى

المراغى

نبذة فى تاريخ علوم البيان او علوم النقد او علوم البلاغة

(١) الحاجة الى وضع قواعدها

اشتعلت نار الجدل صدر الدولة العباسية فى أعجاز القرآن ووجوهه ردحا من الزمن غير قليل بين أئمة الادب وأقطاب علم الكلام واشتد أوارها واندلع لهيبها وتطاير شررها الى أرجاء البلاد الاسلامية

ذلك من قِبَل أنهم اختلفوا طرائق قِدَدا وتفرقوا أيدى سبا وتعددت نزعاتهم وتضاربت مذاهبهم وآراؤهم فى بيان وجه الاعجاز كما هو مسطور فى زُبُر المتكلمين

وكان أبعدها عن الصواب رأى النظام الذى شذ به فى أن القرآن لم يكن معجزا لفصاحته وبلاغته أذ ان العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثله ولكن الله صرفهم عن ذلك تصديقا لنبيه وتأييدا لرسوله حتى يؤدى رسالات ربه

فانبرى للرد عليه الجم الغفير من العلماء وناضلوا نضالهم المحمود الذى خلد لهم فى بطون الاسفار وبقى شاهدا على فضلهم وأصالة رأيهم وأخلاصهم فى الذود عن حوزة الدين الحنيف

ومن أولئك السادة القادة الجاحظ والباقلانى والفخر الرازى وغيرهم فقد كتبوا الفصول المُمْتعة فى بيان وجه الاعجاز وأبانوا خطل رأيه وفساد مذهبه بما أملته عليهم قرائحهم الوقادة وأفكارهم النقادة حتى لم يبق فى القوس مَنْزع ولا زيادة لمستزيد .

كذلك قامت سوق نافقة للحجاج والمناظرة بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر القديم الذين يحتجون له ويبرهنون على ما له من المزايا والمناقب ، والأدباء والشعراء . أنصار الشعر المحدث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم من العرب اذ رأوا أنهم في حل من كل قديم لا يشاكل بيئة الحضارة التي غذوا بلبانها وربوا في أحضانها ولم يكن العرب ليحلموا بها من قبل، ولو أن القدر المقدور أتاح لهم أن يروا زخارف تلك المدنية وطرائف لطائفها لكان لهم شأن في آدابهم ومنهج أساليبهم غير شأنهم هذا.

أضف الى تلك الضوضاء وذلك اللجب ، ما شجر من الخلاف بين أئمة الأدب وأساطينه في بيان وجوه تحسين الكلام حتى يرقى الى سلم البلاغة وينال قسطه من الفصاحة ، وفي أن أى الامرين أجدر بالرعاية أهو اللفظ أم المعنى وتناقضت آراؤهم في ذلك أيما تناقض ففريق مال الى رصين الكلام الجامع بين العذوبة والجزالة وفريق أولع بالمنمق الموشى المشتمل على صنعة البديع ، يرشدك الى ذلك ما تراه في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ هـ من حكمه على تلك الابيات المشهورة بأنها مونقة خلابة فاذا أنت فتشت دخيلة أمرها لم تحل منها بطائل

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ المَهَارَى رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

ثم جاء بعده أبو هلال العسكري ونقد حكمه في كتاب الصناعتين وخلفه واتهم ذوقه ، ووافقه على نقده أبوالفتح بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ ﻫ في كتاب الخصائص ألى غير ذلك من مختلف الآراء مما لسنا بصدد سرده الآن

كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة ألى أن يضعوا قوانين وضوابط يحاكمون اليها عند الاختلاف وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب منثورها ومنظومها ، وكان منشأ البحث في علوم البيان

(٣) أول من دون في هذه العلوم

رأى بوادر هذا الخلاف أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني أمام الادباء وسلطان المنشئين والكتاب في عصره والقدوة في أساليبه التي اختص بها وتحداه فيها الأئمة من بعده المتوفى سنة ٢٥٥ ﻫ

فعني في كتابه (البيان والتبيين) في الأدب والانشاء والخطابة بدرس مسائل من هذه الفنون كثر ولوع القوم بها في عصره كبيان معنى الفصاحة والبلاغة ، وحسن البيان والتخلص من الخصم ، وحسن الاسجاع — وغني عن البيان أن المتكلم بداءة ذي بدء في أي فن لا يحيط بأطرافه ولا يتغلغل في استقصاء مباحثه ، لا سيما اذا لم يضع مؤلفه خصيصي بالنظر في قواعده بل جاء كلامه فيها عرضاً استتبعه البحث فيما هو بصدده من مقاصد كتابه

ثم قفاه عبدالله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة ٢٩٦ ﻫ فاستقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتاباً ترجمه باسم البديع ذكر فيه سبعة

عشر نوعا من البديع منها الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس والسجع الى غير ذلك ، وقال ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني الى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليفعل ، ومن رأى اضافة شيء من المحاسن اليه فله اختياره .

ومن البين أن اسم البديع بهذا الاطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان ، وأن ابن المعتز يعد واضع أساس هذه العلوم

ثم ألف معاصره قُدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتاباً فى نقد الشعر سماه (نقد قدامه) ذكر فيه ثلاثة عشر نوعا من البديع زيادة على ما أملاه ابن المعتز فتممها ثلاثين نوعا

تلا هؤلاء أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وألف كتابه (الصناعتين) صناعتى النثر والنظم جمع فيه خمسة وثلاثين نوعا من البديع ، وبحث فيه عن عدة مسائل أخرى كالفصاحة والبلاغة والايجاز والاطناب والحشو والتطويل وعدة أبواب فى نقد الشعر الى غير ذلك من جليل المباحث

وكتابه يعتبر أول مصنف أشير فيه الى مسائل علوم البيان الثلاثة (المعانى والبيان والبديع)

(٣) الامام عبد القاهر ورقى هذه العلوم بتآليفه

تمخض القرن الخامس فولد نادرة البطون ونابغة البلغاء وأمام جلبة الفصحاء وأوحد المتأدبين الامام أبا بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجانى

المتوفى سنة ٤٧١ هـ الذى نظر يمنة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون الا نتفا مبعثرة لا تسمن ولا تغنى من جوع فشمر عن ساعد الجد وجمع متفرقاتها وأقام بناءها على أساس متين ، وركز دعائمها على أرض تجدد لا تنهار وأملى من القواعد ما شاء الله أن يملى فى كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وجعلها دانية للناظرين وأوضح براهينها ورتب أثافيها وفتح أزهارها من أكمامها وفتق أزرارها بعد استبهامها وأحكم بيانها بضرب الأمثلة والشواهد حتى أناف بها على اليفاع وقرن فى كتابيه بين العلم والعمل لانه (وهو الناقد البصير) لا يعزب عنه أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار ألا بكثرة الامثلة والنماذج اذ الصور الاجمالية المأخوذة من القواعد ان لم تؤيد بالصور التفصيلية التى تستفاد من المسائل ، لا يكون للعلم الاثر المحمود ولا تنجلى حقيقته ولا تمثل فى الاذهان حق التمثيل ، وقدساعده على ذلك ما آتاه الله من عذوبة البيان وما تحلى به قلمه من الطلاوة الخلابة والبلاغة الساحرة للالباب

(٤) الامام جار الله الزمخشرى

جاء أثر عبدالقاهر أستاذ المفسرين جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وألف تفسيره الكشاف نحا فيه نحو الغرض المقصود من تفسير التنزيل وهو أظهار أعجازه ببيان وفاء دلالته على المراد ومراعاته مقتضيات الاحوال وكشفُ ما فيه من الخصائص والمزايا التى استأثر بها حتى بلغ مرتبة الاعجاز وحتى تحدى البشر بأنهم لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم

لبعض ظهيرا

وغنى عن البيان أنه لن يصل الى تلك المنزلة ألا من آتاه الله فطرة سليمة ورأيا حصيفاً وفكراً ثاقباً وبرهاناً ساطعاً وقلماً أطوع له من بنانه فيتاح له بواضح برهانه وبديع بيانه أن يوضح خصائص التراكيب ولطائف الاساليب التي هى من أسرار التنزيل ، وبذا أبان فى عرض كلامه كثيراً من قواعد هذه الفنون التى اتخذها من جاء بعده دستوراً للكلام على كثير من مسائلها

(٥) أبو يعقوب يوسف السكاكى

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وألف كتابه مفتاح العلوم وجمع فى القسم الثالث منه زبدة ما كتبه الائمة قبله ونظم تلك اللآلئ المتفرقة فى ثنايا كتبهم وأحاط بكثير من تلك القواعد المبعثرة فى الامهات ورتبها أحسن ترتيب وبوبها خير تبويب لما كان له من واسع الاطلاع علي علوم المنطق والفلسفة ، وفصل فنون البيان الثلاثة بعضها عن بعض وميزها تمييزاً تاماً

ولولا ان مؤلفه قد فت في عضده حب الفلسفة وأولع بتطبيق أساليب العرب وما فيها من الخصائص والمزايا على علوم اليونان واصطلاحاتهم على ما بينهما من بعد الدار وشط المزار واختلاف البيئات وتباين المعتقدات ، لكان خير كتاب أخرج للناس لجمعه شتات هذه العلوم وما تفرق من قواعدها

وقد اختصره مؤلفه فى كتاب آخر سماه التبيان ، ولخصه غيره من

المتأخرين فى أمهات مشهورة كما فعله ابن مالك فى كتابه المصباح والخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في كتابيه تلخيص المفتاح وشرح الايضاح ، والاخير مؤلف جليل جمع فيه مصنفه خلاصة المفتاح ودلائل الاعجاز وأسرار البلاغة وغيرها

(٦) الوزير ضياء الدين المعروف بابن الاثير

بينا كان السكاكى يؤلف كتابه مفتاح العلوم أذا بالوزير ضياء الدين أبى الفتح نصر بن محمد الموصلى الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ وهو وزير الملك الافضل ابن صلاح الدين الايوبى ، يصنف كتابه (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) وهو كتاب فريد فى بابه متفوق على أنداده وأترابه لم ينسجه على مثال سبق ولم يحذ فيه حذو سلف، جمع فيه فأوعى ولم يترك شاردة ولا واردة لها مساس او صلة بالكتابة والقريض ألا ذكرها بشرح واف دل على طول باعه وسعة اطلاعه ، مع قدرة فائقة على النقد وبديهة حاضرة فى أدراك خصائص البلاغة

ومن ثمة اشتمل كتابه على المهم من أبواب تلك الفنون وطبق عليها كثيرا من آي الكتاب الكريم والسنة النبوية ، وتلك منقبة امتازبها من بين المؤلفات فى تلك العلوم ، ونخصة لم يشاركه فيها غيره ، وقد أكثر فيه من التقاليد والرسائل التى دبجها يراعه وخطها قلمه ، وقارن بينها وبين كتابة غيره من الكتاب والمنشئين

وكان يحاكى فى أسلوبه أسلوب القاضى الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وزير

صلاح الدين الايوبى (على ما بينهما من شاسع البون) وطريقة القاضى معروفة مشهورة بين المتأدبين ، وهى من النوع الذى يغلب عليه السجع والجناس وغيرهما من المحسنات اللفظيه ، وكانت براعة الكتاب فى هذا العصر وما بعده تظهر فى تلك الطلاوة اللفظية وبها يتفوق كاتب على كاتب

(٧) عصور الشروح والحواشى

طفق المؤلفون من القرن الثامن فما بعده يؤسسون الشروح والحواشى على المفتاح وتلخيصه للقزوينى ، وصرفوا جل همهم فى التفسير ، وايضاح ما أشكل من عبارات المؤلفين والجمع بين ما تناقض من آرائهما

ومن أجلّ تلك الشروح عليهما شروح سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ وشروح وحواشى السيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ثم تتابعت التقارير والحواشى توضح ما انبهم من تلك التراكيب المجملة

وليس علينا غضاضة فى التصريح بأن أساليب التأليف فى تلك العصور قد ملكت عليها العجمة أمرها ، وجلبت عليها أنواع التعقيد بخيلها ورجلها ، فلم تكن هى الاساليب التى كان يجدر أن تكتب بها علوم البلاغة ، وبالاحرى علوم خصائص اللسان العربى المبين ، ومن ثمة لم يكن القارئ لها ليجعلها قدوة فى تراكيبها أو نماذج فى أساليبها ، فهى أحرى أن تكون أساليب اصطلاحية علمية لا لغوية أدبية تشرح خصائص كلام العرب وتبين مزايا أساليبه ، وما زالت تتدلى وتتدهور حتى وصلت الى ما نراها اليوم تتضاءل فى أطمارها البالية وتنزوى أمام أهل الجيل الحاضر

(٨) مبلغ التآليف في هذه الفنون في عصرنا

أنشئت المدارس العالية والثانوية بمصر نهاية القرن الغابر وسلكت في التربية والتعليم طريقا سويا لا مشاكلة بينه وبين ما تقدمه في معاهد العرفان ، وكان في مقدمة تلك المدارس التي شيدت مدرسة دار العلوم من نحو نيف وأربعين سنة فرطت فألف أساتذتها مختصرات تناسب تلك البرامج المدرسية ، ويسهل على الطلبة أن يحصلوا على بغيتهم من هاتيك الفنون في تلك الفترات القصيرة ، فحمد الناس لهم جميل صنعهم وأوفوهم حقهم في الثناء والتقريظ مقدار ما كان لمؤلفاتهم من الميزة إبان ظهورها

وفي الحق أن تلك الرسائل وإن اختلف ترتيبها وتنوع تبويبها نحت على الجملة في أسلوبها منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشراحه ، وسارت على خطاهم واحتذت مثالهم حذو القذة بالقذة (وهو هو على ما عرفت) فضلا على خلوها من الامثلة المتنوعة التي تتضح بها مجملات تلك القواعد

وأفضل تلك المختصرات كتاب (دروس البلاغة) فهو على إيجازه الذي لوحظ فيه حال النشء الذين عمل لنفعهم واستفادتهم وهم في بدء تحصيل مختلف العلوم ، كفيل بتصوير القواعد في أذهانهم جهد المستطاع ، وبالله التوفيق وعليه الاعتماد

مقدمة

(فى حقيقة الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وما شاكل ذلك لغة واصطلاحا)

للفصاحة لغة معان متعددة كلها تشف عن الظهور والابانة . منها فَصُحَ اللبن وأفصح اذا أخذت عنه الرغوة قال نَضْلة السُّلَمِى (وتحتَ الرَّغوةِ اللبنُ الفَصِيحُ [1]) وأفصح الصبح بدا ضوؤه ومنه المثل (أفْصَحَ الصُّبْحُ لِذِى عَيْنَيْنِ [2]) وهذا يوم مُفْصِح وفَصْح لا غيم فيه ولا قُرّ، وأفصح الاعجمى بالعربية وفصُح لسانه بها اذا خلصت لغته من اللُّكْنة وفى التنزيل (وَأَخِى هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا) اى ابين منى قولا

والبلاغة لغة الوصول والانتهاء من قولهم بلغتُ الغاية اذا انتهيت اليها ومبلغ الشىء منتهاه . ورجل بليغ وبِلْغ وبَلْغ حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما فى قلبه . وبَلُغ بالضم بلاغة صار بليغا . وتبالغ فى كلامه تعاطى البلاغة وما هو ببليغ . وتبالغ به الفرح او الحزن تناهى

أما فى اصطلاح علماء البلاغة فقد تشعبت فيهما آراؤهم وتباينت مذاهبهم ولكن اشهرها رأيان

(١) الرأى الاول للامام عبدالقاهر الجرجانى وجمع من المتقدمين وهو أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات وانما يوصف بها الكلام بعد توخى [3] معانى النحو فيما بين الكلم

(١) يضرب مثلا للامر ظاهره غير باطنه (٢) يقال للشىء ينكشف بعد استتاره

(٣) الطلب والتحرى

حسب الاغراض التى يصاغ لها وألى ذلك أشار فى دلائل الاعجاز فى مواضع عدة منها قوله

فصل فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ماشاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد . ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجرى مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية أليه دون المعنى . غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة . ثم قال ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذى هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نُبْلا ويظهر فيه مزية .

وقال قبله صاحب الصناعتين أبو هلال العسكرى . الفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد وأن اختلف أصلاهما لان كل واحد منهما أنما هو الابانة عن المعنى والاظهار له. وقال الرازى فى نهاية الايجاز . وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما . ويشهد لذلك قول الجوهرى فى الصحاح الفصاحة البلاغة

وعلى هذا الرأى فرجعهما وما شاكلهما النظم والكلام دون الالفاظ المجردة والكلمات المفردة

(٢) الرأى الثانى للمتأخرين كالسكاكى والخطيب القزوينى وابن الاثير . وخلاصته أخراج الفصاحة من كَنَف[١] البلاغة وجعلها اسما لما كان بنجوةٍ[٢] من تنافر الحروف وغرابة الالفاظ ومخالفة ما ثبت عن الواضع الى آخر ماسنذكره بعد . وجعل البلاغة اسما لما طابق مقتضى الحال مع الفصاحة

وعليه فالبلاغة كلٌّ الفصاحة جزؤه . وعليه ايضا فالفصاحة من صفات المفرد كما هى من صفات المركب حسب الاعتبارات الآتية

والى نحو من هذا أشار صاحب الصناعتين حيث قال . وقيل الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ لان الآلة تتعلق باللفظ . والبلاغة أنما هى أنهاء المعنى الى القلب فكانها مقصورة على المعنى

وها نحن نشرحهما لك على الرأى الاخير على تشعب أطرافه واختلاف مناحى القول فيه . وبالله الهداية والتوفيق

الفصاحة

الفصاحة تقع وصفا للمفرد والكلام والمتكلم

فصاحة المفرد

فصاحة المفرد تحقق بسلامته من عيوب خمسة

(١) تنافر الحروف
(٢) غرابة اللفظ
(٣) مخالفة القياس
(٤) الكراهة فى السمع
(٥) الابتذال

---

(١) الناحية والجانب والظل (٢) تقول أنت بنجوة من كذا اذا كنت بعيدا

(تنافر الحروف) صفة فى الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها . وليس موجبه كما قيل قربَ مخارج الحروف حتى يحكم بالتنافر عند وجوده . فأن لفظة الجيش أو الشجر او الفم حسنة مع أن حروفها متقاربة المخارج . ولفظة ملع (بمعنى اسرع) قبيحة مع أن حروفها متباعدة المخارج . ولا طولَ الكلمات وقصرها فان فى القرآن الفاظا طوالا وهى فصيحة نحو . فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ . لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ

أنما الحكم العدل فى ذلك هو الذوق والشعور النفسى الذى تنتجه مزاولة أساليب البلغاء ، ولكن يمكن تقريب القول فى ذلك بان أصول الابنية لا تحسن ألا فى الثلاثى وفى بعض الرباعى نحو تَذَبْ وعَسْجَد . أما الخماسى الاصول فانه قبيح كصَهْصَلِق [1] وجَحْمَرِش [2] وما جرى مجراهما . ومن ثمة لم يوجد شىء من هذا الضرب فى القرآن الكريم ألا ما كان مُعَرَّبا من أسماء الانبياء كابرهيم واسماعيل ، وهو ضربان .

(١) شديد كلفظة الظَّشِّ [3] والهُعْخُع [4] فى قول بعض العرب عن ناقته تركتها ترعى الهعخع

(٢) وخفيف كالنُّقَاخ وهو العذب الصافى من الماء ومستشزرات من قول امرئ القيس

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُلَا ... تَضِلُّ المَدَارَى فِى مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

---

(١) العجوز والشديد من الاصوات (٢) العجوز والارنب الضخمة
(٣) الموضع الخشن (٤) شجر

والضمير فى غدائره يرجع الى فرع فى قوله

وَفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ ... أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ(١)

(الغرابة) أن يكون اللفظ حوشياً غير مألوف الاستعمال ولا ظاهر المعنى بالنسبة الى خلّص العرب لا بالنظر الى المولدين لان كثيراً مما فى المعاجم غريب عندهم ، وهى قسمان

(١) ما يعاب استعماله لاحتياج الى بحث وتنقيب فى كتب اللغة فتارة يعثر عليه كهمرجلة وشيظم وزيزيزم فى قول ابن جحدر

حَلَفْتُ بِمَا أَرْقَلَتْ حَوْلَهُ ... هَمَرْجَلَةٌ خَلْقُهَا شَيْظَمُ

وَمَا شَبْرَقَتْ مِنْ تَنُوفِيَّةٍ ... بِهَا مِنْ وَحَى الجِنِّ زِيزَيزَمُ

الارقال ضرب من السير والهمرجلة الناقة السريعة والشيظم الشديد الطويل من الابل والخيل وشبرقت قطعت والتنوفة والتنوفية المفازة والوحى الصوت الخفى وزيزيزم حكاية أصوات الجن أذا قالت زى زى على زعمهم . يريد أنه حلف بما سارت حوله الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق وما قطعت من مفازة لا يسمع فيها ألا أصوات الجن .

وكجحيش بمعنى فريد فى قول تأبط شراً

---

(١) الاستشزار الارتفاع والرفع فيستعمل فعله لازماً ومتعدياً والغدائر الذوائب والمدارى جمع مدراة وهى شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد والمثنى المفتول والمرسل ضده والفرع الشعر والاثيث الكثير والقنو العنقود والمتعثكل المتراكم والمتن الظهر والمراد وفور شعرها

يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جُحَيْشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ المَسَالِكِ (١)

وكجفخ الجافة الكزة المريرة الطعم في قول المتنبي

جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيَمٌ عَلَى الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلَائِلُ (٢)

وطورا آخر لا يعثر عليه كلفظة جحلنجع قال في اللسان قال ابو تراب كنت سمعت من أبي الهميسع حرفا وهو جحلنجع فذكرته لشمر بن حمدويه وتبرأت اليه من معرفته وكان أبو الهميسع من أعراب مدين لا نفهم كلامه وأنشدته ما كان أنشدني

إِنْ تَمْنَعِي صَوْبَكِ صَوْبَ المَدْمَعِ يَجْرِي عَلَى الخَدِّ كَضِئْبِ الثَّعْثَعِ

وَطَمْحَةٍ صَبِيرُهَا جَحْلَنْجَعِ لَمْ يَحْضِهَا الجَدْوَلُ بِالتَّنَوُّعِ (٣)

قال في المثل السائر ومن الغريب ما يعاب استعماله في النثر دون النظم كلفظة مُشْمَخِرّ في أبيات بشر في وصف الاسد

وَأَطْلَقْتُ المُهَنَّدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدَّ لَهُ مِنَ الأَضْلَاعِ عَشْرَا

فَخَرَّ مُضَرَّجًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرَّا (٤)

---

(١) الموماة المفازة ويقال للمستبد برأيه جحيش وحده بالتصغير عند ارادة الذم ويقال اعروري الفرس ركبها عريانا (٢) جفخت فخرت والشيم الاخلاق وتقديره فخرت بهم شيم دلائل على الحسب الاغر وهم لا يفخرون بها ففيه التعقيد اللفظي أيضاً كما سيجيء (٣) الصوب المطر المنصب والضئب حب اللؤلؤ والثعثع اللؤلؤ والطمحة النظرة والصبير السحابة البيضاء وحضا النار حركها والجدول الامر والنهر والتنوع تحريك الريح الغصن والتذبذب وصيرورة الشيء أنواعاً (٤) قد قطع والمضرج

ولفظة الشدنية وهي ضرب من النوق في قول أبي تمام

يَا مُوضِعَ الشَّدَنِيَّةِ الوَجْنَاءِ　　وَمُصَارِعَ الإِدْلَاجِ وَالإِسْرَاءِ (١)

ثم قال . واعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور يسوغ استعماله في المنظوم دون العكس وذلك شيء استنبطته ودلني عليه الذوق

وقال الجاحظ في البيان والتبيين . ورأيت الناس يديرون في كتبهم أن امرأة خاصمت زوجها الى يحيي بن يعمر فانتهرها مراراً فقال له يحيي . أَأَنْ سَأَلَتْكَ ثَمَنَ شَكْرِهَا وَشَبْرِكَ أَنْشَأْتَ تَطُلُّهَا وَتَضْهَلُهَا .(٢) فان كانوا قد رووا هذا الكلام لكي يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة البلاغة . وأن كانوا فعلوا ذلك لانه غريب فأبيات من شعر العجّاج والطرمّاح تأتي لهم مع الوصف الحسن على أكثر من ذلك

(٢) الضرب الثاني مايحتاج الى أن يُخَرَّج على وجه بعيد نحو مسرّجا وصفا للانف في قول رؤبة

أَيَّامَ أَبْدَتْ وَاضِحاً مُفَلَّجَا　　أَغَرَّ بَرَّاقاً وَطَرْفاً أَبْرَجَا

وَمُقْلَةً وَحَاجِباً مُزَجَّجَا　　وَفَاحِماً وَمَرْسِناً مُسَرَّجَا (٣)

الملاح بالسم والمشمخر العالي (١) الأيضاع نوع من السير والوجناء عظيمة الوجنتين والادلاج والاسراء من سرى الليل (٢) الشكر بفتح الشين وكسرها الفرج والشبر النكاح وضهل فلان حقه نقصه وطله مطله (٣) الضمير في أبدت يعود الى محبوبته ليلى في البيت قبله وواضحاً أى سنا واضحة والفلج تباعد ما بين الاسنان والأغر الأبيض والبريق اللمعان والبرج بالتحريك عظم العين وحسنها والتزجيج التدقيق مع تقويس

فالمرسن الانف ولا يُدرى ما ذا أراد بوصفه بمسرج ولذا اختلف فيه أئمة اللغة فابن دُرَيد قال هو من قولهم للسيوف سُرَيْجيّة اى منسوبة الى حداد يسمى سريجا فهو يريد تشبيهه بالسيف السريجي فى الدقة والاستواء وابن سيده قال هو من السراج فهو يقصد أنه شبيه به فى البريق واللمعان وهذا قريب من قولهم سرِج وجهه بالكسر اى حسُن وسرج الله وجهه بهجه وحسنه وعلى كلتا الحالين فهو غير ظاهر الدلالة على ذلك المعنى لان مادة فعّل بالتشديد أنما تدل على مجرد نسبة شيء الى شيء لا على النسبة التشبيهية فدلالتها عليها بعيدة

(مخالفة القياس) يراد بها مخالفة القياس المستنبط من تتبع مفردات اللغة كوجوب الاعلال فى نحو قام والادغام فى نحو مدّ والحذف فى نحو قل وبع والابدال فى نحو ميعاد والجموع التى تطرد فى أوزان مخصوصة . فلو قيل مدد لم يكن فصيحاً وعلى حد هذا جاء قول أبى النجم

الحَمْدُ للهِ العَلِيّ الأَجْلَلِ أَنْتَ مَلِيكُ النَّاسِ رَبّاً فاقْبَلِ

وقول قَعْنَب بن أمّ صاحب

مَهْلاً أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي أَنِّي أَجُودُ لأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنِنُوا

كما ليس من الفصيح استعمال همزة القطع بدل همزة الوصل وعليه جاء قول جميل

وفاحماً شعراً أسود كالفحم

أَلاَ لاَ أُرَى إِثْنَيْنِ أَحْسَنَ شِيمَةً ... عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْلِ (١)

ولا عكسه كقول المتنبي

وَتَسْطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ ... طِلاَبُ الطَّالِبِينَ لاَ الاَنْتِظَارُ

فينبغي تجنب هذه الضرورات وأمثالها لانها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائه (٢) قال صاحب الصناعتين وأنما استعملها القدماء لانهم كانوا اصحاب بداية والبداية مزلة مع أن أشعارهم لم تكن تنقد عليهم ولو نقدت كما تنقد على شعراء هذه الازمنة ويُبَهْرَجُ (٣) من كلامهم ما كان فيه أدنى عيب لتجنبوها

وقال صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه .ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والاعلام الحجة لوجدت كثيراً من اشعارهم معيبة مترذلة ومردودة منفية لكن هذا الظن الجليل ستر عليهم ونفى الظنة عنهم فذهبت الخواطر فى الذب عنهم كل مذهب وقامت فى الاحتجاج لهم كل مقام .

ويستثنى من ذلك ما ثبت عن الواضع من الشواذ نحو أبى (٤) يأبى وعور (٥) واستحوذ (٦) وقطط (٧) شعره

---

(١) الشيمة الخلق والحدثان نوائب الدهر وجمل فرسه أو جمله (٢) حسنه ورونقه (٣) البهرج الباطل والردئ (٤) قياس مضارعه الكسر لان المفتوح العين لا يكون الا اذا كانت عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع (٥) القياس فيه عار لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها (٦) القياس استحاذ بمعنى غلب (٧) تجعد

(الكراهة فى السمع) هى أن تمج الفاظ الكلمة الاسماع وتأنف منها الطباع لوحشيتها وغلظتها كالجرِشّى بمعنى النفس فى قول أبى الطيب يمدح سيف الدولة

مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ　　كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ (١)

وكالنقاخ فيما أنشده شمر

وَأَحْمَقَ مِمَّنْ يَلْعَقُ المَاءَ قَالَ لِي　　دَعِ الخَمْرَ وَاشْرَبْ مِنْ نُقَاخٍ مُبَرَّدِ (٢)

لكنّ البصير بصنعة الكلام يعلم أن استثقال الطبع لما يسمع أنما يتصور عادة بكونه وحشياً غريبا ففى ذكر الغرابة غنية عن ذكرها

(الابتذال) قال فى المثل السائر وذلك بأن يكون اللفظ مبتذلا عاميا وساقطا سوقيا وهو على ضربين

(١) ما لم تغيره العامة عن معناه اللغوى ألا أنها استعملته دون الخاصة فابتُذِل وسخف وانحطت رتبته بتناول العامة أياه وصار من استعمله من الخاصة ملوما وذلك كلفظة الخازِ بازِ فى قول ابى الطيب

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ　　شُعَرَاءُ كَأَنَّهَا الخَازِبَازُ (٣)

وهذا من مضحكات الاشعار ومن جملة البِرْسام الذى ذكره فى قوله

---

(١) مبارك الاسم لان اسمه على وهو من العلو ويتبرك به لمكان على بن أبي طالب وأغر اللقب مشهوره لانه سيف الدولة　(٢) يلعق يلحس والنقاخ العذب من الماء　(٣) يمدح علياً الكاتب بانه نقادة الكلام يعرف الشعر وغيره يجوز عليهم شعراء يهذون كانهم طنين الذباب وهو الخازباز وهو اسم مركب من خاز وباز　وقصر

أَنَّ بَعْضًا مِنَ القَرِيضِ هُذَاءٌ لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضَهُ أَحْكَامُ
فِيهِ مَا يَجْلُبُ البَرَاعَةَ وَالفَهْـــمُ وَفِيهِ مَا يَجْلُبُ البِرْسَامُ (١)

(١) ما غيرته العامة عن وضعه اللغوي كـكلمة الظَّرْف فانها مختصة بنطق اللسان والحلاوة فانها مختصة بالعينين فغيرتهما العامة عن موضعهما ونقلتهما الى أعم من ذلك وممن غلط فى استعمالهما أبو تمام فى قوله

أَلَكَ هَضْبَةُ الحِلْمِ الَّتِي لَوْ وَازَنَتْ أَجَأً إِذَا ثَقُلَتْ وَكَانَ خَفِيفَا
وَحَلَاوَةُ الشِّيَمِ الَّتِي لَوْ مَازَجَتْ خُلُقَ الزَّمَانِ الفَدْمِ عَادَ ظَرِيفَا (٢)

فوصف الشيم بالحلاوة وهى وصف للعينين وخلق الزمان بالظرف وهو وصف للمنطق

تدريب

بين الكلمات التي أخلت بفصاحة ما يأتي واذكر وجه ذلك

كتب بعض أمراء بغداد حين مرضت أمه رقاعا وطرحها فى المسجد الجامع قال فيها

صِينَ امْرُؤٌ وَرُعِيَ ، دَعَا لِامْرَأَةٍ إِنْقَحْلَةٍ مُقْسَئِنَّةٍ ، قَدْ مُنِيَتْ بِأَكْلِ الطِّرْمُوقِ فَأَصَابَهَا مِنْ أَجْلِهِ الاسْتِمْصَالُ أَنْ يَمُنَّ اللهُ عَلَيْهَا بِالاطْرِغْشَاشِ (١)

---

(١) القريض الشعر والهذاء الهذيان والاحكام جمع حكم بمعنى الحكمة والبرسام التهاب الصدر (٢) الهضبة الرابية وأجا جبل والفدم الغليظ الاحمق الجافى

(٣) انقحلة يابسة ومقسئنة مسنة عجوز ومنيت ابتليت والطرموق الخفاش والاستمصال

فكان كل من يقرأ رُقعته يسلقه بألسنة حداد ، وخرج رجل من الكوفة الى ضَيْعَة له على حِجْر معها مُهر فأفلتتْ ، فذهبت ومعها مهرها ، فخرج يسأل عنها فمر بخياط فقال له

يا ذَا النِّصَاحِ وَذَاتَ السُّمِ الطَّاعِنَ بها في غيرِ وَغًى لِغيرِ عِدًى ، هلْ رَأيتَ الخَيْفَانَةَ القَبَّاءَ ، يَتْبَعُها الحاسِنُ المُسَرْهَفُ ، كأَنَّ غُرَّتَهُ القمرُ الازهرُ ، يُنيرُ في حُضْرِهِ كالخُلَّبِ الاجْرَدِ ، فقال له الخيَّاطُ اطلُبْها في ترلاج (١) ، فقال ويحك ماتقول ، قبحكَ اللهُ ، فإنّي ما أعرفُ رَطَانتكَ ، قال لعنَ اللهُ أبغضَنا لفظًا وأخطأَنا مَنطقًا

وقال الجاحظ مر ابو علقمة النحوي ببعض طرق البصرة فهاجت به مِرَّةٌ فوثب عليه قوم يعضُّون أبهامه ويؤذِّنون في أذنه فأفلتَ من أيديهم وقال

مَالَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ عليَّ كما تَكَأْكَئُونَ على ذِي جِنَّةٍ افرنقعوا عَنِّي (٢)

فقال بعضهم دعوه فأن شيطانه يتكلم بالهندية ، وقال أبو علقمة يوما لحاجمه اشدُدْ قصبَ المَلَازِمِ ، وأرهِفْ ظُبَاتِ المَشَارِطِ ، وأَمِرَّ المَسْحَ ، واستَنْجِلِ

---

(١) النصاح الخيط وذات السم الابرة والخيفانة الفرس الطويلة والقباء الدقيقة الخصر الضامرة البطن والحاسن من حسن يحسن والمسرهف المنعم والخلب السحاب لا مطر فيه والاجرد القصير الشعر رقيقه وترلاج لم نقف لها على معنى ويظهر من سياق الحديث أنها خالية من المعنى (٢) تكأكأ اجتمع وافرنقع ذهب وفي الاول تنافر الحروف وفي الثاني غرابة وتنافر وذو الجنة المجنون الاسهال والاطرغشاش البرء

الرَّشْحَ ، وَخَفِّفِ الوَطْءَ ، وَعَجِّلِ النَّزْعَ ، وَلا تُكْرِهَنَّ أَبِيًّا ، وَلاَ تَرُدَّنَّ أَتِيًّا ، فقال له الحجّام ليس لى علم بالحروف (١) وقال الفرزدق

وَإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ ... خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ (٢)

وقال المتنبى

فَلاَ يُبْرَمُ الأَمْرُ الذى هوَ حَالِلٌ ... ولا يُحَلَّلُ الأَمْرُ الذى هوَ يُبْرِمُ

وقال الآخر

إِنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَهْ ... مَالِيَ فى صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدَدَهْ

وقال جميل

إِذَا جَاوَزَ الإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ ... بِنَشْرٍ وَتَكْثِيرِ الوُشَاةِ قَمِينُ (٣)

وقال ابن نُبَاتة فى خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة ، اقْمَطَرَّ وَبِالُهَا ، وَاشْمَخَرَّ نَكَالُهَا ، فما سَاغَتْ وَلاَ طَابَتْ ، (٤) وقال الآخر

يَوْمٌ عَصَبْصَبٌ وَهِلَّوْفٌ مَلاَ السَّجْسَجَ طَلاً (٥)

---

(١) اللازم جمع ملزم وهى الخشبة التى يصقل عليها وأرهف رقق والظبات جمع ظبة وهى متن السيف والمشارط جمع مشرط وهو مبضع الحجام الذى يشرط به الجلد واستعجل الرشح استخرج النز والأبى الممتنع والأتى الجائى والحروف هنا اللغة
(٢) جمع نواكس على فواعل ومفرده ناكس وهذا لا يجوز الا فى وصف لمؤنث عاقل كحائض أو لمذكر لما لا يعقل كصاهل وهنا لمن يعقل (٣) قمين حقيق به
(٤) اقمطر اشتد والوبال الثقل والوخامة واشمخر طال وهى معيبة نثراً لا نظماً
(٥) العصبصب الشديد الحر والهلوف الذى يستر غمامه شمسه والسجسج الارض السهلة

وقال أبو تمام

قد قلتُ لمّا اطلخمّ الامرُ وانبعثتْ عشواءُ تاليةً غُبْساً دهاريسا (١)

وقال أيضاً في وصف فرس

نِعمَ متاعُ الدُّنيا حَباكَ به أروعُ لا جيدرٌ ولا جِبْسُ (٢)

وقال زهير

تَقيٌّ نَقيٌّ لم يُكثّرْ غنيمةً بنَهْكةِ ذي قُرْبى ولا بحَقلَّدِ (٣)

وقال امرؤ القيس ، رُبَّ جَفْنةٍ مُثعنجرةٍ ، وطعنةٍ مُسْحَنفرةٍ ، وخُطبةٍ مُسْتحضَرةٍ ، وقصيدةٍ مُحبَّرةٍ ، تبقى غداً بأنقرةَ (٤)

فصاحة الكلام

يراد بالكلام هنا ما يشمل المركب التام والناقص ، وفصاحته سلامته بعد فصاحة مفرداته من كل ما يتعلق به معناه ويستبهم مغزاه ، والا كان مردوداً ولو احتوى على أجل المعاني وأشرفها وأفضلها وأحكمها وأعاييم له

والطل المطر الندى والمطر الضعيف (١) اطلخم اشتد وعظم وهي منكرة لجمعها بين الغرابة والغلظ في السمع وكذا لفظة دهاريس وهي الدواهي والعشواء الناقة الضعيفة البصر والمراد هنا انها لا تميز بين أحد والغبس جمع أغبس وغبساء وهي الشديدة الظلمة (٢) حباك أعطاك والاروع الذي يعجب الانسان والجيدر القصير وهي وحشية منكرة والجبس الجامد الثقيل الروح (٣) النهكة الغلب والحلقد الآثم قالوا وليس في لفظ زهير أنكر منه (٤) المثعنجرة الملأى والمسحنفرة المتسعة وأنقرة بلدة آسيا الصغرى . قاله حين أدركه الموت وكان قد ذهب الى ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه

ذلك أذا عرى عن الاشياء الستة الآتية

(١) تنافر الكلمات مجتمعة ويدخل تحته كثرة التكرار وتتابع الاضافات

(٢) ضعف التأليف

(٣) التعقيد اللفظي

(٤) التعقيد المعنوى

(٥) اشتراك الالفاظ

(٦) برودة الالفاظ وفتورها

(تنافر الكلمات أو المماظلة [١] اللفظية) وصف يعرض للكلمات عند اجتماعها فيوجب ثقلها واضطراب اللسان عند النطق بها ، وينقسم الى خمسة أقسام بحسب الاستقراء كما قال ابن الاثير

(١) ما كان منشؤه تكرير حرف أو حرفين فى منثور الكلام أو منظومه ، ومنه

(ا) ما اشتد ثقله وتناهى كالذى أنشده الجاحظ

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ [٢]

فأنت ترى أن قافاته وراءاته قلقة نابية وكأنها سلسلة تتبرأ بعض حلقاتها من بعض

(ب) ما كان فيه بعض الثقل كقول أبى تمام

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحدِى [٣]

---

(١) ماظل الكلام عقده ووالى بعضه فوق بعض (٢) حرب هو حرب بن أمية قالوا أنه لا يمكن لاحد أن يقوله ثلاث مرات دون تتعتع ولذا زعموا أنه من شعر الجن (٣) وفيه عيب آخر وهو مقابلة المدح باللوم وأنما يقابل بالذم وكأنه أراد

وقول المتنبي

كَيْفَ تَرْثِي الَّتِي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ   رَاءَهَا غَيْرَ جَفْنِهَا غَيْرَ رَاقِ (١)

فتكرار الحاء والهاء المتقاربي المخرج في بيت أبي تمام والجيم والراء في أكثر كلمات بيت المتنبي أوجب فيهما ثقلا

وقال بعض الوعاظ في كلام أورده (حتى تَجنَّاتُ وَجَنَاتِ جَنَّاتِ الحبيب) فلما سمعه بعض الحاضرين صاح وقال سمعت جيما في جيم في جيم فصحت .

(٢) ما ينشأ عن أيراد أفعال يتبع بعضها بعضاً بدون عطف سواء أختلفت بين المضي والاستقبال أم لم تختلف فالاول كقول القاضي الأرّجاني يصف الشمع (٢)

بِالنَّارِ فَرَّقَتِ الحَوَادِثُ بَيْنَنَا   وَبِهَا نَذَرْتُ أَعُودُ أَقْتُلُ رُوحِي

والثاني كقول المتنبي يمدح سيف الدولة

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعْ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ   زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ (٣)

فورود نذرت أعود أقتل في البيت الاول على تلك الشاكلة جاء ثقيلا

أن ينفي الذم بنفيه اللوم بالطريق الاولى (١) راءها رآها فقدم الالف وأخر الهمزة ورقأ الدمع والدم انقطع يريد أن هذه المحبوبة لا ترحم باكياً لانها تحسب الدمع في أجفان العشاق خلقياً (٢) يقول عن لسان الشمع أنه ألف العسل وهو أخوه الذي ربي معه في بيت واحد ولكن النار فرقت بينه وبينه وأنه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضاً من ألم الفراق (٣) أقل من الاقالة أقطع من الاقطاع لارض ونحوها عل من العلو

متماظلا ، وورود أفعال الأمر متكررة فى الثانى جعل للثقل فيها حظا عظيما ، فان جاءت الافعال مع حرف العطف لم تكن فى الثقل كالاول كقول ديك الجن

احلُ وَأمْرُرْ وَضُرَّ وانفعْ ولِنْ واخشُنْ ورِشْ وأَبرْ وانتدِبْ لِلمعالى

(٣) ما ينشأ عن إيراد صفات متعددة على طريقة واحدة كقول المتنبي فى المديح وقد ولع بهذا النوع كثيرا

دَانٍ بَعيدٍ مُحِبٍّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ ... أَغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٍّ لَيِّنٍ شَرِسِ
نَدٍ أَبِيٍّ غَرٍ وافٍ أَخِي ثِقَةٍ ... جَعْدٍ سَرِيٍّ نَهٍ نَدْبٍ رِضًى نَدِسِ (١)

وأنك لترى فيه ثقلا ظاهرا فما أشبهه بسلسلة طويلة متصلة الحلقات

(٤) ما يعرض بسبب تكرار الادوات وتعاقب بعضها أثر بعض كمن والى وفى وعن وعلى كقول أبى تمام فى المديح

كأنَّهُ فى اجتماع الرُّوح فيهِ لهُ ... فى كلِّ جارحةٍ من جسمِهِ رُوحُ (٢)

وقول المتنبي يصف فرسا

وتُسْعِدُنِي فى غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ ... سَبُوحٌ لها منها عليها شواهِدُ (٣)

---

(١) الشرس الصلب هنا والغرى المغرى بفعل الجميل والجعد الماضى فى الامور والسرى الشريف والنهى العاقل والندب السريع فى أموره والندس العارف الفطن يعنى من هذا أنه جامع لكل خصلة ممدوحة

(٢) الجارحة العضو (٣) الغمرة الشدة والسبوح الفرس الحسن العدو التى لاتتعب راكبها كأنها تسبح فى الماء يريد أنها تعينه على توارد الشدائد ولها شواهد دالة على كرم خصالها

فكلمة فى بعد له فى الاول ، ولها منها عليها فى الثانى ، مما يثقل النطق به ويتعثر اللسان فيه ، قال فى الصناعتين، وسبيل تلافيه أن تفصل مابين الحرفين كأن تقول أقمت به شهيدا عليه .

(٥) مايجيء من تتابع اضافات كثيرة كما تقول سرج فرس تابع الامير وعليه ورد قول ابن بابك

حمامةَ جَرْعَى حَوْمةِ الجَنْدَلِ اسْجَعِى فأنتِ بِمَرْأًى من سُعادَ ومَسْمَعِ (١)

قال فى دلائل الاعجاز : ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه قال الصاحب بن عبّاد أياك والاضافات المتداخلة وذكر أنه يستعمل فى الهجاء كقوله

ياعلىُّ بْنَ حمزةَ بْنِ عمارَهْ أنتَ واللهِ ثَلْجةٌ فى خيارَهْ

(تنبيه) القسمان الاخيران لايقبحان الا اذا اوجبا ثقلا على اللسان والا لايخلان بالفصاحة . فما ورد فيه تكرار الادوات وكان حسنا مليحا قول قطرّى بن الفُجاءة الخارجىّ

ولقد أرانى للرِّماحِ دَرِيئةً من عن يَمينى مرّةً وأمامى (٢)

ومما تكررت فيه الاضافات ولطف قول الله تعالى (ذِكْرُ رَحْمَةِ

---

(١) الجرعاء تأنيث الاجرع وهى رملة لاتنبت شيئا والحومة معظم الشيء والجندل الحجارة والسجع هديل الحمام والمعنى اطربى لان الحبيبة تراك وتسمعك

(٢) الدريئة الحلقة التى يتعلم عليها الطعن والرمى

رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا) وقول ابن المعتز

وَظَلَّتْ تُدِيرُ الرَّاحَ أَيْدِي جَآذِرٍ عِتَاقِ دَنَانِيرِ الوُجُوهِ مِلَاحِ (١)

ومن هنا تعلم أنه لا وجه لعدهما قسمين مستقلين بعيدين عن التنافر

(ضعف التأليف) هو أن يكون نسج الكلام وتأليفه يخالف ما اشتهر من قوانين النحو التي اعتمدها جمهور النحويين كتقديم المفعول المحصور بألا أو انما، والاضمار قبل الذكر لفظا ومعنى فالاول كقول مجنون ليلى

تَزَوَّدْتُ مِنْ لَيْلَى بِتَكْلِيمِ سَاعَةٍ فَمَا زَادَ إِلَّا ضِعْفَ مَا بِي كَلَامُهَا

والثاني كقول حسان بن ثابت

وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمَا (٢)

فتقديم المفعول المحصور بألا وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة غير جائزين على المشهور، اما نحو فهم درسه محمد، ونعم رجلا علي، فان المرجع في الاول متقدم معنى وفي الثاني متقدم حكما اذ انه قد عدل به عن الاصل لنكتة ستأتي

(التعقيد اللفظي أو المعاظلة المعنوية) حقيقته أن تكون ألفاظ الكلام مرتبة لا على وفق ترتيب المعاني فيفسد نظام الكلام وتأليفه بسبب ما يحصل

---

(١) الراح الخمر والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينيه والعتاق النجائب ودنانير الوجوه وجوههم متلألئة كالدنانير

(٢) يرثي به المطعم بن عدي احد رؤساء المشركين كان يدافع عن النبي عليه السلام

فيه من تقديم أو تأخير أو نحو ذلك كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الصلة على الموصول وما أشبه ذلك ، وهو مذموم مرفوض عند أهل البيان لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه وهو ضد الفصاحة التى هى ظهور وابانة ولهذا قال المتأني الألفاظ أجساد والمعانى أرواح وانما تراها بعين القلوب فاذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى كما لو حول رأس الى موضع يد او يد الى موضع رجل فان الخلقة تتحول والحلية تتغير ، وا كثر من استعمله الفرزدق حتى كأنه كان يقصده لأن مثله لا يجيء الامتكلفا والا فلو خلى الانسان نفسه تجرى على سجيتها فى الاسترسال لم يعرض لها شيء من هذا النوع فمن ذلك قوله يمدح الوليد بن عبد الملك

إِلى مَلِكٍ ما أُمُّهُ مِنْ مُحارِبٍ ... أَبُوهُ وَلاَ كانَتْ كُلَيْبٌ تُصاهِرُه(١)

يريد الى ملك ابوه ليست أمه من محارب فقدم وأخر حتى أبهم المعنى : وقوله ايضا

تَعالَ فإِنْ عاهَدْتَنِي لاَ تَخُونُنِي ... نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ

يعنى نكن ياذئب مثل من يصطحبان : وقوله فى البيت المشهور الذى جرى مجرى المثل فى التعقيد يمدح به ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخذومى خال هشام بن عبد الملك

---

(١) محارب وكليب قبيلتان

ومَا مثْلُهُ فى النَّاسِ إلاَّ مملَّكاً أبُو امِّهِ حيٌّ أبوهُ يُقَارِبُهُ (١)

مراده وما مثل هذا الممدوح فى الناس حى يقاربه ويشبهه فى الفضائل الا مملكا ابو أم ذلك الملك ابو الممدوح فيكون الممدوح خال الملك ، وخلاصة ذلك انه لا يماثله احد الا ابن أخته ، فانظر رعاك الله كيف عقد المعنى وصار به الى اللُّكنة بدل الافصاح ومن اجل هذا قال الرُّمانى ، قد اجتمع فى البيت اسباب الإشكال الثلاثة سوء الترتيب وبه تغير نظام الكلام، وسلوك الطريق الأبعد فى قوله أبو أمه أبوه وكان يجزئه أن يقول خاله ؛ وايقاع مشترك الألفاظ فى قوله حى يقاربه ، لانها لفظه تشترك فيها القبيلة والحى من سائر الحيوان بالحياة ، قال فى المثل السائر ومن أقبح هذا النوع قول الآخر

فأصبحَتْ بَعْدَ خطَّ بَهْجتِها كأن قفراً رُسُومَها قلَما (٢)

يريد فاصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها

(التعقيد المعنوى) هو خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من اجل ما عاقها من اللوازم البعيدة والكنايات المفتقرة الى وسائط كثيرة ، فتعجز عن أداء حق السِّفارة بينك وبين المعنى فلا يتضح لك منه المغزى: ومنه قول

---

(١) فيه فصل بين المبتدأ والخبر بالاجنبى وبين الموصوف والصفة كذلك وتقديم المستثنى على المستثنى منه وفصل كثير بين البدل والمبدل منه

(٢) الظاهر انه يصف ديارا درست

العباس بن الاحنف

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنكُمْ لِتَقْرَبُوا　　　وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

المعنى الذي يريده أنه يتحمل مر الفراق وآلامه ويوطن النفس على الحزن وعبراته وحرقة الفراق وزفراته ، علّه يحظى بوصل دائم وسرور لاينقطع فطالما نال الصابرون منتهى امانيهم وفرجت كروبهم ، وهذا معنى مطروق لهجت بذكره السنة الشعراء والكتاب قال عُرْوة بن الوَرد

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا　　　وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلمُقَامِ أُطَوِّف

وقال أبو تمام

أَآلِفَةَ النَّحِيبِ كَمْ افْتِرَاقٍ　　　أَلَمَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ (١)

وقيل للربيع بن خيثم وقد صلى ليلة حتى أصبح ، أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب ، الا أن ابن الأحنف لم يتم له ما أراد على سنن قويم ، فانه كنى عما قصد بكنايتين اصاب في أولاهما المحزّ وطبّق المفصل ، وأخطأ في أخراهما وجه الحقيقة ولم يسلك المهيع الواضح في الرمز والايماء الى ما أراد : قضية هذا انه دل بديئا بسكب الدمع على ما يلزم فرقة الاحباب من الحزن والكمد والتعب والنصب ، فأصاب شاكلة الصواب ، فان البكاء عنوان الحزن والامارة الدالة عليه ، فيرمز به اليه حتى قالوا (أبكاني

(١) الم نزل والنحيب البكاء

وأضحكني) على معنى ساءني وسرني كما قال الحماسي

أبكانِيَ الدَّهرُ وَيارُبَّما   أضحَكَني الدَّهرُ بِما يُرضي

ثم تلا ذلك فدل بجمود العين على ما يوجبه دوام التلاقي من الفرح والسرور ، لكن لم يكن التوفيق حليفه ، ولا النجاح رائده ، اذ الجمود انما هو خلو العين من البكاء عند الداعية اليه ، فهو كناية عن البخل بالدموع حين الحاجة كما قال ابو عطاء يرثي ابن هُبَيرة

ألا إن عَيناً لم تجُد يَومَ واسِطٍ   عَليكَ بِجارِي دَمعها لجَمُودُ

لا كناية عن السرور لأنه لو صح ذلك لجاز أن يدعى به للرجل فيقال لازالت عينك جامدة ، كما يقال لا أبكى الله عينك ، وذلك مالا خفاء في بطلانه ، كما يرشد الى ذلك قول أهل اللغة ، سنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها ، على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والسنة لا تسخو بالدر ،

(اشتراك الالفاظ) نص عليه صاحب الصناعتين والمثل السائر وهو أن يقع في الكلام لفظ أو الفاظ تحتمل عدة معان وليس فيه ما يبين واحدا منها لعدم وجود القرينة فلا يدري السامع أيها اراد المتكلم وذلك كقول جرير

لو كُنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عَهدِكُم   يَومَ الرَّحيلِ فَعلتُ ما لم أفعلِ

فلا يعلم ماذا عنى بقوله فعلت ما لم افعل أكان يبكي اذا رحلوا ام كان يهيم على وجهه من الغم الذي لحقه ام يتبعهم اذا ساروا ام يمنعهم من المضي

على عزمة الرحيل ومثله قول ابي تمام في الرثاء

وَقُمنا فقلنا بعدَ أنْ أفرَدَ الثرى ... بهِ ما يُقالُ في السحابةِ تُقلِعُ

فان قول الناس في السحاب اذا اقلع على وجوه كثيرة فمنهم من يمدحه ومنهم من يذمه وفريق يود اقلاعه وآخر يكره انقشاعه

(برودة الالفاظ وفتورها) هي أن تكون ألفاظ الكلام باردة سفسافة يلحقه من أجلها الذم ويكون خليقا بان يستهجن وان كان معناه حسنا مستقيما كقول الفند الزماني

أيا تملكُ يا تملـ ... ـلِ وذاتَ الطوْقِ والحجْلِ

ذريني وذري عذلي ... فإنَّ العذلَ كالقتلِ

وقول أبي العتاهية وهو كثير في شعره

ماتَ واللهِ سعيدُ بنُ وهبٍ ... رحمَ اللهُ سعيدَ بنَ وهبِ

يا أبا عثمانَ أبكيتَ عيني ... يا أبا عثمانَ أوجعتَ قلبي

الى هنا قد عرفت ما كان من الكلام منقوص القوة في تأدية ما أريد منه لما لحقه من الوحشة والنفار أو لما تخلله من الرديء المرذول والسوقي المردود

فان شاقك أن تعرف فاخر الكلام ورصينه ، وما يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، وما لا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك ، وما قالوا في مثله انه يدخل في الأذن بلا إذن ، فانظر قول بعض الكتاب ،

مثلك أوجب حقًّا لا يجبُ عليهِ ، وسمح بحقٍّ وجبَ له ، وقبلَ واضحَ العذرِ ، واستكثرَ قليلَ الشكرِ ، لا زالتْ أياديك فوقَ شكرِ أوليائكَ ، ونعمةُ اللهِ عليكَ فوقَ آمالِهم فيكَ ،

وقول الآخر يمدح رجلا ، كانَ واللهِ بعيدَ مسافةِ الرأيِ ، يرمي بهمّتهِ حيثُ أشارَ الكرمُ ، ويصافحُ عن صاحبِه نوبَ الزمانِ ، ويتحسَّى مرارةَ الإخوانِ ، ويسيغهمُ العذبَ ، ويعطفهمُ منهُ على ماجدٍ ندبٍ ، وقولَ الرقاشي في العظة والاعتبار سلِ الأرضَ ، مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغرسَ أشجارَكِ ، وجنى ثمارَكِ ، فإنْ لمْ تجبكِ حوارًا ، أجابتكَ اعتبارًا ، وقول النمر بن تولب يذم الحياة

يودُّ الفتى طولَ السلامةِ والغنى ... فكيفَ ترى طولَ السلامةِ يفعلُ
يكادُ الفتى بعدَ اعتدالٍ وصحةٍ ... ينوءُ إذا رامَ القيامَ ويحملُ

وقول معن بن أوس في الفخر

لعمرُكَ ما أهويتُ كفّي لريبةٍ ... ولا حملتني نحوَ فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلمُ أني لم تصبني مصيبةٌ ... منَ الدهرِ إلا قدْ أصابتْ فتىً قبلي
ولستُ بماشٍ ما حييتُ لمنكرٍ ... منَ الأمرِ لا يمشي إلى مثلهِ مثلي

وَلاَ مُؤْثِرٍ نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَتِي ... وَأُوثِرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَى أَهْلِي

وقول العباس بن الأحنف يخاطب محبوبته فوز

يَافَوْزُ يَامُنْيَةَ عَبَّاسٍ ... قَلْبِي يُفَدِّي قَلْبَكِ القَاسِي

أَسَأْتُ إِذْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِكُمْ ... وَالحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ

يُقْلِقُنِي شَوْقِي فَآتِيكُمُ ... وَالقَلْبُ مَمْلُوءٌ مِنَ اليَاسِ

تمرين

اذكر ما أخل بفصاحة المركب فى التراكيب الآتية

قال القُلاَخ

فَمَا مِنْ فَتًى كُنَّا مِنَ النَّاسِ وَاحِداً ... بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَدِيلاً نُبَادِلُهْ (١)

وقال الفرزدق يمدح خالد بن عبد الله القسرى ويهجو اسدا امير خراسان بعد خالد

وَلَيْسَتْ خُرَاسَانُ الَّتِي كَانَ خَالِدٌ ... بِهَا أَسَدٌ إِذْ كَانَ سَيْفاً أَمِيرُهَا(٢)

وقال أبو حَيَّةَ النميرى

---

(١) تقدير اعرابه فما فتى واحدا من الناس كنا نبتغى به عديلا نبادله منهم

(٢) أصل التركيب وليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفا اذ كان أسد أميرها وفى كان الثانية ضمير الشأن والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما أذ مضافة اليه وهو أسد عليها وتقديم المضاف اليه او شىء منه على المضاف قبيح

كما خُطَّ الكِتَابُ بِكَفِّ يَوْماً ... يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ (١)

وقال الحريري

وازْوَرَّ مَنْ كانَ لهُ زَائِراً ... وعافَ عافِي العُرْفِ عِرْفانَهُ (٢)

وقال المتنبي

أَنَّى يكُونُ أَبا البَرَايا آدَمٌ ... وأَبُوكَ والثَّقَلانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ (٣)

وقال أبو تمام

وَالمَجْدُ لاَ يَرْضَى بِأَنْ تَرْضَى بِأَنْ ... يَرْضَى المُعاشِرُ مِنْكَ الاَّ بِالرِّضَا

وقال أبو العميثل

اصْدُقْ وَعِفَّ وَبِرَّ وَانْصُرْ وَاحْتَمِلْ ... وَاحْلُمْ وَكَافِ وَدَارِ وَاصْبِرْ وَاشْجُعْ

وقال الآخر

لَوْ كُنْتَ كَتَمْتَ السِّرَّ كُنْتَ كَمَا ... كُنَّا وَكُنْتَ وَلَكِنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنِ

وقال كُشاجم يصف حدائق غناء

وَالزَّهْرُ وَالقَطْرُ فِي رُبَاهَا ... ما بَيْنَ نَظْمٍ وَبَيْنَ نَثْرٍ (٤)

---

(١) يريد رسم هذه الدار كما خط الكتاب بكف يهودي يوما يقارب الكتابة وبينها او يزيل ويباعد ما بينها (٢) ازور عدل وعاف كره والعافي طالب الفضل والعرفان المعروف (٣) أصله أنى يكون ادم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان (٤) الربا جمع ربوة وهي ما ارتفع من الارض قال في المثل السائر والناطق بهذا يحتاج الى بركار يضعه في شدقيه حتى يديره له

حَدَائِقُ كَفُّ كُلِّ رِيحٍ ... تَحُلُّ بِهَا خَيْطُ كُلِّ قَطْرِ

وقال الآخر

لَمَّا رَأَى طَالِبُوهُ مُصْعَبًا ذُعِرُوا ... وَكَادَ لَوْ سَاعَدَ المَقْدُورُ يَنْتَصِرُ (١)

وقال أبو تمام يرثي بني حميد الطوسي

خَانَ الصَّفَاءَ أَخٌ خَانَ الزَّمَانُ لَهُ ... أَخًا فَلَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ الكَمَدُ (٢)

وقال أيضا من قصيدة يمدح المعتصم

ثَانِيهِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ ... لِاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ (٣)

وقال المتنبي

فَقَلْقَلْتُ بِالهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الحَشَا ... قَلَاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ (٤)

وقال أيضا

---

(١) هو مصعب بن الزبير وذعروا خافوا (٢) الكمد الحزن وتخونه تعهده او تنقصه وهذا البيت في غاية التعمية والاغلاق

(٣) معناه ان بابك صار جارا في الصلب للمزيار وهو ثانيه في كبد السماء ولم يكن ثانيا له في الغار لان ذلك فضيلة وفي هذا البيت زيادة على التعقيد لحن كما قال الآمدي في كتاب الموازنة وكان الواجب أن يقول ثانيا ولكن رواية الديوان المطبوع ثانيا اذ بوصل الهمزة بدل قطعها (٤) قلقل حرك والحشا داخل الجوف وقلاقل الأولى جمع قلقلة وهي الناقة الخفيفة سريعة السير والثانية جمع قلقلة وهي الحركة وضمير كلهن للعيس لا للقلاقل - المعنى حركت بسبب الهم الذي حرك نفسي نوقا خفافا في السير سريعات الحركة والمراد أنه سافر ولم يعرج بالمقام الذي يلحقه به الضيم

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي ... لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمُ مُقَامُ

وقال الآخر ... فِي رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلُكَ يَشْرَعُ

وقال بشار

رَبَابَةُ رَبَّةُ الْبَيْتِ ... تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ

لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ ... وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

وقال الشماخ بن ضرار

تَخَامَصُ عَنْ بَرْدِ الوِشَاحِ إِذَا مَشَتْ

تَخَامُصَ حَافِي الخَيْلِ فِي الأَمْعَزِ الوَجِي (١)

وقال أبو تمام يمدح خالد بن يزيد الشيباني

إِلَيْكَ عَنْ سَيْلِ عَارِضٍ خَضِلِ الشُّـ ... ـؤْبُوبِ يَأْتِي الْحِمَامُ مِنْ نَضَدِهْ

مُسِفِّهِ ثَرِّهِ مُسَحْسِحِهِ ... وَابِلِهِ مُسْتَهِلِّهِ بَرَدِهْ (٢)

وقال أيضا

---

(١) تخامص أصله تتخامص أي تتجافى والامعز المكان الكثير الحصى الصلب والوجي المصاب بالوجي وهو وجع في حافر الفرس وتقديره تخامص الحافي الوجي في الامعز (٢) العارض السحاب والخضل الندى والشؤبوب المطرة والحمام الموت والنضد المتراكم والمسف القريب من الأرض والثر الكثير الماء والسحسح السائل من فوق والوابل الشديد والمستهل المتلالىء

أعطيتني دية القتيل وليس لي عقل ولا حق عليك قديم (١)

فصاحة المتكلم

هي ملكة أو صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير عما يجول في خاطره ويجيش في صدره من المقاصد والاغراض

وبتلك الملكة يتمكن من صياغة ضروب الكلام ويستطيع الخوض في سائر فنونه ، فان كان شاعرا أجاد القول في جميع أبواب القريض من مديح أو هجاء وتهان أو مراث الى غير ذلك من أنواعه ، وان كان ناثرا صنع الرسائل المحبرة والخطب المنمقة (٢) . في الوعظ والارشاد أو المفاخرات والمنافرات ، حسب ما شاء وكيف أراد ، لا يجد في سبيله عائقا يصده ولا عقبة تقف في طريقه فاذا ولـيا وجههما شطر النظيم والنثير كانا عليمين بخصائصهما خبيرين بأسرارهما عارفين بدقيقهما وجليلهما معرفة الصنع (٣) الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الابريسم الذي في الديباج وكل آجرة من الآجر الذي في البناء البديع

وخليق بك أن تعلم أن تلك الملكة نتيجة مقدمات عزيزة المنال وثمرة غراس يطول أمده حتى يثمر ثمرا جنيا سائغا للآكلين ، فلن يبلغ

---

(١) العقل لفظة مشتركة بين ضد الجنون والعقل الذي هو الدية وهو المقصود ولكن المتبادر الاول وليس في الكلام قرينة تعين أحدهما فلو قال لي عليك لكان اظهر في المراد وازال اللبس (٢) المنمق المزين المحسن (٣) الخفيف اليدين الماهر في عمله

شاعر أو ناثر هذه الغاية . وينال شرف هذه الفضيلة ، الا اذا كان ذا ألمام باللغة ، كثير الاطلاع على كتب الادب ، محيطا بأسرار أساليب العرب ، حافظا لعيون كلامهم ، من شعر جيد ونثر مختار ، على بينة من عاداتهم وأخلاقهم وأخبار أيامهم ، عالما باحوال الشعراء والخطباء ، ومجالس الملوك والأمراء ، الى غير ذلك مما يهم الشاعر معرفته وتفيد الناثر الاحاطة به

البلاغة

البلاغة تقع وصفا للكلام والمتكلم ولم يسمع وصف الكلمة بها

بلاغة الكلام

بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال التى يورد فيها مع فصاحته ، ولا يطابق الحال الا اذا كان على وفق عقول المخاطبين : واعتبار طبقاتهم فى البلاغة ، وقوتهم فى البيان والمنطق ، فان للسوقة كلاما لا يصلح غيره فى موضعه والغرض الذى يبنى له ، ولسراة القوم والامراء فن آخر لا يسد مسده سواه ، ولقد أحسن الذى قال لِكُلِّ مقامٍ مقالٌ ، قال فى الصناعتين وربما غلب سوء الرأى وقلة العقل على بعض علماء العربية فيخاطبون السوقى والملوك والأعجمى بألفاظ أهل نجد والسراة (١) كأبى علقمة اذ قال لطبيب (أجدُ رَسيساً فى أسناخى وأرى وَجَعاً فيما بين الوابِلَةِ إلى الأُطْرَةِ

(١) قسم من اليمن

مِنْ دَابَاتِ العُنُقِ) (١) فقال الطبيب هى هى من وجع القرشىّ ، (٢) قال وما يعدنا منهم يا غـدىّ نفسه نحن من أرومة واحدة ونجل واحد قال الطبيب كذبت ، وكلما خرج هذا الكلام من جوفك كان أهون (٣) لك. قال بل لك الهوان والخسارة والسباب. وكذلك لجزل الألفاظ مواضع يحسن استعماله فيها وللرقيق مواضع أخرى فيستعمل الجزل (٤) فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، ويستعمل الرقيق الحاشية الناعم الملمس فى وصف الاشـواق وذكر أيام البعاد واستجلاب المودات والاستعطاف والمعاذير وما شاكل هذه المواضع ،

وكفى بالقرآن الكريم والسنة النبوية قدوة فى فنونهما المختلفة جزالة ورقة فهما نعم العون على صياغة رائع الاساليب وجيد التراكيب ، انظر الى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والصراط والميزان ، وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا ، وما جرى هـذا المجرى تجـد اللفظ الجزل والقول الفصل كقوله تعالى (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبالَ وَتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً وَحَشَرْناهُمْ) الى آخر الآية وقوله تعالى (وَنُفِخَ فى الصُّور فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ إِلا مَنْ شاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرَى

---

(١) الرسيس ابتداء الحمى اذا فتر الجسم والاسناخ منابت الاسنان والوابلة طرف الكتف والأطرة كل ما أحاط بشىء ودايات العنق فقارها (٢) يقصد به التهكم (٣) من الهوان والذل (٤) هو المتين المهذب فى الفم الخفيف على السمع لا الوحشى المتوعر الذى عليه عنجهية البداوة

فإذا هُمْ قيام يَنظُرُونَ . وَأشرَقت الأرْضُ بنور رَبها وَوُضع الكتابُ وَجيء بالنَّبيين وَالشهداء وَقضي بَينهم بالحَق وَهُمْ لاَ يُظلمون . وَوُفيتْ كُلُّ نفس ما عَملتْ وَهُوَ أعلَمُ بما يَفعلون). الى آخر السورة

كما تجد الرقيق خطابا للنبي عليه السلام نحو (وَالضحَى وَالليل إذا سجَى ما وَدَّعكَ رَبُّكَ وَما قلاَ) الى آخر السورة وقوله تعالى (ألَمْ نَشرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضعْنا عَنكَ وزرَكَ) الى آخرها ، أو ترغيبا للعباد في المسئلة نحو (وَإذا سألكَ عبادي عَني فإني قريبٌ أجيبُ دَعوَةَ الدّاع إذا دَعان) ومن جزل السنة قوله عليه السلام (يا ابْنَ آدَمَ تُؤتَى كُلَّ يَوْم برزقكَ وأنتَ تَحزَنُ وَيَنقصُ كُلَّ يَوْم مِنْ عُمْرِكَ وأنتَ تفرَحُ ، أنتَ فيما يَكفيكَ وَتطلُبُ ما يطغيكَ لا بقليل تقنعُ ولا من كثير تشبعُ) ومن رقيقها قوله صلى الله عليه وسلم (كُن في الدُّنيا كأنكَ غريبٌ أوْ عابرُ سَبيل ، وَاعدُدْ نفسَكَ في الموْتى فإذا أمسيْتَ فلاَ تُحدِّثها بالصباح ، وإذا أصبحْتَ فلاَ تُحدِّثها المساء وخذْ من صحتكَ لسقمكَ ، ومن شَبابكَ لِهَرَمكَ ، ومن فَراغكَ لِشغلكَ)

ومما سبق تعلم أن مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبول ويَنحطُّ نظما وتعظم منزلته حتى يفوق نظيره والمجانس له درجات كثيرة

ويتقدمه لاالى غاية ويرتقى صُعُدا الى حيث تنقطع الأطماع وتحار العقول وتخور القوى وتعجز الانس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

وتلك مرتبة الاعجاز التى تخر لها أعناق الجبابرة وتخرس السنتهم وترجع بالخيبة لو تاقت الى المباراة أو أحبت المعارضة فقد عرف بالخبر المتواتر الذى لا يدع للشك مجالا أن القرآن نزل فى أرقى العصور عند العرب فى الفصاحة وأجلها فى مناحى البلاغة : ومع ذلك فقد ملك المعجز عليهم كل طريق وسدت أمامهم المسالك عند ما صاح عليهم صيحة الحق فوجفت قلوبهم وخرست شقاشقهم مع طول التحدى وشد النكير وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا

بلاغة المتكلم

هى ملكة يقتدر بها المتكلم على التصرف فى فنون كلامه وأغراضه التى يقصدها ببديع القول وساحر البيان فيصيب من نفس مخاطبه حاجته ويبلغ منه غاية ما يريد ويقع كلامه لديه موقع الماء من ذى الغُلّة الصادى

ووصف المتكلم بها من قبيل التوسع . وحقيقته بليغ الكلام كما تقول رجل محكم وتعنى إحكام أفعاله قال تعالى (حكمة بالغة) فوصف الحكمة بالبلاغة ولم يصف بها الحكيم ، لكن كثرة الاستعمال جعلت وصفه بها كالحقيقة الثابتة وما عداه كالشريعة المنسوخة . وسبيل درك الأغراض ومعرفة الخصائص ومراعاة مقتضيات الأحوال ليس من

سهل الأمور ، بل هو عزيز المنال لا تلين عريكته ولا يسلس قياده الا لمن أحاط بأساليب العرب خبرا وقتل كلامهم بحثا وتنقيبا وعرف سنن تخاطبهم في تفاخرهم وتنافرهم وهجائهم ومدحهم واعتذارهم وشكرهم حتى يلبس لكل حالة لبوسها ويتخلص من مضايق القول ويبرز على الأقران ،

يدل لذلك أن النبي عليه السلام راعى حال من يخاطبه فكتب الى أهل فارس بما يسهل ترجمته (مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلى كِسْرَى أَبْرَوِيز عَظِيمِ فارِس . سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى وَآمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَأَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ اللهِ . فإِنِّي أَنا رَسُولُ اللهِ إِلى الخَلْقِ كافَّةً . لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَياً وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الـكافِرِينَ فأَسْلِمْ تَسْلَمْ ، فإِنْ أَبَيْتَ فاسْمُ المَجُوسِ عَلَيْكَ

فانظر كيف سهل عليه السلام كلامه غاية التسهيل حتى لا يخفى منه شيء على من يعرف قليل العربية ، لـكن بالضد من ذلك لما كتب الى قوم من العرب فانه فخَّم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه وعادتهم سماع مثله فكتب لوائل بن حُجْر الحضرمي ا مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلى الأَقْيالِ العَبَاهِلَةِ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ بإِقامَةِ الصَّلاَةِ وإِيتاءِ الزَّكاةِ. عَلَى التِّيعَةِ الشَّاةُ . والتِّيمَةُ لِصاحِبِها . وَفِي السُّيوبِ الخُمْسُ . لاَ خِلاَطَ ولاَ وِرَاطَ ، ولا شِناقَ ولاَ شِغارَ . ومَنْ أَجْبَى فَقَدْ أَرْبَى . وكُلُّ

مستكبر جرّامٌ (١)

فعلى المتكلم أن يلاحظ المقام أو الحال وهو الأمر الذى يدعوه الى أن يورد كلامه على صورة مخصوصة تشاكل غرضه ، وتلك الصورة المخصوصة التى يوردُ عليها الكلام تسمى المقتضى أو الاعتبار المناسب ، فمثلا الوعظ حال ومقام يوجب على المتكلم البسط والاطناب حتى يبلغ كلامه أعماق قلوب المخاطبين ويبلغ منهم غاية ما يريد ، وذلك البسط والاطناب مقتضًى ، وايراد الكلام على صورة الاطناب مطابقة للمقتضَى

متممات

« الأول » علمت مما سبق فى بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ما يعتورِ الكلام من العيوب ويدخله من النقائص ، فوجب الآن أن تعرف بم تداوى هذه العيوب فنقول

« ا » مخالفة القياس يمكن اجتنابها بالاطلاع على علم التصريف فهو الكفيل بمعرفة سنن المفردات العربية ونهج استعمالها ألا ترى أن نافع بن أبى

---

(١) الاقيال واحده قيل بفتح القاف وسكون الياء وهو الملك والعباهلة الذين أقروا على ملكهم والتيعة الاربعون من الغنم والتيمة الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى والسيوب المعادن ولا خلاط اى لا يخلط رجل ابله بابل غيره او بقره ليمنع الصدقة والوراط الخديعة والغش والشناق ما بين الفريضتين حتى تتم والشغار هو ان يزوج كل واحد صاحبه امرأة على ان يزوجه اخرى بلا مهر والاجباء بيع الزرع قبل ان يبدو صلاحه

نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأناً قال فى معايش معائش بالهمز مع أن الياء [1] فيها ليست زائدة لأنها من العيش فأُخذ عليه وعيب من أجله حتى أن أبا عثمان المازنى قال : ان نافعا لم يدر ما العربية

«ب» ضعف التأليف والتعقيد اللفظى يمكن التباعد عنهما بملاحظة قواعد النحو اذ هو الباحث عن كيفية استعمال المركبات على وجه الصواب وقد يشذ عن قانونه الخاصة بله العامة فينزل كلامهم الى الدرك الأسفل ويكون عرضة للقادح انظر الى الهوة التى وقع فيها أبو نواس حيث يقول فى محمد الامين

يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ   إِلاَّ النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَيْمُونُ

فرفع فى الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافيه فى شيء

«ح» الغرابة يسهل على المتكلم معرفتها بالاطلاع على كلام العرب منثوره ومنظومه

«د» الأحوال ومقتضياتها تعلم من دراسة علم المعانى

«ه» التعقيد المعنوى يعلم من علم البيان

«و» وجوه تحسين الكلام التى تكسوه طلاوة وتكسبه رقة ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال مع فصاحته : تعلم من علم البديع

---

(١) ظن أنها فعيلة فجمعها على فعائل وليس كذلك بل هى مفعلة بكسر العين فياؤها ليست كياء صحيفة بل أصلها معيشة بكسر الياء فلا تنقلب فى الجمع همزة

«ز» التنافر وملاك معرفته الذوق السليم والشعور النفسى

« الثانى » علم البيان فى اصطلاح المتقدمين اسم جامع للعلوم الثلاثة (المعانى والبيان والبديع) وعليه قول الجاحظ . البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى ، وقول ابن المعتز البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول ، وبعض الأئمة يسمى الثلاثة علم البديع لما فيها من بديع الصنعة وغريب المنحى

(الثالث) للمتقدمين فى حدود البلاغة ورسومها كلمات مجملة تقرّب لك بعضاً مما فصلناه منها قول محمد بن الحنفية : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه بأيسر العبارة ، وقول ابن المعتز البلاغة البلوغ الى المعنى ولما يطل سفر الكلام ، وقول ابن الأعرابى البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير ، وقول الآخر هى وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة ، وقول بعضهم هى قلة اللفظ وسهولة المعنى وحسن البديهة

الفن الأول علم المعانى

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال، وقد وضع أصوله ودون قواعده أئمة الفصاحة والبيان بعد ممارسة كلام العرب والبحث فى مختلف أساليبه ومتنوع تراكيبه ومعرفة مايقتضيه كل مقام من المقامات المتباينة والأغراض المتنوعة فأوصلتهم نتيجة البحث والتنقيب الى وضع تلك القواعد ليسترشد بهديها من يريد أن ينحو منحى العرب فى كلامهم وينسج على منوالهم

فثلا يطلع على قولهم . أن العرب توجز اذا شكرت أو اعتذرت ، وتطنب اذا مدحت ، ويقصر الحكم بما والا اذا كان المخاطب ينكره وبأنما اذا كان لا ينكره ولا يدفع صحته وانما يقصد تنبيهه فقط ، وتأتى الجملة الفعلية فى كلامهم لافادة التجدد والاسمية لافادة الثبوت والثبات بمقتضى المقام الى غير ذلك مما سيأتى مفصلا

فان صاغ شعرا أو حاك نثرا وضع نصب عينيه تلك القواعد حتى لا يضل سواء السبيل ولا يزيغ عن سنن أساليبهم وبديع تراكيبهم

(موضوعه) اللفظ العربى من حيث افادته اللطائف والخصائص التى بها يطابق مقتضى الحال

(واضعه) أول من دون قواعده وهذب مسائله وجعله علما مشيد الأركان شامخ البيان . الامام عبد القاهر الجرجانى ؛ وقد كتب فيه الائمة قبله كالجاحظ وابن المعتز وأبى هلال العسكرى ولكنهم لم يبلغوا شأوه ولم يوسعوا القول فيه كما وفق اليه ذلكم الحبر الجليل

(فائدته) فائدته معرفة أعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وما تضمنه من بديع الايجاز ولطيف الاختصار ، وما اشتمل عليه من العذوبة والجزالة والسهولة والسلالة . الى غير ذلك من محاسنه التى أعجزت العرب عن بلوغ غايته وجعلت عقولهم تحار فى فصاحته وبلاغته ، فخرسوا مع طول التحدى ولم يجدوا سبيلا للمعارضة وبذا حقت عليهم الكلمة وسد العجز عليهم كل طريق

وقد رتبنا الكلام فى هذا الفن على اثنى عشر بابا

الباب الاول فى الخبر وفيه أربعة مباحث

(المبحث الاول فى حقيقة الخبر ـ معنى الصدق والكذب ـ ركنى الاسناد الكلام أما خبر أو انشاء ـ ذلك انه ان احتمل الصدق والكذب لذاته دون التفات الى خصوصية الخبر والمخبر فهو الخبر . وكلمة لذاته جيء به ليدخل فى التعريف الاخبار الواجبة الصدق كاخبار الله وأخبار رسله . والواجبة الكذب كأخبار المتنبئين فى دعوى النبوة . والبديهيات المقطوع بصدقها أو كذبها . والنظريات المتعين صدقها كاثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه

فكل هذه اذا نظر اليها فى ذاتها دون ملاحظة اعتبارات أخرى احتملت أحد الامرين ، وان شئت قلت الخبر ما لا يتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو الصدق فضيلة وانفاق المال فى سبل الخير محمود

والانشاء ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا ، أو هو ما يتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو اخدم وطنك باخلاص ، ولا تؤخر عمل اليوم الى الغد فان لكل يوم عملا جديدا . واعلم أن لكل خبر تتلفظ به نسبتين نسبة تفهم من الخبر ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى خارجية ، فان طابقت النسبة الكلامية الخارج كان الكلام صدقا والا كان كذبا فصدق الخبر هو مطابقته للخارج أى الواقع ونفس الامر وكذبه عدمها

كما أن لكل جملة ركنين مسند ومسند اليه وما زاد عليهما فهو قيد الا الصلة والمضاف اليه

فالمسند اليه هو

(ا) فاعل الفعل التام

(ب) المبتدأ الذي له خبر

(حـ) أسماء الادوات الناسخة

والمسند هو

(ا) المبتدأ المستغني بمرفوعه عن الخبر

(ب) خبر المبتدأ

(حـ) أخبار النواسخ (كان واخواتها وأن وأخواتها)

(د) الفعل التام

(هـ) اسم الفعل كهيهات وآمين

﴿ المبحث الثاني في الأغراض التي من أجلها يلقى الخبر ﴾

الاصل في الخبر ان يلقى لاحدى فائدتين

(١) اما لافادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى فائدة الخبر نحو الحياء من الايمان

(٢) واما لافادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ويسمى لازم الفائدة كأن تقول لشخص أخفى عليك سفره لقضاء غرض له فعلمته من طريق آخر، أنت سافرت أمس لكذا

وقد لا يقصد من القاء الخبر ذانك الغرضان بل يلقى لاغراض أخرى منها

(ا) التنشيط وتحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله كقوله تعالى (لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)

(ب) أظهار الاسف والحزن على فوات مأمول كان مرجوا كقول أم مريم (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى)

(ح) الاسترحام كقول موسى عليه السلام (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)

(د) أظهار الضعف والخشوع كقول زكريا عليه السلام (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)

(ه) اظهار الفرح والسرور كقول الطالب لمن يعلم نجاحه فى الامتحان (فزت فى ميدان الامتحان)

«و» أغاظة السامع وتوبيخه على ما فرط منه من التقصير كما تقول للطالب المهمل الذى رسب فى الامتحان « رَسَبْتَ فى الامتحان »

«ز» التذكير بما بين المراتب من التفاوت كقوله تعالى «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ »

تمرين

اذكر ما يستفيده المخاطب عند ما تلقى اليه هذه الاخبار

قال تعالى « قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ـ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

الموتِ ـ كُلُّ امرِئٍ بما كَسَبَ رَهِينٌ ـ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفضلٍ ـ ويُطعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وأَسِيراً ـ والوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ (١) أولادَهُنَّ ـ لا يَمَسُّهُ (٢) إلاَّ المُطَهَّرُونَ ـ إيَّاكَ نَعْبُدُ (٣) وقال عليه السلام الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ـ مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً لِأَخِيهِ المُؤْمِنِ وَقَعَ فِيهَا ـ وقالوا في الأمثال كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا (٤) ـ عَرَفَ النَّخْلَ أَهْلُهُ (٥) ـ مَنْ غَرْبَلَ النَّاسَ نَخَلُوهُ ـ على أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقِشُ (٦)

وقال الشاعر

رَبِّ إِنِّي لا أَسْتَطِيعُ اصْطِبَاراً ... فاعْفُ عَنِّي يا مَنْ يُقِيلُ العِثَارا

وقال الحرث بن وعلة وهو من أبيات الحماسة

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي ... فإذا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً ... وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي (٧)

وقال الآخر

إلهي عَبْدُكَ العاصِي أَتاكا ... مُقِرّاً بالذُّنُوبِ وقد دَعَاكا

---

(١) الخبر هنا بمعنى الامر (٢) يقصد به النهى (٣) يراد به الدعاء
(٤) يضرب مثلا لمن يفضل على أقرانه (٥) يضرب عند ما يوكل الامر الى أهله (٦) يضرب لمن يعمل عملا يرجع عليه بالضرر (٧) أميمة محبوبته وهي تعلم أن قاتلي أخاه هم قومه وتعلم انه عالم بذلك فمقصده اظهار التفجع والحزن والجليل العظيم والسطوة الغلبة والقهر

﴿ المبحث الثالث فى طرق القاء الخبر الى المخاطب ﴾

من مزايا اللغة العربية دقة التصرف فى التعبير ، واختلاف الاساليب باختلاف المقاصد والاغراض، فمن فاضح العيب عند ذوى المعرفة بها الاطناب اذا لم تكن هناك حاجة اليه ، والايجاز والاختصار حيث تطلب الزيادة ، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بله العامة فقد أشكل أمرها على بعض ذوى الفطنة من نابتة القرن الثالث إبان عز اللغة ونضرة شبابها ، يرشدك الى ذلك ما رواه الثقاة من أن المتفلسف الكندى ركب الى أبى العباس المبرد وقال له . أنى لاجد فى كلام العرب حشوا فقال أبو العباس فى أى موضع وجدت ذلك فقال أجد العرب يقولون عبدالله قائم ثم يقولون ان عبدالله قائم ثم يقولون ان عبدالله لقائم ـ فالالفاظ متكررة والمعنى واحد ، فقال أبو العباس بل المعانى مختلفة لاختلاف الالفاظ ، فالاول اخبار عن قيامه والثانى جواب عن سؤال سائل والثالث جواب عن انكار منكر قيامه فقد تكررت الالفاظ لتكرر المعانى فما أحار المتفلسف جوابا .

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة لا أزيد والا كان عبثا ولا أنقص والا أخل بالغرض وهو الافصاح والبيان ، وتعلم أيضا أن المخاطب لا يخلو من أن يكون واحدا من ثلاثة

«١» أن يكون خالى الذهن من مضمون الخبر فيلقى اليه الكلام ساذجا غفلا من أدوات التوكيد التى سترد عليك اذ لا حاجة اليها — ويسمى هذا الضرب ابتدائيا

«ب» أن يكون له ظن على خلاف حكمك وله تشوف الى الوقوف على الحقيقة فيحسن تقوية الحكم له بأن ونحوها ليتمكن فى قلبه ويطرح الخلاف وراء ظهره . ومن ثم يحسن موقع أن اذا كان الخبر بأمر يبعد فى الظن مثله لان العادة جرت بخلافه كقول أبى نواس

عليكَ باليأسِ منَ النَّاسِ　　إنَّ غِنَى نفسِكَ فى اليأسِ

لما كان فى مجرى العرف والعادة ألا يدع الناس الطمع والرجاء ويحملوا أنفسهم على اليأس ويجعلوا فيه الغنى كما ادعى — أكده بأن — ويسمى هذا الضرب طلبيا

«ح» أن يكون منكرا للحكم وهذا يجب أن يؤكد له الكلام بقدر انكاره قوة وضعفا — وذلك أن المتكلم أحوج ما يكون الى الزيادة فى تثبيت خبره اذا كان هناك من ينكره ويدفع صحته فهو حينئذ يبالغ فى تأكيده حتى يزيل انكاره يدل لذلك ما قصه الله تعالى عن رسل عيسى عليه السلام حين بعثهم الى أهل أنطاكية فكذبوهم فقالوا لهم فى المرة الاولى « إنَّا إليكُمْ مُرْسَلونَ » وفى المرة الثانية « ربُّنا يَعلمُ إنا إليكُمْ لَمُرْسَلونَ » فأكدوا فى الاولى بأن واسمية الجملة وفى الثانية بالقسم (اذ ربنا يعلم فى حكم علم الله وشهد الله) وأن واللام واسمية الجملة لما رأوا

من شديد انكار المخاطبين — ويسمى هذا الضرب انكاريا .

وكما يكون التأكيد فى الاثبات يكون فى النفى أيضا . والسير على هذا النهج والجرى على تلك الطريقة هو ما يقتضيه حال المخاطب فى الظاهر وقد يلاحظ المتكلم اعتبارات أخرى خفية فيخرج كلامه مراعيا أياها ويسمى حينئذ جاريا على خلاف مقتضى الظاهر ومن ذلك

«ا» ان ينزل من لا يظن الخلاف منزلة من يظنه اذا تقدم فى الكلام ما يشير الى حكم الخبر فتستشرف نفسه وتتطلع اليه — وذلك كثير فى القرآن الكريم وكلام العرب كقوله تعالى (يا أيها الناسُ اتقوا ربَّكم إنَّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيمٌ) وقوله عز وجل وصلِّ عليهم إنَّ صلاتَك سكنٌ لهم فقوله ان زلزلة الساعة شىء عظيم بيان لعلة أمرهم بالتقوى — وأن صلاتك سكن لهم بيان لأمر النبى عليه السلام بالصلاة أى الدعاء لهم — وقول بعض العرب

فغنِّها وهىَ لكَ الفداءُ ... إنَّ غناءَ الإبلِ الحُداءُ

«ب» أن ينزل من لا ينكر الخبر منزلة من ينكره تهكما به اذا لاح عليه شىء من علامات الانكار كقول حَجَل بن نضلة القيسى من أولاد عم شقيق

جاءَ شقيقٌ عارضاً رُمحَهُ ... إنَّ بنى عمِّكَ فيهم رِماحْ

فجيء شقيق على صورة المدل بنفسه المعجب بشجاعته واضعا رمحه عرضا (١) من أعظم الادلة على صلفه وزهوه ببسالته واعتقاده أنه لن يجد مقاوما من بني عمه لانهم عزل لا سلاح معهم — ومن ثم خاطبه حجل بالشطر الثاني من البيت خطاب الثقات بعد غيبة تهكما به ورميا له بالنزق وخرق الرأي لأنه لو علم عدة بني عمه وكثرة عديدهم لم تقو يده على حمل الرماح ولم يظهر استعداده للنزال والكفاح

(٣) أن يجعل المنكر كأنه غير منكر فلا يعتد بانكاره بل يجعل كأن لم يكن ؛ لان أمامه من الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة ما فيه المقنع لو أزال تلك الغشاوة عن عينيه والتفت الى ما يحيط به ؛ وعليه قوله تعالى خطابا لمنكري الوحدانية « وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ » اذ العقل قاض بأن تعدد الآلهة يقتضي تخالف أفعالهم بتخالف علومهم وارادتهم — وكلٌّ له التصرف في السموات والارض والسلطة على ايجاد الممكنات فتتضارب أفعالهم حسب تضارب اراداتهم فيفسد نظام الكون بل يستحيل وجود ممكن من الممكنات ، لكن الكون على أتم نظام فهو الله واحد لاشريك له

تنبيهات

(١) المراد بالتأكيد في هذا الباب تأكيد الحكم لا تأكيد المسند اليه ولا المسند فلو قلت على نفسه قائم أو محمد يقظ لا يكون مما نحن فيه

---

(١) بأن يضعه وهو راكب على فخذيه بحيث يكون عرض الرمح في جهة العدو ؛

(٢) التوكيد فى الجمل الاسمية يكون بإن أو بأن واللام والقسم كما قدعرفت ، اما توكيد الجمل الفعلية فيكون بقد أو بقد والقسم فتقول قد قام محمد ثم والله لقد قام محمد

(٣) الخطاب بالجملة الاسمية وحدها آكد من الخطاب بالجملة الفعلية فاذا أريد مجرد الاخبار أتى بالفعلية ، أما أن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها أو بها مع أن ثم بهما و باللام ثم بالثلاثة والقسم

(٤) المؤكدات المشهورة هى أن المكسورة والقسم ونونا التوكيد ولام الابتداء واسمية الجملة كما عرفت وتكريرها وأمّا الشرطية وحروف التنبيه وحروف الزيادة وضمير الفصل وتقديم الفاعل المعنوى نحو محمد يقوم والسين اذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه لانها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول الفعل كما بينه الزمخشرى وقد التى للتحقيق وتكرير النفى وانما

(٥) من فوائد أنّ غير التوكيد (ا) ربط الجملة بما قبلها كما فى قوله ،

إِنَّ غِناءَ الإِبِلِ الحُدَاءُ

فلو أسقطت أن لم يقل الا بالفاء فيقال فغناء الابل الحداء (ب) تهيئة النكرة وصلاحيتها لأن تكون محدثا عنها كقوله

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِى بِسُعْدَى   لَزَمانٌ يَهُمُّ بِالإِحْسانِ

(ح) غناؤها عن الخبر فى بعض المواضع نحو قولهم - أن مالا وان ولدا وان عددا - يريدون أن لهم مالا الى آخره ومثله قول الاعشى

إنَّ مَحَلاً وَإِنَّ مُرْتَحَلاً ... وَإِنَّ فِي السَّفْرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلاَ(١)

قال في دلائل الاعجاز ـ قد تدخل أن للدلالة على أن الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون وذلك كقولك للشيء هو بمرأى من المخاطب ومسمع ـ أنه كان من الامر ماترى ؛ وكان منى الى فلان احسان ومعروف ثم أنه جعل جزائي مارأيت : فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ الذي توهمت ـ وعلى ذلك والله أعلم قوله تعالى حكاية عن أم مريم رضي الله عنها (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) وقوله عز وجل حكاية عن نوح عليه السلام (قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ)

تدريب

من أي الاضرب الجمل الآتية وأيها جرى على خلاف مقتضى الظاهر وما هي أدوات التوكيد فيها قال تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ـ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ـ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ـ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ـ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ـ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ

(١) تقدير المحذوف ان لنا في الدنيا محلا وان لنا عنها الى الآخرة مرتحلا

فقل ينسفها ربي نسفاً - ليسجننّ وليكوناً من الصاغرين - قال لقد علمت ما هؤلاء ينطقون - فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون - أولئك سيرحمهم الله - ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم - ثم إنكم بعد ذلك لميتون - آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقال عليه السلام وقد سئل هل نرى ربنا « إنكم لترون ربكم » وقال أبو بكر ان البلاء موكل بالمنطق وقال لبيد

ولقد علمت لتأتين منيتي ... إن المنايا لا تطيش سهامها

وقال بشار بكّرا صاحبيّ قبل الهجير ... إن ذاك النجاح في التبكير

وقال دغفل إن على سائلنا أن نسأله ... والعبء لا تعرفه أو تحمله

وقال أبو العتاهية

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

﴿ المبحث الرابع في انقسام الجملة الخبرية الى اسمية وفعلية ﴾

مما تمس الحاجة اليه في هذا العلم معرفة الفوارق في الاستعمال بين الجملة الاسمية والفعلية لوعورة مسلكها ودقيق الصنعة فيها اذ قلما يفطن لها الا الفصحاء ذوو الدراية في المنطق ، بيان ذلك أن الجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت المعنى للشيء فقط ولا تفيد تجددا ولا استمرارا فلا

يستفاد من قولك علي مسافر سوى ثبوت السفر فعلا لعلي دون نظر الى تجدد ولا حدوث . فالمعنى فيه كالمعنى في قولك محمد طويل ومحمود قصير فكما لا يقصد هنا الى أن يجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث بل يقصد ايجابهما واثباتهما فقط ، كذلك لا يتعرض في قولك علي مسافر لا كثر من اثبات السفر فعلا لعلي

ولكن قد تحف بها قرائن أخرى تستفاد من المقام كأن يكون الحديث في معرض المدح أو الذم فتفيد الدوام والاستمرار حينئذ ، وعليه قول النضر بن جؤية يتمدح بالغنى والكرم

لا يألف الدرهمُ المضروبُ صُرَّتَنا ... لكن يمرُّ عليها وهو منطلقُ(١)

يريد أن دراهمهم لا ثبات لها في الكيس ولا بقاء ، فهي دائما تنطلق منه وتمرق مروق السهام من قسيها لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات كما يرشد الى ذلك ماقبله

إنا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ... ظلت إلى طرق المعروف تستبقُ

أما الجملة الفعلية فتفيد بأصل وضعها التجدد في زمن معين مع الاختصار فقولك سافر علي يستفاد منه اثبات السفر فعلا لعلي في زمن مضى

تفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الازمنة الثلاثة بذاته لا بقرينة خارجة عنه ، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه (مدلوله الثاني الحدث)

---

(١) الصرة كيس الدراهم

لا تجتمع أجزاؤه فى الخارج بل تتصرم وتتقضى شيئا فشيئا ـ بخلاف الاسم فانه يدل على الزمن المعين بقرينة أخرى كأن يقال أمس أو الآن أو غداً ـ ومن ثم كان الفعل مع افادته الزمن يفيد التجدد أيضا ولا كذلك الاسم

وقد تفيد الاستمرار التجددى بمعونة القرائن اذا كان الفعل مضارعا ومن البين فى ذلك قوله تعالى (إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ) اذ المقصد الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال آنا أثر آن وحالا بعد حال ، وقول الاعشى يمدح المحلق (١) الكلابى

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالمُحَلَّقُ (٢)

فالمعنى أن هناك موقداً يتجدد منه الالهاب والاشعال حالا بعد حال

ونحوه قول طريف بن تميم العنبرى يتمدح بجراءته وشجاعته

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ ... بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ (٣)

يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ليتفرس فى وجوه

---

(١) هو لقب عبد العزيز الكلابي وكانت فرسه قد عضته فأثرت فيه مثل الحلقة فسمى به (٢) اليفاع ما ارتفع من الارض وتشب توقد والمقرور الذى أصابته القرة بالكسر وهى البرد ويصطليانها يسخنان بها والندى الكرم وعطف عليه اسم الممدوح للدلالة على تصاحبهما ومشاركتهما فى الالفة كانهما من جنس واحد

(٣) عكاظ سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتناشر ليلا والتصريف المتاجر نهارا

القوم مرة بعد أخرى ويشوسمها وقتا بعد وقت علّه يهتدى الى معرفتى فتأخذ بثأرها منى وتنكل بى لانى طالما أوقعت بها وأذقتها صنوف المذلة والهوان

(تنبيهان) أولهما الجملة الاسمية انما تفيد الثبوت فقط وقد تفيد الثبات والدوام أيضا عند القرينة اذا كان خبرها مفردا نحو محمد قائم أو جملة ليس فيها فعل نحو على أبوه كريم ـ أما اذا كان خبرها جملة فعلية فانها تفيد التجدد

(ثانيهما) المسند تارة يكون مفردا فعلا كان أو اسما ، وطورا يكون ظرفا طلبا للاختصار نحو على فى المدرسة . وحينا يكون جملة ويقع ذلك فى ثلاثة مواضع

(ا) أن يكون سببيا ويراد به ان يكون جملة معلقة على مبتدأ بعائد لا يكون مسندا اليه فى تلك الجملة نحو محمد أخوه نبيه . وابراهيم نجح ابنه

« ب » أن يقصد قصر الحكم على المسند اليه نحو أنا سعيت فى حاجتك أى لا غيرى

« حـ » أن يقصد تقوية الحكم بتكرار الاسناد نحو على فاز

تطبيق

بين فائدة التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية فى التراكيب الآتية

قال تعالى «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ ـ يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ ـ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ

السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً » وقال عليهِ السلام «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ - يأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُبَالِي الْمَرْءُ ما أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ » وقال الشاعر

عَلَى أَثَرِهِمْ تَسَاقَطُ نَفْسِي حَسَرَاتٍ وَذِكْرُهُمْ لِي سَقَامُ

وقال لبيد

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِداً لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

وقال الحماسي

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي

الباب الثاني في الانشاء وفيه ستة مباحث

المبحث الأول في تقسيمه الى طلبي وغيره

الانشاء قسمان طلبي وهو ما يستلزم مطلوبا ليس حاصلا في اعتقاد المتكلم وقت الطلب ، وغير طلبي كصيغ المدح والذم والعقود كبعت واشتريت والقسم وفعلي التعجب والاول هو الذى نبحث عنه هنا لان فيه من اللطائف والمزايا ما لا يقدر قدره ولا يسبر غوره

وأقسامه خمسة (١) أمر ونهى واستفهام وتمن ونداء

المبحث الثانى فى الامر

الامر طلب فعل على جهة الاستعلاء وله صيغ أربع

(١) فعل الامر كقوله تعالى (يا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ)

(٢) المضارع المقترن بلام الامر كقوله عز وجل (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ)

(٣) اسم فعل الامر نحو صَهْ ومَهْ وآمين بمعنى اسكت واكفف واستجب قال مجنون ليلى

يارَبِّ لاَ تَسْلُبَنِّي حُبَّها أَبَدًا ... وَيَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قالَ آمِينا

(٤) المصدر النائب عن فعل الامر نحو رِفْقاً بِالضُّعَفاء

وقد وردت صيغة الامر فى الاستعمال العربى لمعان كثيرة أهمها

(١) الايجاب نحو أَقِيمُوا الصلاةَ

(ب) الندب نحو فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ (٢) عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا

---

(١) لان المطلوب ان كان غير متوقع حصوله فهو التمنى وان كان متوقعا فأما حصول صورة شيء فى الذهن فهو الاستفهام وأما حصول صورة شيء فى الخارج فان كان انتفاء فعل فهو النهي وان كان ثبوته فاما باحرف النداء واما بغيرها فهو الامر

(٢) الضمير المنصوب للارقاء

«ج» الارشاد نحو يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه

«د» التهديد نحو اعملوا ما شئتم

«ه» الدعاء نحو رب أوزعني (١) أن أشكر نعمتك

«و» التعجيز نحو

يا لبكر أنشروا لى كليبا يا لبكر أين أين الفرار (٢)

«ز» التسوية نحو اصبروا أو لا تصبروا

«ح» الامتنان نحو فكلوا مما رزقكم الله

«ط» الاعتبار نحو انظروا الى ثمره إذا أثمر

«ى» التعجب نحو انظر كيف ضربوا لك الأمثال

«ك» التمني كقول امرىء القيس

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل (٣)

«ل» الدوام نحو اهدنا الصراط المستقيم

والصحيح أن صيغة الامر وضعت للايجاب فقط اذ هو المفهوم منها عند الاطلاق وما عداه يحتاج الى قرائن أخرى تحف به تستفاد

---

(١) قدرني (٢) انشر الله الميت أحياه (٣) الانجلاء الانكشاف والامثل الافضل كانه يقول ليزل ظلامك بضياء الصبح ثم قال وليس الصبح بافضل منك

من سياق الكلام ، وأنها لمطلق الطلب ويستفاد الفور أو التراخي بمعونة المقام

تمرين

بين ما يراد من صيغ الامر فى التراكيب الآتية

قال تعالى (قالُوا سَمِعْنا وأَطعْنا غفرانَكَ رَبَّنا وإِليكَ المَصيرُ ـ فَأْتوا بِسُورةٍ مِنْ مِثْلِهِ ـ ادْخلُوها بِسلامٍ آمِنينَ ـ فإِذا قُضِيَتِ الصلاةُ فانتَشِرُوا فى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ـ قُلْ تَمَتَّعُوا فإِنَّ مَصيرَكُمْ إِلى النارِ ـ فاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ ـ قُلْ فأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فاتْلُوها ـ رَبَّنا افْتَحْ بَيْنَنا وبينَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وأَنْتَ خَيْرُ الفاتِحينَ » وقال عليه السلام « افْشُوا السَّلامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعامَ وَصِلُوا الارْحامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ تَدْخُلُوا الجنَّةَ بِسلامٍ » وقال كثيّر عزة

أَسِيئِي بِنا أَوْ أَحْسِني لا مَلُومَةٌ ... لَدَيْنا وَلا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ (١)

وقال الآخر يا لَيْلُ طُلْ يانَوْمُ زُلْ ... يا صُبْحُ قِفْ لا تَطْلُعِ

﴿ المبحث الثالث فى النهى ﴾

النهى طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وليس له الا صيغة واحدة وهى المضارع مع لا الناهية نحو « ولا تُفْسِدُوا فى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها »

---

(١) المقلى المبغض اى مهما اخترت من الاساءة أو الاحسان فانا راض

ومتى ورد النهي استفيد منه التحريم والفور كما يفيده الاستعمال ويرشد اليه تصفح التراكيب، وقد يخرج عن ذلك الى معان أخرى مجازية تستفاد من سياق الحديث ـ أهمها

«ا» الدعاء نحو لا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ

«ب» الارشاد نحو لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ

«حـ» الدوام نحو وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ

«د» التيئيس نحو لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ

«هـ» الالتماس نحو قولك لمن يساويك لا تبرح من مكانك حتى أرجع

تمرين

أي المعاني يستفيدها المخاطب من جمل النهي الآتية

قال تعالى «رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ـ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ـ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ـ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ـ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّٰهُ»

وقال الهذلي

وَلَا تَسْقُطَنَّ سُقُوطَ النَّوَا ةِ مِنْ كَفِّ مُرْتَضِخٍ لَاقِطِ (١)

﴿ المبحث الرابع في الاستفهام ﴾

---

(١) رضخ النوى والحصى وغيرها من اليابس كسره

الاستفهام طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدواته الاحدى عشرة وهي الهمزة وهل وما ومن ومتى وأيان وكيف وأين وأنّى وكم وأى وتنقسم بحسب الطلب الى ثلاثة أقسام

«ا» ما يطلب به التصور تارة والتصديق أخرى وهو الهمزة

«ب» ما يطلب به التصديق فقط وهو هل

«ج» ما يطلب به التصور فقط وهو بقية الادوات

الكلام على الهمزة

للهمزة حالتان (الاولى) أن تكون لطلب تصور المفرد ومعرفته كمعرفة المسند اليه أو المسند أو معرفتهما معا كما تقول أمحمد مسافر أم محمود اذا كنت تعتقد أن أحدهما لا على التعيين مسافر فتطلب تعيينه فتجاب بأنه محمود مثلا ـ وتقول أعلى مسافر أم مقيم فتجاب بأنه مسافر أو مقيم وهذه الهمزة لا يليها الا المسئول عنه سواء أكان

(ا) مسندا كما تقول أبنيت الدار التي كنت أزمعت أن تبنيها. أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ـ تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لانك متردد في وجوده وانتفائه

(ب) أم مسندا اليه نحو أأنت ابتكرت هذه الخطبة. أأنت بنيت هذه الدار. تبدأ في هذا بالفاعل لانك لم تشك في الفعل أنه كان وكيف يجول ذلك بخاطرك وأنت تشير الى خطبة مكتوبة ودار مبنية وانما أنت تشك في الفاعل من هو، فلو قلت أأنت أنشأت الخطبة التي كان في

نفسك أن تكتبها ـ خرجت عن سنن العرب فى استعمالاتهم ـ وكذا لو قلت أبنيت هذه الدار ـ أقلت هذا الشعر ، قلت مالا يقال لفساد أن تقول فى شئ مشاهد نصب عينيك أهو موجود أم لا

(ج) أم مفعولا نحو أأياى تريد

(د) أم حالا نحو أمستبشرا جاء على

(هـ) أم ظرفا نحو أيوم الجمعة تسافر

وحكم همزة التقرير وهى التى تقرر بفعل قد كان وتنكر لم كان وتوبخ فاعله عليه ـ حكم همزة الاستفهام فى جميع ما تقدم فإذا قلت أأنت فعلت هذا كان غرضك أن تقرره بانه هو الفاعل وعليه قوله تعالى حكاية عن قول نمروذ (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذَا بِآلِهَتِنَا يا إبْرَاهِيمُ) اذ غرضهم أن يقر لهم بانه قد كسر أصنامهم لا أن يقر لهم بأنه هل حصل كسر يدل لذلك جوابه عليه السلام بقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هـذَا) ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل

ومثلها همزة الانكار وهى ما يراد بها انكار وجود الفعل من أصله كقوله تعالى (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ المَلاَئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولونَ قَوْلاً عَظِيماً) وقوله (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى البَنِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) فهذا رد على المشركين وتكذيب لهم فى مقالهم الشنيع المؤدى الى الجهل العظيم بمقام الالوهية ـ واذا قدم الاسم فى هـذا

صار الانكار فى الفاعل كما تقول للرجل يدعى أنه قال قصيدة كذا أأنت قلت هذه القصيدة ـ كلا لست ممن يحسن أن يقول مثلها

وتلك التفرقة فيما اذا كان الفعل ماضيا ـ أما اذا كان مضارعا دالا على الاستقبال فهو على ضربين

(١) أن يكون بعد الهمزة لفعل لم يكن وفى تلك الحال اذا بدىء بالفعل كان المعنى بالانكار أن الفعل لا يكون أو أنه لا ينبغى أن يكون فالاول كقوله تعالى (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) وقول امرىء القيس

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال (١)

أراد تكذيب شخص قد توعده بالقتل فانكر عليه أنه يستطيع ذلك ، والثانى كما تقول لرجل يلقى بيديه فى التهلكة ، أتغرر بنفسك وقولك لرجل يتناسى الجميل ، أتنسى قديم احسان فلان اليك من أجل أن قلب له الزمان ظهر المجن ، كما قال عمارة بن عقيل فى خالد الشيبانى

أأترك أن قلت دراهم خالد زيارته إني إذا للئيم

واذا بدىء بالفاعل فقيل أهو يمنعنى من كذا كان الانكار موجها الى الفاعل وأنه ليس بمظنة صدور الفعل عنه فكأنه يقال ، ان غيره هو الذى

---

(١) المشرفى منسوب الى مشارف اليمن وهى بلاد تعمل فيها السيوف وسهام مسنونة حادة النصال وزرق صافية مجلوة كانياب الاغوال فى الحدة

يستطيع ذلك وقد وضع نفسه فى غير موضعها

واذا بدىء بالمفعول كان الانكار موجها الى وقوع الفعل على المفعول فاذا قلت أمحمدا تعنف. كنت قد أنكرت ان يكون أهلا لان يعنف او يجترأ عليه، ولهذا قدم غير فى قوله تعالى «قلْ أغيرَ اللهِ أتَّخذُ وَلِياًّ» لما كان التقديم يفيد معنى قولك أيكون غير الله بمثابة من يتخذ وليا وان يرضى عاقل من نفسه بذلك

(٢) أن يكون المضارع بعد الهمزة لفعل قد كان، وتقديم الاسم فى هذا الضرب يفيد ما أفاده فى الماضى من افادة التقرير أو انكار أن يكون هو الفاعل، فالاول كما تقول للرجل يبغى ويظلم، أأنت تجيء الى الضعيف فتغصب ماله، وعلى حد ذلك جاء قوله تعالى (أفأنتَ تُكرِهُ النَّاسَ حتَّى يَكونُوا مُؤْمنينَ) والثانى كقوله تعالى (أهُمْ يَقْسِمونَ رَحمةَ رَبّكَ)

﴿تنبيه﴾ يجوز أن يذكر مع همزة التصور معادل بعد لفظة أم كما تقول أفى الدار أخوك ام فى المدرسة، ويجوز حذفه نحو أأنت فعلت هذا، أراغب أنت فى أنجاز حاجتى

(الحالة الثانية) أن يطلب بها التصديق، والاستفهام حينئذ يكون عن نسبة يتردد العقل فى ثبوتها ونفيها

والكثير أن يكون ذلك بجملة فعلية نحو أقدم صديقك، ويقل أن يكون بجملة اسمية نحو أقادم صديقك، وفى هذه الحالة يجاب بنعم أو بلا

ويمتنع ان يذكر مع هذه معادل ، فان جاءت أم بعدها قدرت منقطعة بمعنى بل

﴿ الكلام على هل ﴾

هل حرف لطلب التصديق فقط أى معرفة وقوع النسبة او عدم وقوعها فتقول هل قدم أخوك فيكون الجواب نعم أو لا

ومن قِبَل انها للتصديق فقط باعل الوضع امتنع استعمال معادل لهافى الكلام وقبح استعمالها فى بعض التراكيب ، فيمتنع ان تقول هل على قدم أم خالد . لان وقوع المفرد وهو خالد بعد كلمة ام دليل على انها ام المتصلة وهى يطلب بها تعيين احد الامرين فقط ، فلا بد حينئذ من ان يعلم اصل الحكم اولا ثم يطلب تعيينه ، وهذا مناف لاصل وضع هل لانها لطلب الحكم المجهول ، فوجود هل وأم فى تركيب واحد يؤدى الى التناقض اذ هل دالة على جهل الحكم وأم المتصلة تفيد علم السائل به ؛

ويقبح استعمالها فى التراكيب التى هى مظنة العلم بمضمون الحكم نحو هل محمدا كافأت ، فان تقديم المعمول على الفعل للتخصيص غالبا (١) فيفيد علم الحكم لدى المتكلم وانما يطلب المخصص فقط فاذا تكون هل لتحصيل ما هو حاصل وهو عبث

(تنبيهات) الاول هل كالسين وسوف تخلص المضارع للاستقبال فلا يصح

---

(١) ومن غير الغالب أن يكون التقديم للاهتمام بالمقدم وحينئذ فلا يفيد التقديم العلم بالحكم

أن تستعمل فيما هو للحال فلا يقال هل تهر هذا وهو ابوك بل يقال أتهر، ولاجل اختصاصها بالتصديق وتخليصها المضارع الاستقبال كان من الراجح استعمالا ان توصل بفعل لفظا او تقديرا نحو هل يقدم هاشم من السفر، وهل هاشم يقدم من السفر، فان جاءت في التركيب معدولا بها عن الفعلية الى الاسمية كان ذلك لنكتة تلاحظ لدى البلغاء وهي ان يجعل ما سيحصل كأنه حاصل موجود اهتماما بشأنه وعناية بأمره ولذا كان قوله تعالى (فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) أدل على طلب الشكر من العباد من فهل تشكرون، وفهل انتم تشكرون [1]

(الثاني) هل نوعان بسيطة وهي ما يستفهم بها عن وجود الشيء في نفسه او عدم وجوده نحو هل العنقاء موجودة، ومركبة وهي التي يستفهم بها عن وجود شيء لشيء نحو هل علي كريم

(الثالث): علمت مما تقدم ان همزة التصور يليها المسئول عنه، وهمزة التصديق وهل لا يشترط فيهما ذلك، لان السؤال بهما انما هو عن النسبة

﴿ الكلام على بقيه الادوات ﴾

(من) يطلب بها تعيين العقلاء، كقولك من بنى الأهرام

(ما) نوعان (١) ما يطلب به ايضاح الاسم وشرحه نحو ما الغضنفر فتجيب بانه الاسد (٢) ما يطلب به بيان حقيقة المسمى نحو ما الحسد فتجيب بانه تمني زوال نعمة المحسود

---

(١) اذ هي داخلة على الفعل تقديرا لان أنتم فاعل فعل محذوف يفسره المذكور

(أيان) يطلب بها تعيين الزمن المستقبل خاصة ، وتكون في مقام التهويل نحو (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ)

(متى) يطلب بها تعيين الزمان ماضيا أو مستقبلا نحو متى قدمت، ومتى تسافر

(كيف) يطلب بها تعيين الحال نحو كيف سافرت

(أين) يطلب بها تعيين المكان نحو أين تذهب

(أنّى) تكون بمعنى كيف كما قال تعالى (أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) وبمعنى من أين كقوله عز وجل (يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا) وبمعنى متى كقولك أنى يفيض النيل

(كم) يطلب بها تعيين عدد مبهم نحو (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ)

(أي) يطلب بها تمييز أحد المتشاركين في شيء يعمهما كقوله تعالى (أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً) وهي حسب ما تضاف اليه فيسئل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد والعاقل الى غير ذلك

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي الى معان أخرى تفهم من سياق الحديث ودلالة الكلام كالتقرير والانكار والتوبيخ وقد تقدم بيانها . ومنها أيضا

(١) الأمر نحو فهل أنتم منتهون

(٢) النهي نحو أتخشونهم والله أحق أن تخشوه

(٣) التعظيم نحو من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه

(٤) التشويق نحو هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم

(٥) النفي نحو هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

(٦) التعجب نحو مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق

(٧) التنبيه على الضلال نحو فأين تذهبون

(٨) التمني نحو فهل لنا من شفعاء

(٩) التكثير نحو وكم من قرية أهلكناها

(١٠) التهكم والاستهزاء نحو أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا

تمرين

بين المعاني التي تستفاد من الاستفهام في الجمل الآتية مع ذكر أدواته.

قال تعالى ألم نربك فينا وليدا — أيحسب الإنسان أن يترك سدى — مالي لا أرى الهدهد — أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر — أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير — أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون — هل علمتم ما فعلتم بيوسف

وأحيه – أليس الله بكاف عبده – متى نصر الله – الا تحبون أن يغفر الله لكم – أهذا الذي بعث الله رسولا – كذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً ، ألم تك أرض الله واسعة فتهاجروا فيها – هل في ذلك قسم لذي حجر [1] وقالوا في المثل أين الشجي من الخلي وقال النابغة

ولست بمستبق أخاً لا تلمه · على شعث [2] أي الرجال المهذب

ألستم خير من ركب المطايا · وأندى العالمين بطون راح

مالي أكتم حباً قد برى جسدي · وتدعي حب سيف الدولة الأمم

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه · إذا كنت تبني وغيرك يهدم

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها · كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

﴿ المبحث الخامس في التمني ﴾

التمني طلب شيء محبوب لا يرجى حصوله أما لكونه مستحيلا كقوله

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها · عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

وأما لكونه بعيد التحقق والحصول كما يقول أحد السُرّاق ، ليتني

---

(١) الحجر العقل (٢) أي اذا كنت لا تحمله على ما فيه من زلل فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشتت من أمره لا تستبق مودته لانك لا تجد من يسلم من الزلات

أمر، فان كان منتظر الحصول قريب الوجود كان ترجيا ويعبر فيه بلعل وعسى نحو «لعلّ اللهَ يُحدِثُ بعدَ ذلِكَ أمرًا» وقد يعبر فيه بليت كما قال المتنبى

فياليْتَ ما بيْني وبيْنَ أحِبَّتِي ... مِنَ البُعْدِ ما بيْني وبيْنَ المصائِبِ

وألفاظ التمني أربعة واحدة بالاصالة وهي ليت وثلاثة نائبة عنها وهي

«١» هل نحو «فهل لنا مِنْ شُفَعاءَ فيَشْفعوا لنا» ويبرز المتمنى بهافى شكل المستفهم عنه الذى لا يجزم بانتفائه اظهارا لكمال العناية به حتى لايستطاع الاتيان به الا فى صورة الممكن المطموع فى وقوعه

«ب» لو نحو «لوْ أنَّ لنا كرَّةً فنكُونَ مِنَ المؤْمِنينَ» ويتمنى بها اشعارا بعزة المتمنى حيث أبرز فى صورة ما لا يوجد. لان لو بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع

«ج» لعل ويتمنى بها اذا كان المرجو بعيدا ميئوسا من حصوله نحو

أسِرْبَ القَطا هلْ مَنْ يُعيرُ جَناحَهُ ... لعلّي إلى مَنْ قد هوِيتُ أطِيرُ

﴿تنبيه﴾ يتمنى بهلاّ وألاّ ولولا ولوما وهي ألفاظ مركبة من هل ولو مع لا وما وأصل ألاّ هلا قلبت الهاء همزة. لتتعين دلالتها على معنى التمني ويزول احتمال الاستفهام والشرط ويتولد من التمنى معنى التندم فى الماضى نحو هلاّ سافرت [1] ومعنى التحضيض فى المستقبل نحو هلاّ

«١» فيكون المعنى ليتك سافرت. فيصير المخاطب بهاعهنا آدبها على ترك السفر

تُخلص في عملك [١] . ولاستعمال هذه الادوات في التمني ينصب المضارع في جوابها

تمرين

بين المعاني التي تستفاد من صيغ التمني في التراكيب الآتية

قال تعالى حكاية عن الظالم (يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً — هل إلى مردٍّ من سبيل ، لعلّي أبلغُ الأسباب أسبابَ السموات فأطّلعَ إلى إلهِ موسى) وقال الشاعر

ليتَ الشبابَ الذي مجدٌ عواقبُهُ — فيه نلذُّ ولا لذاتِ للشيبِ

ليتَ هنداً أنجزتنا ما تعِدْ — وشفَتْ أنفسَنا مِمّا نجِدْ

﴿ المبحث السادس في النداء ﴾

النداء هو طلب الاقبال بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه وأدواته ثمانية الهمزة وأي ويا وآ وآي وأيا وهيا ووا . وهي في الاستعمال نوعان

(١) الهمزة وأي للقريب

(ب) باقي الادوات للبعيد

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة او أي تنبيها على أنه لا يغيب عن القلب بل هو حاضر في الفؤاد واللب ، فكأنه حاضر الجثمان

---

(١) تفيد الحث على الاخلاص فيه [illegible] (٢)

ليس بناء عن البيان كقوله

أسكان نعمان الاراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبي سكان(١)

كما قد يعكس فينزل القريب منزلة البعيد فينادى بأدوات البعيد أما

«١» للاشعار بأن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن فيجعل بعد المنزلة كأنه بعد في المكان كقولك يا الله وقول الخادم لسيده أيامولاى وهو معه

«٢» الاشارة بأنه وضيع منحط الدرجة كقول فرعون لموسى عليه السلام مزدريا به مستهزئا منه «إني لأظنك ياموسى مسحوراً»

«٣» للتنبيه على أن السامع غافل لاه لذهول أو نوم فتعتبره كأنه غير حاضر معك في مجلسك كما تقول للساهى أيا على

(تتمة) قد لا يقصد بألفاظ النداء معناها الاصلي وهو الطلب بل يراد بها معان أخرى تستفاد من القرائن أشهرها

«ا» التحسر نحو ياليتني كنت تراباً وقوله

أياقبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا(٢)

«ب» التذكر كقوله

أيامنزلي سلمى سلام عليكما هل الأزمن اللاتي مضين رواجع

«ج» التحير والتضجر وقد كثر ذلك في نداء الاطلال والطايا كقوله

---

(١) نعمان الاراك موضع والربع المنزل (٢) المترع المملوء

أيا منازل سلمى أين سلماك ... من أجل هذا بكيناها بكيناك (١)

«د» التعجب نحو يا حسرة على العباد وقول طرفة بن العبد

يا لك من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري (٢)

«ه» الاختصاص نحو رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أي يا أهل البيت

«و» الندبة نحو وامحمداه

(تنبيهان) الأول الأكثر أن يصحب النداء أمر أو نهى نحو (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله (٣)» وقل أن تصحبه الجملة الخبرية نحو يا عباد لا خوف عليكم اليوم، او الاستفهامية نحو يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر

«الثاني» قال الزمخشري كثر في القرآن النداء بيا أيها دون غيره لأن فيه أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة لما في «يا» من التأكيد والتنبيه وما في «ها» من التنبيه وما في التدرج من الابهام في (أي)

---

(١) يقصد أنه بكي على سلمى وبكى على المنازل لعدم وجود سلمى بها فقوله بكيناها أى سلمى وبكيناك اى المنازل وفيه حذف حرف العطف (٢) الشطر الثاني يضرب مثلا للحاجة يتمكن منها صاحبها «٣» هذا من قبيل التمثيل والمراد لا تقطعوا أمرا حتى يحكم الله ورسوله فيه فتكونوا عاملين بالوحي ومقتدين بالرسول

الى التوضيح بما بعدها . والمقام مقتض لذلك لان كل ما نادى له عباده من أوامر ونواه وعظات وزواجر ووعد ووعيد . أمورٌ عظام وخطوب جسام يجب أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم اليها وهم عنها غافلون

﴿ تطبيق ﴾

قال تعالى يا قومِ ما لِيَ أدعوكم إلى النجاةِ وتدعونني إلى النارِ — يا أيها الناسُ أنتمُ الفقراءُ إلى اللهِ — وقيل بناتِيَ يُكشفُ الضبابُ (١)

يا ناقُ جِدّي فقد أفنتْ أناتُكِ بي
صبري وعمري وأحلاسي وأنساعي (٢)

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يُحسنونهُ

يا لَقومي ويا لأمثالِ قومي ... لأناسٍ عتوُّهم في ازديادِ

صاحِ شمّرْ ولا تزلْ ذاكرَ المو ... تِ فنسيانُهُ ضلالٌ مبينُ

﴿ الباب الثالث في الذكر ﴾

لم يتعرض لهذا الباب كثير من الائمة الذين كتبوا في هذا الفن كأبي

---

(١) يريد يا حلال معضلات الامور (٢) الأناة التؤدة والتأني والأحلاس جمع حلس وهو كساء يطرح على ظهر البعير والانساع جمع نسع وهو سير ينسج عريضاً يوضع في صدر البعير . يريد الى متى هذا الابطاء

هلال العسكري وعبد القاهر وابن الاثير ومن نحا نحوهم وكأنهم أغفلوه لانهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا مايسوّغ البحث عنه فى علوم الفصاحة فهو بمباحث علم النحو أشبه ، لاسيما أن اعتبارات الذكر لاتكاد تدخل تحت حصر فأجدر بها أن توكل الى بصيرة السامع دون تحديد ولا تقييد

وقد أوسع الكلام فيه السكاكى ومن اتبع سبيله ، لكنهم لم يردفوا الكثير من النكات التى ذكروها بآية من التنزيل أو أثر من السنة الشريفة أو شاهد عربي يؤيد ما رسموه ، وخلاصة ما قالوه أن المسند اليه وهو المبتدأ والفاعل ونائبه يذكر وجوبا اذا لم تقم قرينة تدل عليه والا كان الكلام معمىً مبهما لا يستبين المراد منه ، ويترجح ذكره اذا وجدت القرينة لنكات أهمها

«ا» زيادة الكشف والايضاح للسامع كقوله تعالى أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ففى تكرير اسم الاشارة تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح أيضا ـ فجعلت كل واحدة منهما فى تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التى لو انفردت كفت على حيالها كذا فى الكشاف بتصرف

«ب» التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الانكار كما يقول القاضى للشاهد هل أقر على هذا بأن عليه لمحمد كذا فيقول الشاهد نعم على هذا أقر بأن عليه كذا

(ج) بسط الكلام فى مقام الافتخار كأن تقول فى جواب من نبيك ، نبينا محمد حبيب الله سيد الانبياء والمرسلين

(د) التعجب اذا كان الحكم غريبا كقولك فى جواب هل على يصرع الاسد ، على يصرع الاسد ، ويذكر المسند لنكات منها

(ا) الرد على المخاطب نحو قل يحييها الذى أنشأها أول مرة بعد قوله تعالى من يحيي العظام وهي رميم

(ب) افادة أنه فعل فيفيد التجدد أو اسم فيفيد الثبوت كما تقدم ذلك

﴿ الباب الرابع فى الحذف وفيه أربعة مباحث ﴾

المبحث الاول فى أسرار الحذف وشروطه

قال فى دلائل الاعجاز هذا باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الامر شبيه بالسحر فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة ، وتجدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبن . وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر . والاصل فى جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون فى الكلام ما يدل عليها والا كان الحذف تعمية والغازاً لا يصار اليه بحال ، ومن شرط حسن الحذف أنه متى أظهر المحذوف زال ما كان فى الكلام من البهجة والطلاوة وصار الى شيء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولا ، ثم ان الحذف على ضربين ضرب يظهر فيه المحذوف

عند الاعراب كقولنا أهلا وسهلا ، فان نصب الاهل والسهل يدل على ناصب محذوف يقدر بنحو جئت أهلا و نزلت مكانا سهلا وليس لهذا الضرب من الحسن والأريحية ما تجده فى قسيمه الثانى

الضرب الثانى مالا يظهر بالاعراب وانما تعلم مكانه اذا أنت تصفحت المعنى ووجدته لايتم اذا لم تعطه صفحة وجهك كما يقال فلان يحل ويعقد اذ من البين أن المعنى يحل الامور ويعقدها ، ولكن لا سبيل لك الى اظهار المحذوف ولو أنت اظهرته ضاع منك ما لا تقدر على رده من الملاحة والحسن . وينقسم الحذف ايضا الى حذف جمل وحذف مفردات كما ستعرف ذلك بعد، وانما نذكر هنا حذف المسند والمسند اليه ومتعلقات الفعل لاعتبارات تختص بها

﴿ المبحث الثانى فى حذف المسند اليه ﴾

يحذف المسند اليه لاغراض منها

(١) ظهوره بدلالة القرائن عليه كقوله تعالى فصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ

(٢) اخفاء الامر عن غير المخاطب كما تقول انتهت أى مسئلتك المعهودة بينكما

(٣) ضيق المقام عن أطالة الكلام بسبب التوجع والتضجر كقوله

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ   سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

أو بسبب فوات فرصة سانحة كقول من رأى طياراً مقبلا . طيار أى هذا طيار

(٤) المحافظة على سجع كقولهم من طابت سريرته حُمدت سيرته أى حمد الناس سيرته

(٥) المحافظة على قافية كقول لبيد

وَما المَالُ وَالأَهْلُونَ إلاَّ وَدَائِعُ وَلاَ بُدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ(١)

والامام عبد القاهر لا يحفل بمثل هاته النكات اللفظية بل يرجعها الى عال تفخيم شأن المعنى

(٦) اتباع الاستعمال كقولهم فى المثل رَمْيَةٌ مِنْ غَيرِ رَامٍ (٢) أى هذه رمية أو الوارد على ترك نظائره كما فى الرفع على المدح أو الذم أو الترحم فانك لا تكاد تجد المبتدأ يذكر فى هذه المواضع فيقولون بعد أن يذكروا الممدوح غلام من شأنه كذا وكذا . أوفتى من شأنه كيت وكيت كما قال ابن عنقاء الفزارى يمدح عُمَيلة وقد شاطره ماله لما رآه معوزاً

رَآنِى عَلَى مَا بِى عُمَيلةُ فاشْتَكَى إلى مالِهِ حالِى أَسَرَّ كما جهَرْ

«١» فلو قيل أن يرد الناس الودائع لاختلفت القافية فتكون منصوبة مع انها كلها بالرفع «٢» يراد رمية مصيبة من رام غير محسن يضرب مثلا لمن صدر منه فعل حسن ليس أهلا لان يصدر منه قاله الحكم بن عبد يغوث المنقرى

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا ... لَهُ سِيمِيَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرْ(١)

وكما قال أبو الاسود يمدح عمرو بن سعيد بن العاصى

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي ... أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ... وَلَا مُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا ... فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ(٢)

وبعد أن يذكروا الديار والمنازل . ربع كذا وكذا قال

اعْتَادَ قَلْبَكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ ... وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ الْمَكْنُونَةَ الطَّلَلُ

رَبْعٌ قَوَاءٌ أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتُ بِهِ ... وَكُلُّ حَيْرَانَ سَارٍ مَاؤُهُ خَضِلُ(٣)

﴿ المبحث الثالث فى حذف المسند ﴾

يحذف المسند لاغراض منها

(١) قصد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر(٤) مع ضيق المقام بسبب التوجع كقول ضابئ البُرْجُمي من أبيات قالها فى الحبس

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

الرحل المنزل وقيار فرسه وتقدير الكلام فانى لغريب وقيار كذلك

---

(١) رماه أراده واليافع الشاب والسيمياء الحسن والبهجة

(٢) النعل زلت يكنى به عن تغير حاله والخلة الفاقة (٣) أذاع المعصرات أنزلت ماءها بكثرة والحيران السارى هو المزن يجرى ليلا والخضل المبال بالماء وربع قواء لاأنيس به (٤) لانه لاعبث فى ذكره على الحقيقة إذ هو احد ركنى الاسناد

والباعث على تقديم قيار على خبر أن قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب ، حتى كأن قيارا تأثر بما تأثر هو به أيضا ومثله(١) قول قيس بن الخطيم

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأَنْتَ بِمَا ... عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

ومن الحذف للاحتراز عن العبث قوله تعالى وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك

(٢) الثقة بشهادة العقل كما تجيب من قال هل لك أحد أن الناس إِلْبٌ عليك (٢) ، أن محمدا وان عليا أى ان لى محمدا وان لى عليا . وعليه قول الاعشى

إِنَّ مَحَلّاً وَإِنَّ مُرْتَحَلاً ... وَإِنَّ فى السَّفْرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلاً

أى أن لنا محلا فى الدنيا وأن لنا مرتحلا عنها الى الآخرة

(٣) الدلالة على الاختصاص نحو قوله تعالى (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى) تقديره لو تملكون تملكون مكررا لفائدة التأكيد ، فحذف الفعل وانفصل الضمير فأفاد اختصاص الناس بالشح المتناهى ، وقول حاتم لَوْ ذَاتُ سِوارٍ لَطَمَتْنِى (٣)

(٤) قيام القرينة لوقوعه فى جواب سؤال محقق نحو وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

---

(١) مثله فى الحذف وان كان هذا من حذف الاول لدلالة الثانى عليه

(٢) القوم يجتمعون على عداوة انسان

(٣) يضرب مثلا لكريم يظلمه ويهينه اللئيم والعرب تكنى عن الحرة بذات السوار

مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ، او مقدر نحو يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ فى قراءة من بنى الفعل للمجهول أي يسبح رجال

﴿ المبحث الرابع فى حذف المفعول ﴾

للفعل رابطة بكل من الفاعل والمفعول وان تنوعت جهتها ، فارتباطه بالفاعل لافادة وقوعه منه لا أفادة وجوده فى نفسه ، وارتباطه بالمفعول لبيان وقوعه عليه . ولاختلاف نوع الارتباط اختلف العمل فعمل فى الفاعل الرفع وفى المفعول النصب ؛ أما اذا أريد الاخبار بوقوع الفعل فى ذاته فالعبارة التى تدل عليه أن يقال كان كذا أو وجد أو نحو ذلك من الالفاظ التى تدل على الوجود المجرد

اذا علمت ذلك نقول ، الفعل المتعدى اذا أسند الى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين

(الاول) أن يكون الغرض أثبات المعنى فى نفسه للفاعل من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه وحينئذ يكون المتعدى بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول لئلا يتوهم السامع أن الغرض الاخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول ألا ترى انك اذا قلت فلان يعطى الدنانير كان المقصد بيان جنس المعطى لا بيان كونه معطيا ويكون كلاما مع من أثبت له اعطاء غير الدنانير ــ وهذا الضرب نوعان

(١) أن يذكر الفعل وينوى له مفعول مخصوص قد علم موضعه من

سبق ذكر أو دليل حال ألا أنك تنسيه نفسك وتخيل انك لم تذكر ذلك الفعل ألا لان تثبت نفس معناه من غير أن تعديه الى شيء أو تنوه فيه بمفعول وعليه قول البحتري يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله

شَجْوٌ (١) حُسَّادِهِ وَغَيْظُ عِدَاهُ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ

المعنى لامحالة أن يرى مبصر مآثره ويسمع واع أخباره لكنه تغافل عن ذلك وأبعده عن وهمه ليتسنى له أن يبين أن محاسن الممدوح قد ذاع صيتها واشتهر أمرها فلا تخفى على ذى بصر وسمع فيكفى لمعرفتها أن يقع عليها البصر ويعيها السمع حتى يعلم الرائى والسامع أنه لايليق لمقام الخلافة غيره ؛ ومن ثم ترى الاعداء والحساد يتمنون ألاتوجد عين تبصر ولاأذن تسمع لتخفى هذه الفضائل فيجدوا الى منازعته فيها سبيلا

(ب) ألا يقصد النص على معلوم كقولهم فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ويضر وينفع ويعطى ويجزل ؛ فلا تعرض فى ذلك لحديث المفعول ومن ذلك قوله تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) اذ المعنى هل يستوى من له علم ومن لا علم له وقوله عز وجل (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا)

(الثانى) أن يكون الغرض افادة تعلقه بمفعول ؛ ويجب تقديره

---

(١) أشجاه الأمر أحزنه

بحسب القرائن ويحذف لدواع منها

(١) البيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة اذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابة كما تقول لو شئت جئت ولو شئت لم أجيء ، تقديره لو شئت المجيء أو عدم المجيء . لانك متى قلت لو شئت علم السامع أن هاهنا شيئا تعلقت المشيئة بوجوده أو عدمه فاذا قلت جئت أو لم أجيء عرف ذلك الشيء ، ومن هذا الباب قوله تعالى (فإنْ يَشإِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ)

وقول البحترى

لوْ شِئْتَ لمْ تُفْسِدْ سَماحَةَ حاتِمٍ كَرَماً وَلَمْ تَهْدِمْ مآثِرَ خالِدِ

فان كان فى تعلق الفعل به غرابة ذكر المفعول ليتقرر فى نفس السامع ويأنس به كما يقول الرجل مخبرا عن عزه ، ان شئت ان ألقى الخليفة كل يوم لقيته ، وعليه قوله تعالى لوْ أَرَادَ اللهُ أنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ ، وقول اسحق الخُرَيمى يرثى حفيده

وَلوْ شِئْتُ أنْ أبْكي دَماً لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلكِنْ ساحَةُ الصَّبْرِ أوْسَعُ

لانه لما كان من البدع العجيب أن يشاء رب العالمين ولدا وأن يريد الانسان بكاء الدم صُرّح بذكر المفعول

(٢) دفع توهم السامع من أول وهلة ارادة شيء غير ما يراد كقول البحترى يذكر ذودالممدوح عنه وجميل مساعدته أياه

وَكَمْ ذُدْتَ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ
وَسَوْرَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ (١)

اذ لو قال حززن اللحم لجاز أن يدور في خلد السامع قبل ذكر ما بعده أن الحز كان في بعض اللحم ولم يصل الى العظام فترك ذكر اللحم لينفي عن فكره ما ربما يختلج بخاطره بادئ بدي

(٣) ارادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظه لكمال العناية به والاهتمام بوقوعه عليه كقول البحتري أيضا

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّؤْ   دَدِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلاَ

تقديره طلبنا لك مثلا فلم نجده فحذف المثل ليوقع نفي الوجود على صريح المثل . ولهذا المعنى عكس ذو الرمة في قوله

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأُرْضِيَهُ بِشِعْرِي   لَئِيماً أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالاَ

فانه أعمل الفعل الاول وهو أمدح في لفظ اللئيم وأعمل أرضي في ضميره لان غرضه ايقاع نفي المدح على اللئيم صريحا دون الارضاء ولو عكس لكان يكون قد أبهم الامر فيما هو الاصل وأبانه فيما ليس أصلا

(٤) قصد التعميم باختصار كما تقول قد كان منك ما يؤلم أي ما الشأن في مثله أن يؤلم كل أحد وعليه قوله تعالى وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ

---

(١) سورة الايام حدتها

أى جميع عباده

(٥) رعاية الفاصلة كقوله تعالى (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وقال صاحب الكشاف ان حذف المفعول فى مثل هذا للاختصار اللفظى للعلم به

(٦) استهجان ذكره كقول عائشة (ما رَأَيْتُ مِنهُ وَلاَ رَأى مِنّى) أى العورة

(٧) مجرد الاختصار كقولك أصغيت اليه أى أذنى وأغضيت عليه أى بصرى ومنه قوله تعالى (أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللهُ رَسُولاً) أى بعثه الله

تمرين

بين أسباب ذكر المسند اليه أو المسند أو حذفهما أو حذف المفعول فى الجمل الآتية

قال تعالى (وَأَنَّا لاَ نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ـ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ـ وما أَدْرَاكَ ماهِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ـ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ـ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) وقال بديع الزمان : العلم شىء بعيد المرام ، لا يصاد بالسهام ، ولا يرى فى المنام ، ولا يضبط باللجام ، ولا يورث عن الآباء والاعمام ، بل هو شىء لايدرك الا بركوب الخطر ، وادمان السهر ، وكثرة النظر ، واعمال الفكر

وقال البحتري

لَوْ شِئْتُ عُدْتُ بِلَادَ نَجْدٍ عَوْدَةً ... فَحَلَلْتُ بَيْنَ عَقِيقِهِ وَزَرُودِهِ (١)

فَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِلْ وَإِنْ شِئْتُ أَرْقَلَتْ
مَخَافَةَ مَلْوِيٍّ مِنَ الْقِدِّ مُحْصَدِ (٢)

وقال طُفَيْل الغَنَوِيّ لبني جعفر بن كلاب

جَزَى اللّٰهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَقَتْ ... بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ
أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا ... تُلَاقِي الَّذِي لَاقَوْهُ مِنَّا لَمَلَّتِ
هُمُ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَأَلْجَئُوا ... إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتِ (٣)

كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَلَكِنْ ... أَعْوَزَ الْعُذْرُ مِنْ بَيَاضِ الْعِذَارِ (٤)

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ سَرَّكَ الْأَمْرُ سَرَّهُ ... وَإِنْ سَاءَ أَمْرٌ ظَلَّ وَهُوَ حَزِينُ

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي ... بَرِيئًا وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي (٥)

---

(١) العقيق والزرود موضعان (٢) الارقال سرعة السير والقد السوط والمحصد والملوي المفتول (٣) في هذا حذف المفعول في اربعة مواضع اذ الاصل لملتنا وألجئونا وادفأتنا واظلتنا (٤) تقدير المحذوف كل عذر مقبول او مسموع (٥) الطوي البئر المبنية وقد كان خصمه رماه بالمصوبة

وإذا القرابة أقبلت بمودة ... فاشدد لها كف القبول بساعد

قد قال عندي لي هناك أني ... فأجبت وقلت كذبت متى
فقال حسبك ذو خفر ... وكبير السن فقلت فتى (١)

﴿ الباب الخامس فى التقديم وفيه أربعة مباحث ﴾

المبحث الاول فى حسن التقديم وأقسامه

قال الامام عبد القاهر هذا باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، لا يزال يفتر (٢) لك عن بديعة ، ويفضي بك الى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك . ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان الى مكان ،

واعلم أن التقديم ضربان ضرب يكون التقديم فيه هو الابلغ وذلك كتقديم المفعول على الفعل والخبر على المبتدأ الى غير ذلك مما سيأتي فى هذا الباب ، وضرب يكون التأخير فيه هو الابلغ اذ بالتقديم يختل المعنى ويضطرب وذلك هو المعاظلة المعنوية كتقديم الصفة على الموصوف والصلة على الموصول كما علمت ذلك فى المقدمة

﴿ المبحث الثانى فى تقديم المسند اليه ﴾

ذكر القوم هنا نكات كثيرة واعتبارات عديدة للتقديم . قد لا يعتد

---

(١) خفرت الجارية استحيت اشد الحياء (٢) يكشف ويبين

بجُلّتهـا البلغاء ، ولذا رأينا أن نسوق منها ما نرى الحاجة اليه ماسة وذلك

(١) التشويق الى المتأخر اذا كان المتقدم مشعرا بغرابة كقول أبي العلاء

وَالذِي حارَتِ البَرِيّةُ فِيهِ   حَيَوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمادِ

يريد أن الخلائق تحيرت في المعاد الجسماني ، يدل لذلك قوله قبله

بانَ أمْرُ الإلهِ واخْتَلَفَ النَّـــاسُ فَدَاعٍ إلى ضَلالٍ وَهادِي

فإتيانه بالمسند اليه على تلك الشاكلة موصوفا بحيرة البرية فيه ، يستدعي تشوق السامع الى أن يعرف ما حكم به عليه ، فاذا جاء الخبر تمكن في النفس فضل تمكن لما تقدمه من التوطئة له

(٢) افادة التخصيص اذا كان الخبر فعلا وولي المسند اليه حرف النفي نحو ما أنا قلت هـذا أي لم أقله وهو مقول لغيري ـ لا تقول ذلك الا في شيء ثبت أنه مقول ، لكن تريد أن تنفي كونك قائلا له ومنه قول المتنبي

وما أنا أسقَمْتُ جِسْمي بِهِ   ولا أنا أضْرَمْتُ في القَلْبِ نارَا

اذ المعنى ان هذا السقم الموجود والضرم الثابت ما أنا الجالب لهما ، ولاجل هذا لا تقول ما أنا قلت هذا ولا أحد غيري للتناقض بين ما نطقت به في آخر الكلام وما يفهم من أوله ، ولا ما أنا رأيت أحدا من الناس لانه يفيد أن غيرك رأى كل أحد من الناس فنفيت ان تكونه ، ولا ما انا كلمت الا محمدا لان نقض النفي بالا يقتضي ان تكون كلمت محمدا ،

وتقديمك ضميرك وايلاؤه حرف النفي يقتضي نفي أن تكون كلمته فهما يتدافعان ، فان لم يل حرف النفي فاما أن يكون معرفة أو نكرة .

فان كان معرفة في الاثبات أفاد تقديمه أحد أمرين

(١) تخصيصه بالمسند ردا على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه كقولك أنا كتبت في مسئلة فلان . وأنا سعيت في حاجته ، ويؤكد على الاول بنحو لا غيري وعلى الثاني بنحو وحدي - ومن الواضح الجلي في ذلك قولهم في المثل (أتعلمني بضب أنا حرشته (١)) وقوله تعالى (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ (٢) مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) أي لا يعلم أسرارهم ولا يطلع على دخائل ما أبطنوا من الكفر الا نحن

(٢) تقوى الحكم فقط وتقرره لدى السامع بدون تخصيص كقولك هو يعطي الجزيل وهو يحب الثناء ، لا تريد أن غيره لا يعطي الجزيل ولا يحب الثناء ولا أن تعرض بانسان بل تريد أن تحقق على السامع أن اعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه وتمكن ذلك من نفسه . وعلة التقوى ما ذكره الامام عبد القاهر من أن الاسم لا يؤتى به معرى عن العوامل الا لحديث قد نوي اسناده اليه فاذا جئت بالحديث دخل على القلب دخول المأنوس به فان اعلامك بالشيء بغتة ليس كاعلامك به بعد التنبيه عليه

---

(١) حرش الضب صاده فهو حارش وهو ان يحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه ، يضرب العالم بالشيء مثلا لمن يريد تعليمه اياه

(٢) مرنوا واستمروا

يرشدك الى ذلك أن هذا الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه أنكار منكر نحو أن يقول الرجل ليس لى علم بالذى تقول ، فتقول له أنت تعلم أن الامر على ما أقول ولكنك تميل الى خصمى . وعليه قوله تعالى « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » وفى تكذيب مدع كقوله تعالى (وإذ جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) وفى المدح كقول الحماسى

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

وفى الافتخار كقول لبيد

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر (١)

والنفى كالاثبات فى ذلك فتارة يفيد التخصيص كما تقول أنت ما سعيت فى حاجتى . وتارة يفيد التقوى نحو أنت لا تكذب فانه أشد فى نفى الكذب من لا تكذب . وعليه قوله تعالى (والذين هم بربهم لا يشركون) فانه يفيد من التأكيد فى نفى الاشراك ما لا يفيده قولنا ، والذين لا يشركون بربهم . وان كان نكرة أخبر عنه بفعل أفاد أيضا أما تخصيص الجنس او الواحد به نحو رجل جاءنى أى لا امرأة أو لا رجلان

---

(١) المشتاة مكان الشتاء أو زمانه والجفلى الدعوة العامة الى الطعام والنقرى الدعوة الخاصة والآدب من يدعو الناس للمأدبة ـ يفتخر بالجود والكرم

وذلك لأن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة الى الجنس فقط كما اذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أتاك آت ولم يدر جنسه أرجل هو أم امرأة . أو اعتقد أنه امرأة ـ وتارة الى الواحد فقط كما اذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ولم يدر أرجل هو أم رجلان أو اعتقد أنه رجلان ـ وأما التقوى كما فى هذا المثال اذا أريد أن رجلا جاء ولا بد ، فلا يناقض أن امرأة جاءت أيضا

ومن مناهج العرب التي كأنها لازمة لهم فى كلامهم ، تقديم لفظ (مثل) اذا استعمل كناية من غير تعريض كما تقول مثلك لا يبخل ، ومثلك رعى الحق والحرمة ونحو ذلك مما لا يراد بلفظ مثل غير ما أضيف اليه كما قال المتنبي

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِي بِهِ … سِوَاكَ يَافَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ

بل يراد أن من كان هذا شأنه وتلك حاله كان من موجب العرف ومجرى العادة أن يفعل أو ألا يفعل ومنه قول المتنبي يعزي عضد الدولة بعمته

مِثْلُكَ يَثْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ … وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ (١)

وقول القبعثري مجيبا للحجاج على سبيل المغالطة حينما توعده بقوله لأحملنك على الأدهم (مثل الامير يحمل على الأدهم (٢) والاشهب) فانه

---

(١) الغروب مجاري الدموع والصوب القصد ويثني يدفع . يريد أنك قدير على دفع الحزن ورد الدموع الى مجاريها اذ لا مشبه لك (٢) الادهم الاول القيد والثاني الفرس الادهم

أراد أن من كان على هذه الصفة من السلطان وبسطة اليد يحمل لا أن يحمل له مثلا

وكمثل (غير) اذا سلك بها هذا المسلك تقول غيرى يفعل كذا على معنى أنك لا تفعله فقط لا أن تعرض بانسان آخر وعليه قول أبى تمام

وغيرِي يأكُلُ المَعْرُوفَ سُحْتاً وتَشْحَبُ عِنْدَهُ بِيضُ الأَيادِي (١)

لم يرد أن يعرِّض بشاعر سواه فيزعم أن الذى اتهم به من هجو الممدوح كان من ذلك الشاعر لا منه ، بل أراد أن ينفى عنه كفران النعمة وجحدها لا غير

(تنبيه) استعمال مثل وغير على تلك الشاكلة مما ركز فى الطباع وجرى على جميع الألسن ، فمن نحا بهما غير هذا النحو فقد قلب الكلام عن جهته وغيره عن صورته ، وما ذاك الا لأنه قد غفل عن سر تقدمهما وهو افادة تقوى الحكم وتأكيده

(٣) افادة التعميم والنص على شمول النفى وذلك حين تتقدم أداة العموم ككل ونحوها على أداة النفى بشرط أن تكون غير معمولة للفعل المنفى فيتوجه النفى اذ ذاك الى أصل الفعل ويعم ما أضيف اليه كل ، وعليه قول أبى النجم

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْباً كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

---

(١) السحت المال الحرام وتشحب تتغير

وعلة ذلك أنك اذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وذلك يقتضي ألا يشذ عنه شيء

اما أن قدم النفي على أداة العموم لفظا كقول أبي الطيب

ما كُلُّ ما يَتَمَنّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ　　　تجْرِي الرِّياحُ بِمالا تَشْتَهِي السُّفُنُ (١)

وقولك ماجاء القوم كلهم . وما جاء كل القوم ، أو تقديرا بأن قدمت أداة العموم على الفعل المنفي وأعمل فيها كقولك كلَّ الدراهم لم آخذ

توجه النفي الى الشمول خاصة دون أصل الفعل وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف اليه كل ان كانت كل فاعلا في المعنى لها أو تعلقه به ان كانت مفعولا لها ودليل ذلك الذوق والاستعمال

ونقل الشيخ البرقوقي في شرحه للتلخيص عن أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبده أنه قال ، قد يعدل بحسب الظاهر عما يدل على عموم السلب الى ما يفيد سلب العموم ، والسلب عام بحسب الحقيقة تعريضا بأن المخاطب شر هذا النوع كما جاء في الآيات الكريمة والله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ ـ والله لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ أثيمٍ الى غير ذلك ، تعريضا بمن نزلت فيهم من أعداء الله — فمعنى الآية الاولى أن محبة الله لا تعم المختالين الفخورين حتى تشمل هؤلاء فلو تعلقت محبته بمختال فخور لم تتعلق بأولئك

«١» وفي رواية بشتهي بالياء والسفن بفتح فكسر أي ربان السفينة

لان مختالهم وفخورهم شر مختال ونخور — وهكذا باقى الآى التى التى جاءت على هذا النمط

﴿ المبحث الثالث فى تقديم المسند ﴾

يقدم المسند لاغراض منها

(١) تخصيصه بالمسند اليه نحو لكُمْ دِينُكُمْ ولىَ دِينِ ـ للهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ـ لا فِيهَا غَوْلٌ أى بخلاف خمور الدنيا فانها تغتال العقول وتوجب دوار الرأس وتراخى الاعضاء وفتورها ، ولهذا لم يقدم الظرف فى قوله تعالى لا رَيْبَ فِيهِ لانه لو قدم لاقتضى ثبوت الريب فى سائر كتب الله تعالى ماعدا القرآن

(٢) التنبيه ابتداء دون حاجة الى تأمل فى الكلام على أنه خبر لا نعت كقول حسان يمدح النبي عليه السلام

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهى لِكِبَارِهَا ... وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا ... عَلَى البَرِّ كانَ البَرُّ أَنْدَى مِنَ البَحْرِ

وقوله تعالى ولَكُمْ فى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ

(٣) التفاؤل كقوله

سَعِدَتْ بِغُرَّةِ وجْهِكَ الأَيَّامُ ... وتَزَيَّنَتْ بِبَقائِكَ الاعْوَامُ

(٤) التشويق الى ذكر المسند اليه ويكثر ذلك فى باب المدح كقول

محمد بن وهيب يمدح المعتصم

ثَلاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِها   شَمْسُ الضُّحى وأَبُو إِسْحاقَ والقَمَرُ

وفى باب المواعظ كقول أبى العلاء

وكالنَّارِ الحَياةُ فَمِنْ رَمادٍ   أَواخِرُها وأَوَّلُها دُخانُ

﴿ المبحث الرابع فى تقديم متعلقات الفعل ﴾

الاصل فى العامل أن يقدم على المعمول وقد يعكس ذلك لاغراض، فيقدم المفعول ونحوه كالجار والمجرور والظرف والحال وما أشبه ذلك لاعتبارات منها

(١) التخصيص وهو لازم للتقديم غالبا بشهادة الاستقراء وحكم الذوق ولذا قال المفسرون فى قوله تعالى إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ان المعنى نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعين به — وقوله عز وجل إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ — لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ أى لا تعبدون سواه — ولا الى غيره تحشرون

وفى التقديم فائدة أخرى وهى الاهتمام بشأن المقدم — ومن ثم قدر المحذوف فى بسم الله مؤخرا أى بسم الله أفعل كذا بيانا لاهتمام الموحد بالاسم الكريم وردا على المشركين الذين كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات أو باسم العزّى، ولا يُشكل على هذا آية اقرأ باسْمِ رَبِّكَ بتقديم الفعل على اسم الله لان الامر بالقراءة فى ذلك الموضع أهم،

اذ بالقراءة حفظ المقروء عادة وذلك هو المقصود من الانزال فكان البدء بالقراءة أجدر وتقديم الفعل لاجل هذه النكتة أحق

(٢) رد المخاطب الى الصواب عند خطئه فى تعيين المفعول نحو محمدا كامت ، ردا على من اعتقد انك كامت غيره — أو فى ظن الاشتراك نحو عليا رأيت أى وحده ردا على من اعتقد أنك رأيت عليا ومحمدا ، ولاجل هذا لا يصح أن تقول ما محمدا كامت ولا أحدا من الناس لما فيه من التناقض . ولا أن تعقب الفعل المنفى باثبات ضده كأن تقول ما محمدا ضربت ولكن أكرمته لان الكلام لم يبن على أن الخطأ فى الفعل وهو الضرب حتى يرد الى الصواب بأنه الاكرام ، وانما بنى على ان الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنه محمد فرده الى الصواب أن يقال ولكن عليا مثلا

ويقدم بعض معمولات الفعل على بعض لاسباب منها

(١) ان التقديم هو الاصل ولا داعى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول نحو كلم محمد عليا — وتقديم المفعول الاول على الثانى نحو أعطيت محمدا درهما

(٢) كون ذكره أهم والعناية به أتم فيقدم المفعول على الفاعل اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه كما اذا عاث لص فاتك فى البلاد بالافساد وكثر أذاه فأمسك وأردت أن تخبر بذلك فتقول أمسك اللص الفاتك فلان ، اذ ليس للناس فائدة فى أن يعرفوا الممسك وانما الذى يهمهم علمه هو من أمسك ليتخلصوا من شره

ويقدم الفاعل اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه كما اذا كان شخص خمول لا يظن فيه أن يقوم بعمل جليل فاخترع شيئاً مفيداً وأردت أن تخبر بذلك فتقول اخترع فلان كذا ، لأن الذى يهم الناس من شأن هذا الفعل استبعاد صدوره من ذلك الفاعل

(٣) اذا كان التأخير يوهم غير المعنى المراد كما فى قوله تعالى (وقالَ رَجلٌ مؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ) اذ لو أخر من آل فرعون عما بعده لتوهم انه متعلق بيكتم فلا يفيد ان ذلك الرجل منهم

«٤» كون المقدم محط الانكار كما تقول أَبَعْدَ طولِ عِشْرَةٍ فلانٌ تُخْدَع بمواعيده

«٥» مراعاة نظم الكلام كقوله جل وعلا خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ـ وإِنَّ عَلَيْكُمْ لحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ ـ فأَما اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ وأَما السائِلَ فلاَ تَنْهَرْ فالتقديم فى مثل هذه المواضع ليس للتخصيص لان المقام ينبو عنه كما أوضحه صاحب المثل السائر

« تتمة » من سنن العرب فى التخاطب ان يبدءوا فى باب المديح بالصفة الدنيا ثم يثنوا باعلى منها وهكذا الى ان ينتهوا الى آخرها وعليه قول البحترى يصف نحول الركاب

يَتَرَقْرَقْنَ كالسَّرَابِ وقدْ خُضْـــنَ غِماراً مِنَ السَّرَابِ الجارِي

كالقِسِيِّ المُعَطَّفاتِ بل الأَسْـــــهُمِ مَبْرِيَّةً بلِ الأَوتارِ

فترقى في تشبيه نحولها فشبهها بالقسي ثم بالاسهم المبرية ثم بالاوتار وهي اشد الثلاثة نحولا — كما يعكسون القضية في باب الذم

تمرين

اذكر النكات التي دعت الى تقديم المسند اليه او المسند او المفعول ونحوه فيما يأتي

قال تعالى (إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الذي نَزَّلَ الكتابَ وهوَ يتولَّى الصالحينَ ـ إِنَّ شرَّ الدوابِّ عندَ اللهِ الذينَ كفروا فهُم لا يؤمنونَ ـ ولمْ يكنْ لهُ كُفُوًا أحدٌ ـ واقتربَ الوعدُ الحقُّ فإذا هيَ شاخصةٌ أبصارُ الذينَ كفروا ـ إِنَّ إِلينا إِيابَهُمْ ـ ليكونوا شُهداءَ على النَّاسِ ويكونَ الرَّسولُ عليكُمْ شهيدًا ـ وبالآخرةِ هُمْ يوقنونَ ـ وقالَ الملأُ مِنْ قومِهِ الذينَ كفروا ـ قلْ أَغيرَ اللهِ أبغي ربًّا ـ وإِنْ كذَّبوكَ فقلْ لي عملي ولكُمْ عملُكُمْ ـ قلْ هوَ الرَّحمنُ آمنَّا بهِ وعليهِ توكَّلنا ـ بلِ اللهَ فاعبُدْ وكُنْ مِنَ الشاكرينَ) وقال الشاعر

أنا لا اختارُ تقبيلَ يدٍ   قطعُها أفضلُ مِنْ تلكَ القُبَلِ

فيالكَ مِنْ ذي حاجةٍ حِيلَ دونَها   وما كُلُّ ما يهوى امرؤٌ هوَ نائلُهْ

إذَا نطَقَ السفيهُ فلاَ تُجبْهُ فخيرٌ مِنْ إجابتِهِ السُّكوتُ

وفي النّفسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطانةٌ سُكوتي بيانٌ عندَها وجوابُ

لِسانَكَ لا تَذكُرْ بهِ عورةَ امرِئٍ فكُلُّكَ عوراتٌ ولِلناسِ ألسُنُ

إذَا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشّفتْ لهُ عنْ عدُوٍّ في ثِيابِ صديقِ

قدْ يجمعُ المالَ غيرُ آكِلِهِ ويأكُلُ المالَ غيرُ مَنْ جمعَهْ

ما كُلُّ رأيِ الفتى يدعو إلى رَشَدِ

غيري بأكثرِ هذا الناسِ ينخدِعُ إنْ قاتلُوا جبُنوا أوْ حدّثُوا شجُعوا

﴿ الباب السادس في التنكير ﴾

لم يتعرض لهذا الباب كثير ممن كتب في هذا الفن . وأول من فتق أكمام أزهاره صاحب الكشاف وتبعه من جاء بعده من علماء البيان — وقصارى ما قالوه أن المسند اليه ينكر لاغراض منها

(١) ما اذا لم يعلم المتكلم جهة من جهات التعريف من علمية أو صلة أو غيرها فتقول مثلا جاء هنا رجل يسأل عنك ، اذا لم تعرف له اسما ولا نحوه

(٢) أن يمنع من التعريف مانع كقوله

إِذَا سَيِّمَتْ مُهَنَّدهُ يَمِينٌ لِطُولِ الحَمْلِ بَدَّلَهُ شِمَالا

لم يقل يمينه تحاشيا من أن ينسب السآمة الى يمين الممدوح

(٣) قصد فرد من الجنس نحو وجاء رَجُلٌ مِنْ أَقْصى المَدِينَةِ يَسْعَى

(٤) قصد نوع مخصوص كقوله

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ إِلاَّ الحَمَاقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا

وقوله تعالى وعلى أَبصارِهِمْ غِشَاوَةٌ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ قال فى الكشاف معنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله . ويرى السكاكى أن التنكير فى هذا للتعظيم أي غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم دفعة واحدة وتحول بينهم وبين الادراك وعذاب عظيم لا يقدر قدره

(٥) قصد التكثير نحو وإِنْ يُكَذِّبوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ـ قالُوا أَإِنَّ لَنَا لأَجْرًا ـ وقولهم أن له لابلا وأن له لغنما اذ المقام للمدح

(٦) التقليل نحو ورِضوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ فشىء ما من رضوانه أكبر من الجنة ونعيمها لان رضاه سبب كل سعادة وفلاح فأن العبد إذا علم رضى مولاه عنه عدّ ذلك من أعظم النعم وعاش عيشة راضية.

(٧ ، ٨) التعظيم والتحقير وقد اجتمعا في البيت الثاني من قول مروان ابن أبي حفصة

فَتًى لا يُبالِي المُدْلِجونَ بِنورِهِ إلى بابِهِ ألاّ تُضِيءَ الكَواكِبُ
لهُ حاجِبٌ في كُلِّ أمْرٍ يَشِينُهُ وليْسَ لهُ عَنْ طالِبِ العُرْفِ حاجِبُ

فمقام المدح يفيد أن له مانعا عظيما عند كل قبيح وشين وليس له أي مانع ولو حقيرا عن طلاب المعروف فهم يحصلون على مقاصدهم ويأخذون احسانه بلا واسطة ، وكذا في قوله

ولِلّهِ مِنّي جانِبٌ لا أُضِيعُهُ ولِلَّهوِ مِنّي والخَلاعَةِ جانِبُ

والفارق بين التعظيم والتكثير أن الأول ينظر فيه لارتفاع الشأن وعلو القدر ، والثاني يلاحظ فيه الكميات والمقادير — وبضد هذا الفرق بين التحقير والتقليل

(٩) قصد أخفائه عن المخاطب نحو سمعت رجلا يقول أنك حدت عن جادّة الصواب ـ وينكر غير المسند اليه للاعتبارات الآتية

(١) الافراد نحو واللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ أي خلق كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة

(٢) النوعية كقوله تعالى وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ على حَياةٍ أي نوع من الحياة المتطاولة كأنه قيل ولتجدنهم أحرص الناس وان عاشوا

ما عاشوا على أن يزدادوا الى حياتهم الماضية حياة فى المستقبل

(٣) التعظيم نحو ولكُمْ فى القِصاصِ حَياةٌ فان المعنى ولكم فى القصاص حياة عظيمة ـ وفى هذا منع لهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد متى قدروا

(٤) التحقير نحو إِنْ نَظُنُّ إِلاّ ظَنًّا وما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ

(٥) التقليل كقول المتنبي فى المديح

فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُو ‌ ‌ ‌ وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الفَقْرَ والجَدْبا

يقصد بمدد نزر من خيولك وبيسير من فيض جودك

(٦) عدم التعين كقوله تعالى اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحوهُ أَرْضًا

تطبيق

رد كل مثال منكر مما يأتى الى نوع التنكير الذى يناسبه مما سبق

قال تعالى فأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ ورسولِهِ ـ وأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَساءَ مَطَرُ المُنْذَرِينَ ـ ولئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ ـ وقيل

وفى السَّماء نُجُومٌ لا عِدادَ لَها ‌ ‌ ‌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلا الشَّمْسُ والقَمَرُ

إِذا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حاصِدًا

نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فى زَمَنِ البَذْرِ

وَمَنْ طَلَبَ العُلُومَ بِغَيْرِ كَدٍّ ... سَيُدْرِكُهَا مَتَى شَابَ الْغُرَابُ

إِذَا أَذِنَ اللهُ فِي حَاجَةٍ ... أَتَاكَ النَّجَاحُ بِغَيْرِ احْتِبَاسِ

فَيَأْتِيكَ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَدْرِهِ ... مُرَادُكَ بِالنُّجْحِ بَعْدَ الإِيَاسِ

﴿ الباب السابع فى التعريف وفيه ثمانية مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول فى الداعى الى العدول عن التنكير الى التعريف ﴾

يعدل عن التنكير الى التعريف لتزداد الفائدة وتتم فأن الفائدة كلما ازداد متعلقها معرفة زاد غرابة وكانت الفائدة به أتم ، واعتبر ذلك بما تراه من عظيم الفرق وشاسع البون بين قولنا ثوب نفيس اشترى فى السوق ، وقولنا ثوب حرير مطرّز من صنع بلدة كذا ، اشتراه فلان أمس بألف دينار . واعلم أن المعارف هى الاصل فى التعيين الذى يوجب زيادة الفائدة لان ذلك لها بحسب الوضع . اما النكرة فانها تفيد ذلك بالوصف الخاص فهو عارض لها لا باصل وضعها

﴿ المبحث الثانى فى التعريف بالاضمار ﴾

يعرف المسند اليه بالاضمار لأن المقام مقام تكلم كقوله عليه السلام يوم بدر أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِب ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِب ، وقول بشار

أَنَا المُرَعَّثُ لا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ... ذَرَّتْ بِيَ الشَّمْسُ لِلقَاصِي وَلِلدَّانِي (١)

---

(١) الرعثة القرط يعلق فى شحمة الاذن ولقب بشار بالمرعث لرعثة كانت له فى صغره وذرت طلعت

أو مقام خطاب كقول الحماسية

وأنتَ الذي أخلفتني ما وعدتني   وأشمتَّ بي مَنْ كانَ فيكَ يلوم

أو مقام غيبة ولا بد من تقدم ذكره اما لفظا كقوله تعالى واصبِر حتّى يحكُمَ اللهُ بيننا وهوَ خيرُ الحاكمينَ ـ وقول ابى تمام

يمُنِ أبي إسحقَ طالتْ يدُ العُلاَ   وقامتْ قناةُ الدينِ واشتدَّ كاهِلُهْ

هُوَ البحرُ مِنْ أيِّ النَّواحي أتيتَهُ   فلُجّتُهُ المعروفُ والبحرُ ساحِلُهْ

واما معنى نحو وإنْ قِيلَ لكُمُ ارجِعوا فارجِعوا هُوَ أزكى لكُمْ ، لما فى ارجعوا من معنى الرجوع ـ واما لقرينة حال تدل عليه كقوله تعالى ولِأبوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُما السُّدُسُ أى ولابوى الميت

والأصل فى الخطاب أن يكون لمشاهد معين نحو أنت استرققتنى باحسانك ـ وقد يخاطب

(١) غير المشاهد اذا كان مستحضرا فى القلب كأنه نُصب العين كما فى إياكَ نعبُدُ

(٢) غير المعين ليعم كل من يمكن خطابه على سبيل البدل لا التناول دفعة واحدة كما تقول فلان لئيم ان أحسنت اليه أساء اليك ، فلا يراد فى مثله مخاطب معين بل يراد أن سوء معاملته غير مختص بواحد دون آخر وعليه قول المتنبي

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرَّدا

وقوله تعالى ولو ترى إذِ المُجْرِمونَ ناكسو رُءوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أخرج فى صورة الخطاب مع ارادة العموم تنبيها الى تفظيع حالهم من تنكيس الرءوس والخجل من أهوال يوم القيامة وانها بلغت الغاية فى الظهور فلا تخفى على أحد ولا تختص بها رؤية راء بل كل من يتأتى منه الرؤية يدخل فى الخطاب ـ ولهذا نظائر كثيرة فى القرآن كقوله تعالى وإذا رَأيْتَ ثَمَّ رَأيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً وإذا رأيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أجْسامُهُمْ

﴿ المبحث الثالث فى التعريف بالعلمية ﴾

يؤتى بالمسند اليه علما لاحضار معناه فى ذهن السامع باسمه الخاص ليمتاز عما عداه كقوله تعالى (وإذْ يَرْفَعُ ابْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ واسْماعِيلُ ـ وما مُحَمَّدٌ الاَّ رَسولٌ ، وقد يقصد مع هذا أغراض أخرى تناسب المقام منها

(١) المدح فى الالقاب التى تشعر بذلك كسيف الدولة وصلاح الدين

(٢) الذم والاهانة نحو صخر وصفوان

(٣) التلذذ بذكر الاسم كما يكرر المحبون أسماء من يحبون ومن ثم يقول المتنبي مادحا عضد الدولة

أَسامِياً لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً　　وإنَّما لَذَّةً ذَكَرْناها

وعليه قول مجنون ليلى

بِاللهِ ياظَبَيَاتِ القاعِ قُلْنَ لَنا　　لَيْلَايَ مِنكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ

«٤» الكناية عن معنى يصلح العلم له بحسب معناه قبل العلمية كما يقال أبو الفضل وأخو الحرب ـ فاطلاق ذلك اطلاقا عاميا يجوز أن يلاحظ فيه الاصل مع القرينة فيصح أن يلاحظ أن الأول ملابس للفضل والثانى ملاصق للحرب أى فالاول منعم جواد والثانى شجاع فاتك

﴿ المبحث الرابع فى التعريف بالموصولية ﴾

هذا مبحث دقيق المسلك غريب النزعة يوقفك على دقائق من البلاغة، تؤنسك اذا أنت نظرت اليها بثاقب فكرك ، وتثلج فؤادك اذا تأملتها بصادق رأيك . بيان ذلك أنك لا تصل الموصول الا بجملة من الكلام قد سبق للسامع علم بها وأمر قد عرفه من قبل كأن ترى عند محمد مثلا رجلا ينشده قصيدة ولا عهد لك به قبل مجلسك هذا . فتقول له من الغد أين الرجل الذى كان عندك بالامس ينشدك الشعر ، فأنت فى هذا لا طريق لك الى تعريف الرجل للمخاطب سوى تعريف الصلة .

وقد يلاحظ مع ذلك أغراض أخرى منها

«١» التفخيم والتعظيم نحو ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُمْ﴾ وقول الآخر فى صفة الخمر

مَضى بِها ما مَضى مِنْ عَقْلٍ شارِ بِها وفى الزُّجاجَةِ باقٍ يَطْلُبُ الباقِي

وعليه من غير المسند اليه قول دُرَيد بن الصِّمة

صَبا ما صَبا حَتّى عَلا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمّا عَلاهُ قالَ لِلباطِلِ ابْعَدِ

(٢) تنبيه المخاطب على خطائه كقول عَبْدَة بن الطيب يعظ بنيه

إِنَّ الذِينَ تُرَوْنَهُمْ إِخوانَكُمْ يَشْفِى غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا (١)

(٣) زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام كقوله تعالى وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ اذ الغرض الذى سيق له الكلام نزاهة يوسف عليه السلام وبعده عن مظنة الريبة ، وهذا التعبير أوضح فى الدلالة على المراد مما لو قيل امرأة العزيز ، لأنه اذا امتنع عن الفحشاء ولم ينخدع مع كونه غلامها وفى بيتها مع كمال قدرتها عليه . كان ذلك غاية النزاهة ونهاية الطهارة ــ وعليه قول أبى العلاء

أَعُبّادَ الْمَسِيحِ يَخافُ صَحْبِي ونَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ الْمَسِيحا

فقوله عبيد من خلق المسيح أدل على تقرير غرضه وهو نفى خوف أصحابه من قوله عبيد الله

(٤) الايماء والاشارة الى طريق الخبر ونوعه من مدح أوذم أو ثواب

---

(١) يريد أن الذين تظنونهم اخوانكم يتمنون لكم الهلاك والدمار فأنتم مخطئون فى هذا الظن ــ ولا يفهم مثل هذا لو قيل ان قوم كذا يشفى الى آخره

أو عقاب أو غير ذلك فيتنبه الفطن من الفاتحة الى خاتمة الكلام وما تومئ اليه من المقاصد كقوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ أى صاغرين ، ففى مضمون الصلة وهو الاستكبار عن العبادة تلميح الى أن الخبر المترتب عليه من جنس الاذلال والعقوبة ـ قال السكاكى ثم يتفرع على هذا اعتبارات لطيفة فربما جعل ذريعة الى التعريض بالتعظيم كقولك الذى يرافقك يستحق الاجلال والرفع والذى يفارقك يستحق الاذلال والصفع . وعليه قول الفرزدق

إِنَّ الذى سَمَكَ السَّماءَ بَنى لَنا ... بَيْتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ (١)

فهو مع كونه يشير الى أن الخبر المبنى عليه من جنس الرفعة والبناء ، يعرّض بتعظيم بناء بيته لانه فعل من رفع السماء

(٥) الحث على التعظيم نحو جاء الذى أدبك ورباك فأحسن تربيتك

(٦) التهكم كقوله تعالى قَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ

وعلى الجملة فلطائف هذا الباب وأسراره لا يمكن ضبطها فاعتبر فى

---

(١) سمك رفع والبيت بيت العز والشرف قاله ليفخر بقبيلته على قبيلة جرير بعزها وكريم محتدها

كل مقام ماتراه مناسبا له

المبحث الخامس في التعريف بالاشارة

يؤتى بالمسند اليه اسم اشارة لاغراض كثيرة يلاحظ مثلها البلغاء منها

(١) أن يقصد تمييزه لاحضاره في ذهن السامع بواسطة الاشارة الحسية كأن يكون المقام للمدح واجراء أوصاف الرفعة ونعوت المحمدة، فتكون الاشارة حينئذ أعون على كمال المدح لان ذكر الممدوح اذا صاحبه خفاء كان قصورا في العناية بأمره ـ وعليه قول الحطيئة

أُولئكَ قَوْمٌ إنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البُنَى وإنْ عاهَدُوا أَوْفَوْا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا(١)

(٢) أن يقصد التعريض بغباوة السامع حتى كأن الاشياء لاتتميز لديه الا بالاشارة الحسية كقول الفرزدق يهجو جريرا ويفخر بآبائه

أُولئكَ آبائِي فجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنا يا جَرِيرُ المَجامِعُ

يريد أن جريراً لايقدر أن يأتي بما يماثلهم في مناقبهم اذا اجتمعوا في مجامع الفخر والانشاد كذا قال القوم ـ ولكن يظهر أن نكتة التعبير باسم الاشارة هنا تمييزهم أكمل تمييز أو تعظيم شأنهم كما سيأتي

(٣) أن يقصد تحقيره بالقرب كقوله تعالى (وإذا رَآكَ الذينَ كَفَرُوا إنْ يَتَّخِذُونَكَ إلاَّ هُزُوًا أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ـ

---

(١) البنى جمع بنية كرشوة ورشى

وماهذه الحياةُ الدُّنيا إلاّ لهوٌ ولعبٌ) وعليه من غير المسند اليه (ماذا أرادَ اللهُ بهذا مثلاً) وقول اعرابي من بني زيد بن مناة

تقولُ وصكّتْ صدرَها بيمينها أبعليَ هذا بالرحا المتقاعسُ(١)

(٤) أن يقصد تعظيمه بالقرب نحو (إنّ هذا القرآنَ يهدي للّتي هيَ أقومُ) وذلك كثير في التنزيل

(٥) أن يقصد تحقيره بالبعد نحو (فذلكَ الذي يَدُعُّ اليتيمَ)

(٦) أن يقصد تعظيم درجته بالبعد نحو (تلكَ الجنّةُ التي أورثتموها ـ فذلكنّ الذي لمتنّني فيه) من حيث لم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن وتمهيدا لعذر الافتتان به

«٧» أن يقصد التنبيه على أن المشار اليه المعقب بأوصاف جدير لاجل تلك الاوصاف بما يذكر بعد اسم الاشارة نحو أولئكَ على هدًى من ربّهم وأولئكَ همُ المفلحونَ فقد عقب المشار اليه وهم المتقون بأوصاف وهي الايمان بالغيب واقامة الصلاة وما بعدها ثم عرف المسند

«١» المتقاعس هو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره ـ قاله يخاطب زوجته وقد مرت عليه في نسوة فوجدته يطحن بالرحى لنزول أضياف ببابه فقالت لهن وقد كان لم يبن بها بعد ، أبعلي هذا ، فأخبر بذلك ، وبعده

فقلت لها لا تعجبي وتبيّني بلائي اذا التفت على الفوارس

اليه بالاشارة تنبيها على أن المشار اليهم أحقاء من أجل تلك الخصال بأن يفوزوا بالهداية عاجلا و بالفلاح آجلا ـ قال فى الكشاف و نظيره قول حاتم

وللهِ صُعْلوكٌ يُساوِرُ همَّهُ ... ويَمْضِي على الأَحْدَاثِ والدَّهْرِ مُقْدِما
إِذَا مارأى يوماً مَكارِمَ أَعْرَضَتْ ... تَيَمَّمَ كُبْرَاهُنَّ ثُمَّتَ صَمَّما
ويَغْشَى إِذَا ما كانَ يومٌ كريهةٍ ... صُدُورَ العَوَالِي وَهْوَ مُخْتَضِبٌ دما
إِذَا الحَرْبُ أَبْدَتْ ناجِذَيْها وشَمَّرَتْ ... وولَّى هِدانُ القَوْمِ أَقْبَلَ مُعْلَما
فَذَلِكَ إِنْ يَهْلِكْ فَحُسْنَى ثَنَاؤُهُ ... وإِنْ عاشَ لم يَقْعُدْ ضَعِيفاً مُذَمَّما(١)

فقال لله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة من المضاء على الاحداث مقدما ، و تيمم كبرى المكرمات ، والتأهب للحرب بادواتها ، الى غير ذلك مما ذكره بعد ، ثم عقبه بقوله فذلك أن يهلك

﴿المبحث السادس فى التعريف باللام﴾

لام التعريف قسمان لام العهد الخارجى وهو ثلاثة أنواع صريحى وكنائى وعلمى ، ولام الحقيقة وهى أربعة أقسام لام الحقيقة أو لام الجنس ، ولام العهد الذهنى ، ولام الاستغراق الحقيقى ، ولام الاستغراق العرفى

«١» لام العهد الصريحى هى ما يتقدم مدخولها صراحة كما فى

«١» صعاليك العرب فقراؤهم ومتلصصوهم والمساورة المواثبة والهم العزيمة والقصد واعرضت ظهرت والهدان الاحمق الثقيل وحسنى مصدر

قوله تعالى (اللهُ نورُ السمٰوات والأرضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكاةٍ فيها مِصْباحٌ المِصباحُ في زُجاجةٍ الزُّجاجةُ كأنَّها كوكبٌ دُرِّيٌّ)

فقد ذكر المصباح والزجاجة منكرين ثم أعيدا معرفين

«٢» لام العهد الكنائى هى ما يتقدم ذكرها كناية أى مبهما تعينه القرائن كقوله تعالى وليسَ الذَّكَرُ كالأُنثى فالذكر وإن لم يتقدم صريحا الا انه اشارة الى (ما) فى قولها رَبِّ إني نَذَرْتُ لكَ ما في بَطني مُحَرَّراً أذ التحرير وهو العتق لخدمة بيت المقدس لم يكن الا للذكور فهو المعنىُّ بـ (ما) فى كلامها

«٣» لام العهد العلمى هى ما علم مدخولها عند المخاطب سواء أكان حاضرا أم لا نحو إذْ يُبايِعُونَكَ تحتَ الشَّجَرةِ ـ إذْ هُما في الغارِ ـ وكما تشير الى حاضر وتقول هذا الرجل تكلم فأحسن الكلام

«٤» لام الحقيقة هى ما يشار بها الى الحقيقة بقطع النظر عن عمومها وخصوصها وتسمى لام الجنس كقولهم أهلك الناس الدينار والدرهم، وشربت الماء ـ وقول أبى العلاء

والخِلُّ كالماءِ يُبْدِي لي ضَمائِرَهُ ... مَعَ الصَّفاءِ ويُخفيها مع الكَدَرِ

وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى وجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ اذ المراد جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس وهو الماء، وقوله

أُولئِكَ الذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ والْحُكْمَ والنُّبُوَّةَ

«٥» لام الحقيقة فى ضمن فرد مبهم اذا قامت القرينة على ذلك وتسمى لام العهد الذهني كما فى قوله تعالى وأَخافُ أَنْ يأْكُلَهُ الذِّئْبُ ومدخولها فى المعنى كالنكرة فيعامل معاملتها فيوصف بالجملة كما توصف النكرة كقول عميرة بن جابر الحنفى

ولقَدْ أَمُرُّ على اللّئيمِ يَسُبُّني ... فَمَضَيْتُ ثُمّتَ قُلْتُ لا يَعْنِيني

أما فى اللفظ فتجري عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ وذا حال ووصفا للمعرفة وموصوفا بها ـ وانما لم نقل نكرة لما بينهما من التفاوت اذ النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة ، وأما المعرف باللام فمعناه نفس الحقيقة وتستفاد البعضية من القرائن كالاكل فى الآية ـ فهما بالنظر الى القرائن سواء وبالنظر الى أنفسهما مختلفان

«٦» لام الحقيقة فى ضمن جميع الافراد التى يتناولها اللفظ بحسب اللغة وتسمى لام الاستغراق الحقيقي ـ ودليل الشمول والاستغراق أما

«ا» قرينة حالية نحو عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ أى كل غيب وشهادة

«ب» قرينة مقالية نحو إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ أى كل انسان بدليل الاستثناء الذى هو علامة ارادة العموم اذ شرطه دخول المستثنى فى المستثنى منه لو لم يذكر

«٧» لام الحقيقة فى ضمن جميع الافراد التى يتناولها اللفظ بحسب متفاهم

العرف كما تقول جمع السلطان التجار والقى عليهم نصائح ذهبية ـ فان المقصد تجار مملكته لا تجار العالم أجمع

(تنبيه) من القضايا المشهورة قولهم . (استغراق المفرد أشمل) . ومعنى ذلك أن اسم الجنس المفرد اذا دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي كان شموله للافراد وتناوله اياها أكثر من شمول المثنى والجمع الداخلة عليهما تلك الاداة ـ بيان ذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الافراد . والمثنى انما يتناول كل اثنين اثنين ، والجمع انما يتناول كل جماعة جماعة ، ودليل ذلك صحة قولك لا رجال في الدار اذا كان فيها رجل أو رجلان ، وعدم صحة قولك لا رجل اذا كان فيها واحداً واثنان من هذا الجنس ،

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها وانما تصح فى النكرة المنفية دون الجمع المعرف باللام لان المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الافراد بل هو فى المفرد أقوى كما دل عليه الاستقراء وصرح به أئمة اللغة وعلماء التفسير فى كل ما وقع فى القرآن العزيز نحو أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ـ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ـ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا الى غير ذلك مما لا يحصى

﴿ المبحث السابع فى التعريف بالاضافة ﴾

يعرف المسند اليه بالاضافة لمزايا كثيرة منها

(١) أن تكون أخصر طريق لاحضاره فى ذهن المخاطب والمقام

يقتضي ذلك لفرط الضجر والسآمة كقول جعفر بن علبة حين حبس بمكة

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وجُثْمانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ (١)

فهواى أى مهوى أخصر من الذى أهواه ونحوه ـ قاله حين عزم الحبيب على الرحيل فضاقت عليه الارض بما رحبت، لاسيما وهو سجين موثق

«٢» أن تغنى عن تفصيل متعذر كقول حسان بن ثابت

أَوْلادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ (٢)

وقول مروان بن أبي حفصة

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقاءِ كأَنَّهُمْ أُسودٌ لَها في غِيلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ (٣)

(٣) أن تتضمن تعظيم شأن المضاف اليه أو المضاف أو غيرهما نحو إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ. ونحو خادمى اليوم عمل كذا ـ ونحو رسول السلطان زار فلانا ـ ومن غير المسند اليه قوله

لا تَدْعُنِي إِلاّ بِيا عَبْدَها فإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمائِي

﴿ المبحث الثامن فى تعريف المسند ﴾

يعرف المسند بأحدى طرق التعريف ليستفيد المخاطب الحكم

«١» اليمانين جمع يمان ومصعد من أصعد فى الارض سار فيها والجنيب الذى يتبعه قومه ويقدمونه والجثمان الشخص والموثق المقيد «٢» أولاد جفنة من الغساسنة الذين مدحهم بالشام «٣» الغيل الاجمة وخفان مأسدة مشهورة بقوة أسدها

بالمسند المعلوم له على المسند اليه الذى يعلمه أيضا ـ بيان ذلك أن الشيء قد يكون له صفتان من صفات التعريف يعلم المخاطب اتصافه باحداهما دون الاخرى فتخبره باتصافه بها بان تعمد الى اللفظ الدال على الاولى وتجعله مبتدأ وتثنى باللفظ الدال على الثانية وتجعله خبرا فتفيد المخاطب ما كان يجهله من اتصافه بالاخرى ، كما اذا كان للمخاطب أخ يسمى عليا وهو يعرفه بعينه واسمه لكن لا يعرف أنه أخوه وأردت أن تعرفه ذلك فتقول له على أخوك ، وان عرف أن له أخا وأردت أن تعينه عنده باسمه قلت أخوك على ـ ومن البيّن فى اختلاف المعنى اذا تقدمت احدى المعرفتين أو تأخرت قولهم (الحبيب أنت ، وأنت الحبيب) اذ معنى الاول أنه لافرق بينك وبين من تحب اذا صدقت المحبة فما مثل المتحابين الا كمثل روح حل فى جسمين كما قيل الحبيب أنت الا أنه غيرك ، ومعنى الثانى أنك أنت الذى أصطفيه من بين الناس بمحبتى وأجتبيه بودّى كما قال المتنبى

أنْتَ الحَبيبُ ولكِنّي أعوذُ بِهِ ... مِنْ أنْ أكونَ مُحبا غيرَ محبُوبِ

واعلم أن التعريف بلام الجنس قد يفيد قصر الخبر على المبتدأ وذلك على وجوه

(١) أن يقصر جنس المعنى على المخبر عنه على سبيل الحقيقة كقولك محمد النافذ القول فى البلد . اذا لم يكن فيه غيره على تلك الشاكلة

(٢) أن يقصر عليه على سبيل المبالغة وعدم الاعتداد بما سواه كما تقول عمرو الشجاع أي الكامل في الشجاعة، فانت تخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لا توجد الا فيه، وأنك لا تعتد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال

(٣) أن يقصر عليه تحقيقا لا باعتبار ذاته ولكن باعتبار تقييده بظرف او حال كما تقول هو الوفيّ حين لاتظن نفس بنفس خيرا — فالمقصود هو الوفاء في هذا الوقت لامطلقا، ومثله هو الشجاع حين يتأخر الابطال والكريم حين يبخل كل جواد، وكما قال الأعشى

هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ةَ إما مَخَاضاً وإما عِشَارا

فقد قصر هبة المائة من الابل في احدى الحالتين لا هبتها مطلقا ولا الهبة مطلقا. وفي كل هذه الاحوال يمتنع العطف بالفاء ونحوها على ما حكم عليه بالمعرف فلا يقال محمد الامير وعمرو، ولا ابراهيم الشجاع وخالد

وقد لا يفيد قصر المعرف على ما حكم عليه به كقول الخنساء ترثي أخاها صخرا

أَرَى البُكَاءَ قَبِيحاً على قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الحَسَنَ الجَمِيلا

فهي لم ترد أن ما عدا البكاء عليه ليس بحسن ولا جميل، ولكنها أرادت أن تقره في جنس ما جنسه الحسن الظاهر الذي لاينكره أحد، ومثله قول الآخر

أُسودٌ إذا ما أبدتِ الحربُ نابَها ... وفي سائرِ الدهرِ الغيوثُ المواطرُ

تمرين

بيِّن الاغراض التي اقتضت تعريف المسند اليه أو المسند باحدى طرق التعريف المتقدمة قال تعالى ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ - فأَوْحى الى عَبْدِهِ ما أَوْحى - تَبَّتْ يَدَا أَبي لَهَبٍ - فإِذَا الَّذي اسْتَنْصَرَهُ بالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ - قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ - وإذا رَأَوكَ إنْ يَتَّخِذُونَكَ إلاَّ هُزُوًا أَهذَا الذي بَعَثَ اللهُ رَسولاً - وقال حسان يهجو أبا سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب قبل اسلامه

وإنَّ سَنامَ المَجْدِ مِنْ آلِ هاشمٍ ... بنو بِنْتِ مَخْزُومٍ ووالِدُكَ العَبْدُ(١)

هذا أبو الصَّقْرِ فَرْدًا في مَحاسِنِهِ

مِنْ نَسْلِ شَيْبانَ بَيْنَ الضَّالِ والسَّلَمِ (٢)

ونحنُ التارِكونَ لِما سَخِطْنا ... ونحنُ الآخِذونَ لِما رَضِينا

---

(١) معنى كون الحرث والده عبدا أن أمه ليست قرشية ولم تلدها قبيلة مشهورة

(٢) فردا منصوب على المدح والضال السدر البري والسلم شجر له شوك وهما من نبت البادية . يشير الى ما تتمدح به العرب من سكنى البوادي لان فقد العز في الحضر

أخوكَ الذي إنْ تدعُهُ لِمُلمّةٍ
يُجبكَ وإنْ تغضبْ إلى السّيفِ يغضبِ

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقدْ بطلَ السحرُ والساحرُ

إنّ الذي الوحشةُ في دارِهِ ... تؤنسهُ الرحمةُ في لحدِهِ

﴿ الباب الثامن في التقييد وفيه خمسة مباحث ﴾

الاول في اسرار التقييد وفائدته

كثير من مسائل هذا الباب ذكر في كتب النحاة على النحو الذي يشا كل مباحثهم دون نظر الى ما فيه من غامض الفروق ولطائف المزايا فان ذلك من صناعة علماء البيان الذين قصروا مباحثهم على تعرف خواص التراكيب وأسرار الاساليب وما فيها من دقيق الوضع وباهر الصنع

واعلم أن التقييد باحد الانواع الآتية يكون لزيادة الفائدة وتقويتها عند السامع لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد ايضاحا وتخصيصا وحينئذ تكون فائدته أتم وأكمل ، لا فرق في ذلك بين التقييد بالمسند اليه والمسند ولا بين التقييد بتابع ومفعول ونحو ذلك

﴿ المبحث الثاني في التقييد بالشرط ﴾

يقيد الفعل بالشرط للاغراض التي تستفاد من معاني الأدوات كالزمان

فى متى ، أيان . والمكان فى أين وأنى ، والحال فى كيفما ، الى آخر ما ستوفى بيانه فى فن النحو . ولكنا نذكر هنا ما بين أن واذا ولو من الفروق الدقيقة التى تشاكل مباحث هذا الفن

وبيان ذلك أن المقصود من الجملة الشرطية انما هى النسبة التى تفهم من الجزاء سواء أكانت خبرية أم انشائية ، والشرط قيد لها لا يخرجها عن حالها الاولى من الخبرية أو الانشائية ، وقد خرج بدخول الاداة عليه عن كونه خبرا يحتمل صدقا وكذبا فقولك ان نجحت أكافئك . معناه أكافئك حين نجاحك

(أن واذا) أن واذا تشتركان فى الدلالة على تعلق حصول الجزاء على حصول الشرط فى المستقبل ، وتمتاز أن بانها تدل بحسب الاستعمال اللغوى على عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط فى المستقبل ، نحو وَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ — إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ومن ثمة لا تقع فى كلام الله الا على سبيل التأويل أو الحكاية فالاول كقوله تعالى وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ — جاءت فى التنزيل على نمط أساليبهم فى الكلام وعلى الطريقة التى يعبر بها المتكلم منهم حينما يكون غير جازم بوقوع الشرط ، والثانى كقوله تعالى حكاية عن يوسف وَإِنْ لَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ، وتمتاز اذا باستعمالها لغة فى كل ما يجزم المتكلم بوقوعه فى المستقبل نحو إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا — وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ

ولذا كانت الاحكام التى يندر وقوعها ولفظ المضارع مواقع لأن ، والاحوال الكثيرة الوقوع ولفظ الماضى الدال على تحقق الوقوع قطعا نظرا الى نفس لفظه (وان كان قد نقل بعد دخول الاداة عليه الى معنى الاستقبال) مواقع لأذا . والمثال الجامع لهما قوله عز وجل فإِذَا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالوا لَنا هَذِهِ وإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى ومَنْ مَعَهُ أى اذا جاء آل فرعون حسنة من خصب ورخاء وكثرة أولاد قالوا نحن أحقاء بها لكمال سعادتنا فى ديننا وبركة جدنا ، وان أصابهم جدب وبلاء تشاءموا من موسى ومن آمن معه — فعبر باذا فى جانب الحسنة لان المقصد منها الجنس وهو مقطوع بحصوله لكثرته ، وبأن فى جانب السيئة لندورها ولهذا نكرت دلالة على القلة . قال الزمخشرى وللجهل بمواقع أن واذا يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ألا ترى الى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما الموقع فى قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها

ذُمِمْتَ ولم تُحْمَدْ وأدْرَكْتُ حاجَتى
تَوَلَّى سِواكُمْ أجْرَها واصْطِناعَها
أبى لكَ كسبَ الحَمْدِ رَأْىٌ مُقَصِّرٌ   ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخيرِ باعَها
إذا هِىَ حَثَّتْهُ على الخيرِ مَرَّةً   عَصاها وإنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أطاعَها

— فلو عكس لأصاب . وقد تستعمل أن فى مقام القطع بوقوع

الشرط لنكات منها

(١) التجاهل اذا اقتضاه المقام كما يقول المعتذر ان كنت فعلت هذا فمن غير قصد

(٢) تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لأنه لم يجر على مقتضى العلم كما يقال للابن الذى لا يراعى حقوق الابوة ان كان هذا أباه فراع حقوقه عليك

(٣) التوبيخ على الفعل تنبيها على أنه لقيام البراهين المقتضية لوقوع خلافه كأنه محال الوقوع فيفرض كما يفرض المحال كقوله تعالى أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً إِن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ فى قراءة الكسر اذ اسرافهم محقق لكنه عبر عنه بأن توبيخا لهم واشارة الى أنهم لو تأملوا الآيات الظاهرة والبراهين الساطعة صار الاسراف كأنه محال الحصول اذ هو لا يصدر عن عاقل فى مثل تلك الحال ـ ومعنى الآية أنهملكم ونضرب عنكم القرآن بترك أنزاله لكم وترك ما فيه من الوعد والوعيد والامر والنهى اعراضا عنكم ان كنتم مسرفين

(٤) تغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به كقوله تعالى وإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ـ غلّبَ من لم يرتَبْ من المخاطبين على المرتابين الذين كانوا يعرفون الحق وينكرونه عنادا

كما تستعمل أيضا فى المستحيل على سبيل المساهلة وارخاء العنان

لالزام الخصم وتبكيته كما فى قوله تعالى قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ـ ولما كانت أن واذا لتعليق الجزاء بالشرط فى الاستقبال التزم فى جملتيهما الفعلية والاستقبال وذلك أن الشرط مفروض الحصول فى المستقبل فيمتنع ثبوته ومضيه والجزاء معلق عليه، ولا يعدل عن الاستقبال فى اللفظ والمعنى الى المضى فقط الا لدواع منها

(١) التفاؤل نحو ان عشت نفعت أمتى وبلادى

(٢) أظهار ما ليس بحاصل حاصلا أذا قويت أسبابه وتوافرت كأن تقول حين انعقاد الشراء ان اشتريت كان كذا

(٣) أظهار الرغبة فى وقوعه فيكثر تصور المتكلم أياه حتى يخيل اليه ماليس بالحاصل حاصلا وعليه قوله تعالى وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ (١) إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا جيء بلفظ الماضى للدلالة على توفر الرغبة فى تحصنهن

(٤) التعريض نحو وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ قال فى الكشاف هذا كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى . ونظيره فى التعريض وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ

---

(١) الفتيات الأماء والبغاء الزنا وكانت عادتهم فى الجاهلية أن يكرهوا الاماء على تلك الفعلة الشنعاء ليأتين لهم بالمال فمنع الاسلام ذلك

الذي فطرني وإليه ترجعون اذ المراد ومالكم لا تعبدون الذي فطركم كما يدل عليه (ترجعون) — ووجه حسن التعريض وملاحته اسماع المخاطبين الحق على وجه لا يورثهم مزيد غضب ، وذلك لانك تترك فيه التصريح بنسبتهم الى الباطل وذلك أنفذ في أعماق القلوب حيث لم يرد المتكلم لهم الا ما يريده لنفسه ـ وهذا النوع كثير جدا في القرآن ومنه قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون ـ حيث لم يقل تسألون عما عملنا ولا نسأل عما تجرمون تلينا للخطاب واستجلابا للقلوب

(تنبيه) قد تستعمل أن في غير الاستقبال قياسا اذا كان الشرط لفظ كان نحو وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية ـ وفي غيره ذلك قليلا كقول أبي العلاء

فياوطني إن فاتني بك سابق ... من الدهر فلينعم بساكنك البال

كما تستعمل اذا للمضي كقوله تعالى حتى إذا بلغ بين السدين ـ حتى إذا ساوى بين الصدفين ـ أو للاستمرار كقوله عز وجل وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا

«لو» للشرط في الماضي مع القطع بانتفاءه فيلزم انتفاء الجزاء بمعنى أن الجزاء كان يمكن أن يقع لو وجد الشرط ، فاذا قلت لو جئتني لاكرمتك ـ فهم منه أن المجيء شرط في الاكرام وانه على تقدير وقوعه يقع الاكرام

ولهذا قيل أن لو لامتناع الثانى لامتناع الاول وعليه قوله تعالى وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ وقول الحماسى

ولَوْ طارَ ذُو حافِرٍ قَبْلَها ... لَطارَتْ ولـكِنَّهُ لمْ يَطِرْ (١)

وتجيء قليلا لامتناع الاول لامتناع الثانى كما هو اصطلاح المناطقة فتفيد الملازمة فى العلم نحو لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا اذ المعنى انه علم انتفاء تعدد الآلهة بسبب العلم بانتفاء الفساد ـ ويكثر هذا الاستعمال فى مقام البرهنة والاستدلال، ولكن الاستعمال الاول هو الشائع المستفيض فى اللغة والكثير فى القرآن والحديث وأشعار العرب

ويجب كون جملتيها فعليتين ماضويتين ؛ فان دخلت على مضارع كان ذلك لنكتة

«١» كقصد الاستمرار فى الماضى حينا فحينا كما فى قوله تعالى لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ـــ العنت الهلاك يقال منه فلان يتعنت فلانا اذا كان يطلب منه ما يؤدى به الى الهلاك : قال فى الكشاف انما قيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه كان فى ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عنّ لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الامر كما تقول فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم ، تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرا .

---

(١) اذ عدم طيران الفرس معلوم والمقصد بيان السبب فى عدم طيرانها وهو أنه لم يطر قبلها ذو حافر

«٢» وكتنزيل المضارع منزلة الماضي لصدوره عمن لا خلاف في وقوع أخباره نحو ولَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ - ولَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ - ونظيره رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قال الزمخشري فان قلت لم أدخلت ربما على المضارع وقد أبوا دخولها الا على الماضي ، قلت لان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود .

﴿ المبحث الثالث في التقييد بالتوابع ﴾

سنجمل الكلام في هذا المبحث لانه قد بين تمام البيان في علم النحو

«١» فينعت المسند اليه لنكات منها

«١» تمييزه بتخصيصه ان كان نكرة وتوضيحه ان كان معرفة

«٢» الكشف عن حقيقته كما يقال الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله ، ومنه في غير المسند اليه قول أوس بن حجر التميمي في مرثية فضالة بن كلدة

الالمعيُّ الذي يَظُنُّ بكَ الظَّـــنَّ كأنْ قدْ رأى وقدْ سمِعا

فالالمعي هو المتوقد ذكاء وفطنة ومن لوازم ذلك أنه اذا ظن بك ظنا طابقت فراسته الواقع ، وقد روى أن الاصمعي سئل عن الالمعي فأنشد البيت - ومثله قوله تعالى إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً قال الزمخشري الهلع سرعة الجزع

عنـد مس المكروه وسرعة للنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير

«٣» التأكيد نحو أمس الدابر كان يوما عظيما وعليه قوله تعالى تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ

«٤» بيان المقصود وتفسيره كما فى قوله تعالى وما مِنْ دَابَّةٍ فى الأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بجناحيهِ قال فى الكشاف فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا أمم أمثالكم وما معنى هذه الزيادة قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كأنه قيل وما من دابة قط فى جميع الارضين السبع وما من طائر قط فى جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها .

«ب» ويؤكد لاعتبارات منها

«١» مجرد التقرير وتحقيق المراد بحيث لا يحتمل غيره كما تقول جئت أنا

«٢» دفع توهم السامع تجوز المتكلم أو سهوه نحو قدم صديقك نفسه

«٣» دفع توهم عدم الشمول نحو جاء القوم كلهم ، اذ لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز أن يخطر ببال السامع أن بعضهم قد تخلف الا أنك لم تعتد به أو جعلت الواقع من البعض كأنه واقع من الجميع كما يقال للقبيلة صنعتم وعملتم ويراد فعل قد كان من البعض يرشد الى ذلك قوله تعالى فَعَقَرُوا النَّاقَةَ والعاقر لها قُدار ولكن نزلوا منزلته لرضاهم بفعلته

(ج) ويبين لمزايا منها

(١) المدح كما فى قوله تعالى جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ فالبيت الحرام عطف بيان على الكعبة لغرض مدحها بأنها حرم آمن

«٢» والايضاح نحو قدم صديقك خالد

«د» ويبدل لأغراض منها

«١» زيادة التقرير اذ البدل كالتفسير بعد الابهام فيزداد به تقرير المقصود فى ذهن السامع أما فى بدل الكل فلما فيه من التكرير ، ومنه فى غير المسند اليه اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قال فى الكشاف فائدة البدل التوكيد لما فيه من التكرير والاشعار بأن الصراط المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين — وأما فى بدل البعض فقد حصل التقرير بذكر ما اشتمل عليه الاول بالدلالة الكلية فان الاكثر بعض القوم فى قولك جاءنى القوم أكثرهم — وأما فى بدل الاشتمال فلأن المبدل منه يشعر به فى الجملة فالنفس قبل ذكره تتشوق لشىء يطلبه الكلام السابق فاذا ذكر صار متكررا

«ه» ويعطف عليه لمقاصد منها تفصيل المسند اليه أو المسند مع اختصار نحو جاءنى على ومحمد اذ هو أخصر من قولك جاءنى على وجاءنى محمد — وجاءنى على فمحمد أو ثم محمد أو حتى محمد فالفاء تدل على أن ملابسة الفعل للتابع بعد ملابسته للمتبوع بلا مهلة ، وثم مع المهلة ، وحتى تفيد أن ماقبلها

ينقضى شيئا فشيئا الى أن يبلغ ما بعدها — وكلها تشترك فى تفصيل المسند ، ومنها رد السامع الى الصواب نحو جاءنى على لا محمد لمن اعتقد العكس أو اعتقد أنهما جاءاكا معا ، ومثله ما جاءنى على لكن محمد ، فانك تخاطب به من اعتقد أن عليا جاءك لا محمد ومنها صرف الحكم الى محكوم عليه آخر نحو ما جاءنى على بل محمد ـ ومنها شك المتكلم أو تشكيك السامع أو الابهام نحو وإِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلى هُدًى أَوْ فى ضَلالٍ مُبِين

﴿ المبحث الرابع فى التقييد بضمير الفصل ﴾

يؤتى بضمير الفصل لاغراض منها

«١» التخصيص نحو أَلَمْ يَعْلَموا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ

«٢» تأكيد التخصيص اذا كان فى التركيب مخصص آخر نحو إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ وقول أبى الطيب

إِذا كانَ الشَّبابُ السُّكْرَ والشَّيْبُ هَمّاً فالحَياةُ هِيَ الحِمامُ

يريد أنه اذا كان الشخص فى زمن الشباب كالسكران غافلا عن عواقب الامور وفى الشيب حزينا بسبب ضعفه فلا خير فى الحياة بل هى الموت

«٣» تمييز الخبر عن الصفة نحو الفصيح هو جيد البيان طلق اللسان

المبحث الخامس فى التقييد بالمفاعيل ونحوها

التقييد بالمفاعيل ونحوها يكون لزيادة التخصيص المستلزم كثرة الفائدة ، وبالنواسخ للاغراض التى تؤديها معانى الفاظها كالاستمرار أو

حكاية الحال الماضية فى كان، والتوقيت بزمن معين فى ظل ونحوها، والمقاربة فى كاد وكرب، والتأكيد فى أن والتشبيه فى كأن الى آخره

﴿ الباب التاسع فى القصر وفيه خمسة مباحث ﴾

المبحث الاول فى تعريفه وأقسامه باعتبار الواقع والحقيقة

القصر لغة الحبس قال تعالى حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ـ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ قال الفراء قد قصرن أنفسهن على أزواجهن فلم يطمحن الى غيرهم

وفى الاصطلاح اثبات الحكم المذكور ونفيه عما عداه ـ أو هو تخصيص أمر بأمر باحدى الطرق الآتية . والتعريف الثانى أصح لشمول الاول لقولك محمد مقصور على القيام وهو لا يسمى قصرا اصطلاحا

وينقسم باعتبار الحقيقة والواقع الى حقيقى واضافى . فالحقيقى أن يختص المقصور بالمقصور عليه فى الواقع والحقيقة بألا يتعداه الى غيره أصلا كما تقول لا شاعر فى البلد ألا على اذا لم يكن فيه غيره من الشعراء ـ ونوع منه يسمى بالقصر الحقيقى ادعاء على سبيل المبالغة وفرض أن ما عدا المقصور عليه فى حكم المعدوم كقوله

لا سَيْفَ إِلَّا ذُو الفِقَا ... رِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِي (١)

(١) ذو الفقار لقب سيف الامام على بن أبى طالب وسيف العاص بن منبه قتل يوم بدر

والأضافى ما يكون فيه الاختصاص بالنسبة لشيء معين لا لجميع ما عداه فاذا قلت ما على الا شجاع كان معناه اثبات صفة الشجاعة له ونفى صفة الجبن عنه ، وليس المقصد نفى جميع الصفات ما عدا صفة الشجاعة

فقد استبان لك مما مضى التفرقة بين الثلاثة ، أما بين الحقيقى والاضافى فظاهرة من تعريفهما ، وأما بين الحقيقى حقيقة والحقيقى ادعاء فان الثانى يفرض فيه المبالغة وعدم الاعتداد بما عدا المقصور عليه ، وأما بين هذا وبين الاضافى فان الاول لابد فيه من فرض المبالغة والثانى يلحظ فيه فقط نفى بعض ما عدا المقصور عليه لا جميعه

﴿ المبحث الثانى فى أقسامه باعتبار حال المقصور ﴾

ينقسم كل من الحقيقى والاضافى باعتبار حال المقصور الى قصر صفة على موصوف وموصوف على صفة ـ فالاول من الحقيقي نحو لا اله الا الله ، ومن الاضافى نحو ما محبوب الا الأدب ـ والثانى من الحقيقي نحو ما على الا كاتب اذا أردت انه لا صفة له غير الكتابة ، وهذا ان لم يكن مستحيلا فهو نادر لان استقراء صفات الشيء والاحاطة بها حتى يمكن اثبات شيء منها ونفى ما عداه بعيد جدا ولذا لم يقع هذا القسم فى التنزيل ، ومن الاضافى نحو ﴿وما مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ﴾ المقصود قصره على الرسالة لا يتعداها الى التبرى والتباعد من الموت الذى استعظموه ، وهذا لا ينافى أنه متصف بالصحة واليقظة ونحوها

﴿ المبحث الثالث فى أقسامه باعتبار حال المخاطب ﴾

ينقسم الاضافى فقط [١] باعتبار حال المخاطب الى ثلاثة أقسام

(١) قصر افراد اذا اعتقد المخاطب الشركة نحو إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ خوطب به من يعتقد ان الله ثالث ثلاثة بدليل قوله قبلها وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ

(٢) قصر قلب اذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم الذى تثبته نحو رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ خوطب به نمرود الذى اعتقد أنه هو المحيي المميت دون الله

قصر تعيين اذا كان المخاطب يتردد فى الحكم كما اذا كان مترددا فى اثبات الكتابة أو الشعر لعلى فتقول ما على الا شاعر

﴿ المبحث الرابع فى طرقه ﴾

طرق القصر والاختصاص كثيرة أوصلها السيوطى فى كتاب الاتقان فى علوم القرآن الى أربعة عشر طريقا أشهرها ستة تقدم الكلام على اثنين منها وهما توسط ضمير الفصل وتعريف المسند بأل وسنتكلم هنا على الاربعة الباقية وهى النفى والاستثناء ، وانما ، والعطف ، والتقديم

---

(١) دون الحقيقى بنوعيه لان العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات ولا اتصافه بجميعها الا صفة واحدة أو يتردد فى ذلك كيف وفيها ما هى صفات متقابلة فلا يصح له أن يقصر الحكم على بعضها وينفيه عن الباقى افرادا أو قلبا أو تعيينا ، وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف كذا فى المطول بتصرف

(١) النفي والاستثناء كقوله تعالى وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ

أي لستم في دعواكم للرسالة بين صدق وكذب كما يكون ظاهر حال المدعي بل أنتم كاذبون فيها عندنا ، ووجه تضمنه القصر ما قاله في الايضاح ، أنه اذا قيل ما محمد توجه النفي الى صفته لا الى ذاته لأن الذوات لا تنفي ـ ومن حيث أنه لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك وانما النزاع في كونه شاعرا أو كاتبا تناولهما النفي فاذا قيل الا شاعر جاء القصر ـ هذا في قصر الموصوف على الصفة أما في قصر الصفة على الموصوف فانه متى قيل ما شاعر فأدخل النفي على الوصف المسلم ثبوته وهو الشعر لغير الشخصين اللذين الكلام فيهما كمحمد وعلي مثلا توجه النفي اليهما فاذا قيل الا محمد حصل القصر

(ب) انما نحو انما الأديب علي ، وانما علي الاديب ووجه افادتها القصر تضمنها معنى ما والا ودليل ذلك البراهين الثلاثة الآتية

(١) ماقاله النحاة من كون انما لاثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه

(٢) ما قاله المفسرون في قوله تعالى إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ بنصب الميتة ـــ من أن المعنى ما حرم عليكم الا الميتة وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميتة لانحصار التحريم فيها اذ (ما) في قراءة الرفع اسم موصول فتقدير الكلام ان المحرم الميتة والخبر معرف بلام الجنس فيفيد الحصر كما تقدم

(٣) صحة انفصال الضمير معها فتقول انما يسافر أنا كما تقول ما يسافر الا أنا قال الفرزدق

أنا الذائدُ الحامي الذِّمارَ وإنَّما يُدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلي (١)

اذ لو كان المراد الايجاب لم يستقم لانك لاتقول يدافع انا وانما تقول أدافع ، ولكن لما كان المعنى ما يدافع الا أنا ، فصل الضمير كما يفصل مع النفي والاستثناء ليتأتى له غرضه وهو تخصيص المدافع لا المدافع عنه اذ لو قال وانما أدافع عن أحسابهم لصار المعنى انه يدافع عن أحسابهم لا أحساب غيرهم وليس ذلك بمراد لما فيه من قصور المدح والمقام مقام مبالغة اذ هو في معرض التفاخر وعد المآثر ، قال السكاكي ويذكر لذلك وجه لطيف يسند الى علي بن عيسى الربعي وهو أنه لما كانت كلمة ان لتأكيد اثبات المسند للمسند اليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ناسب أن يضمن معنى القصر لان القصر ليس الا تأكيداً على تأكيد .

(ج) العطف بلا او لكن أو بل نحو محمد شاعر لا كاتب ، وما محمد شاعرا لكن كاتب أو بل كاتب

(د) التقديم ويراد به تقديم ما كان حقه أن يؤخر كتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم بعض معمولات الفعل عليه نحو أنا أنجزت مسئلتك أي وحدي لمن اعتقد أنك وغيرك أنجزتماها ، أو بمعنى لا غيري لمن اعتقد

---

(١) الذود الطرد والذمار العهد وفي الاساس هو الحامي الذمار اذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعنف من حماه وحريمه

ان غيرك أنجزها دونك — وهذه الطرق تفترق من وجوه

(١) ان التقديم يدل على القصر بفهوم الكلام فان ذا الذوق السليم والفكرة النقادة اذا تأمل فى كلام فيه التقديم، فهم منه القصر والاختصاص وان لم يعرف اصطلاح البلغاء فى ذلك بخلاف الثلاثة الباقية فانها تدل على القصر بحسب الوضع

(٢) أن الاصل أن ينص فى العطف على المثبت والمنفى معا فلا يترك ذلك الا خوف التطويل كما اذا قيل محمد يعرف الكيمياء والطب والهندسة والجبر والفلك، أو محمد يعلم الكيمياء وابراهيم وخالد الى آخره — فتقول فيهما محمد يعرف الكيمياء لا غيرُ — أى لا الطب ولا الهندسة الى آخره فى الاول أو لا ابراهيم ولا خالد فى الثانى — وفى الثلاثة الباقية ينص على المثبت فقط

(٣) ان النفى بلا العاطفة لا يجتمع مع النفى والاستثناء فلا تقول ما محمدٌ الا مجتهد لا كسول، لان شرط جواز النفى بلا ألا يكون ما قبلها منفيا بغيرها، ولذا عيب على صاحب الكشاف حيث قال فى تفسير قوله تعالى فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ أى لان الاصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت، وعلى الحريرى فى قوله

لعمرُكَ ما الإنسانُ الاّ ابنُ يومِهِ عَلى ما تَجلّى يومُهُ لاَ ابنُ أمْسِهِ

ويجتمع مع انما والتقديم فتقول انما محمد مجتهد لا كسول، وهو مجتهد لا على، وذلك لان النفى فيهما غير مصرح به بل المصرح به انما هو

الاثبات فلا يقبح تأكيد ما تضمناه والنفي بلا ، بخلاف ما والا فانه قد صرح فيهما بالنفي والنفي الصريح ليس كالضمني ، لكن لا يحسن العطف بعد انما اذا كان الوصف مختصا بالموصوف كالتذكر الذي يعلم انه لا يكون الا من اولى الالباب في قوله تعالى انّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبابِ فلا يحسن ان تقول انما يتذكر أولو الالباب لا الجهال كما يحسن ان تقول انما يجيء محمد لا على

(٤) ان الاصل في (النفي والاستثناء) ان يكون الامر ينكره المخاطب او يشك فيه او لما هو منزل هذه المنزلة — بيان ذلك انك اذا قلت ما هو الا مخطيء ، قلته لمن يدفع ان يكون الامر على ما قلته ، واذا رأيت شبحا من بُعد فقلت ما هو الا على لم تقله الا والمخاطب يتوهم أنه ليس بعلى وانما هو شخص آخر ويشدد في الانكار ، واما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى وما أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبُورِ إِن أَنتَ إِلاّ نَذِيرٌ لانه لما كان صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية الناس يكرر دعوة من امتنع عن الايمان ولا يرجع عنها ، كان في معرض من ظن انه يملك مع الانذار ايجاد الشيء فيما يمتنع قبوله اياه — ومثله إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا لان الكفار جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد اخرجوا انفسهم عن ان يكونوا بشرا مثلهم ، واما قوله تعالى حكاية عن الرسل إِنْ نَحْنُ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ولكنّ اللهَ يَمُنُّ على مَن يشاء مِنْ عِبادِهِ فمن باب مجاراة الخصم

وتبكيته ليلزم ويفحم كما هى العادة فيمن ادعى على خصمه الخلاف فى أمر هو لا يخالفه فيه أن يعيد كلامه على وجهه كما اذا قال لك من يحاجك فى مسئلة ، أنت من دأبك كيت وكيت ، فتقول نعم أنا من دأبى كيت وكيت ولكن لاضير على ولا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننت — فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا ان ما قلتم هو كما قلتم ولكن ذلك لا يمنعنا من الرسالة وفضل المولى

(٥) أن الاصل فى (انما) أن تجيء لامر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره وانما يراد تنبيهه فقط ، أو لما هو منزل هذه المنزلة — تفسير هذا أنك تقول للرجل انما هو صاحبك القديم ، وانما هو أخوك ، لمن يعلم ذلك ويعترف به ولكنك تريد أن تنبهه لما يجب عليه من حرمة الصاحب وحق الاخوة لترققه وتستعطف قلبه ألا ترى أن أبا الطيب حين قال

إِنَّما أَنْتَ والِدٌ والأَبُ القا طِعُ أَحْنى مِنْ واصِلِ الأَوْلادِ

لم يرد أن يعلم كافورا انه لابن الاخشيذ مولاه بمنزلة الوالد ولا كافور فى حاجة الى أن يعلم بذلك ، ولكنه اراد ان يذكره بالامر المعلوم ليجعله ذريعة الى استدعاء ما يستوجبه من العطف والحنان — ونظيره قولهم انما يعجل من يخشى الفوت وقوله تعالى إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

واما ما هو منزل هذه المنزلة فكقوله تعالى حكاية عن اليهود

انّما نحنُ مصلحونَ فهم قد ادعوا أنّ اصلاحهم أمر جلي ظاهر ولذا جاء الرد عليهم مؤكداً بأن واسمية الجملة وتعريف الخبر باللام وضمير الفصل وتصدير حرف التنبيه حيث قال ألا إنّهم هُم المفسدونَ — ومثله قول ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير

إنّما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماء

ادعى أن ثبوت هذه الصفة لممدوحه أمر ظاهر لا يخفى على احد كما هو دأب الشعراء اذا مدحوا ان يدعوا الشهرة فيما يصفون به ممدوحيهم كما قال البحتري

لا أدّعي لأبي العلاء فضيلةً حتى يسلّمها اليه عداهُ

هذا وقد علم بالاستقراء ان احسن مواقع أنما استعمالا ما اذا كان المقصد منها التعريض بامر هو مقتضى معنى الكلام بعدها كما في قوله تعالى انّما يتذكّرُ أولو الألباب فهذا تعريض بذم الكفار وانهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل فأنتم في طمعكم منهم ان ينظروا ويتذكروا كمن طمع في ذلك من غير أولي الالباب وقوله انّما أنتَ منذرُ من يخشاها اذ المراد ان من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع ولا قلب يعقل فالانذار وعدمه سيان — ومثل ذلك قوله

أنا لم أرزَق محبّتها انّما للعبدِ ما رُزقا

فهذا تعريض بأنه قد علم ان لا مطمع له في وصلها فيئس من ان يكون

منها اسعاف به

(٦) أن لطريق (انما) مزية على العطف وهى أنه يعقل منها أثبات الفعل للشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة ، بخلاف العطف فانه يفهم منه أولا الاثبات ثم النفي نحو محمد قائم لا قاعد ، أو بالعكس نحو ما محمد قائما بل قاعد

﴿ المبحث الخامس فى تأخير المقصور عليه ﴾

اعلم أنه كما يكون القصر بين المبتدأ والخبر كما رأيت ، يكون أيضا بين الفعل والفاعل ، والفاعل والمفعول وغير ذلك من المتعلقات

فاذا كان القصر بما والا أخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء فقصر الفاعل على المفعول كقوله تعالى ما قُلْتُ لَهُمْ إلاّ ما أَمرْتَنى بِهِ أنْ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وهو قصر قلب لا أفراد اذ المعنى أنى لم أترك ما أمرتنى به أن أقوله لهم الى خلافه بدليل أأنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ وليس المراد أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئا اذ ليس الكلام فى زيادة أو نقصان فى التبليغ — وقصر المفعول على الفاعل كقولك ما كلمنى الا أخوك — وقصر المفعول الاول على الثانى كقولك ما كسوت عليا الا جبة - وعكسه ما كسوت جبة الا عليا - وقصر ذى الحال على الحال كقولك ما جاء محمد الا راكبا - وعكسه ما جاء راكبا الا محمد

ويجوز قليلا تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء وهما بحالهما على المقصور نحو ما كلم الا محمد خالدا ، وما كلم الا محمدا خالد وعليه قوله

فيارَبِّ هلْ إلاّ بِكَ النَّصرُ يُرْتَجى عليهِمْ وهلْ إلاّ عليْكَ المُعَوَّلُ

وبيان افادة النفي والاستثناء القصر في كل ما تقدم ، أن النفي في الاستثناء المفرغ وهو ماحذف فيه المستثنى منه وأعرب ما بعد ألا بحسب العوامل ، يتوجه الى مقدر هو مستثنى منه اذ ألا للاخراج وهو يتطلب مخرجا منه : وذلك المقدر عام مناسب للمستثنى منه في جنسه وصفته ليتحقق الاخراج ففي نحو ما فهم الا محمد يقدر ما فهم أحد ؛ وفي نحو ما كسوته الا عباءة ما كسوته لباسا ـ فاذا أخرج منه شيء تحقق القصر

واذا كان القصر بانما أخر المقصور عليه تقول انما محمد قائم ، وانما كلمت محمدا وانما أتيته زجراً له ، ولا يجوز تقديمه على غيره لانه يفضي الى الالباس لانك اذا قلت انما فهم محمد عليا ، كان في المعنى عكس قولك انما فهم عليا محمد ـ وأما في ما ألا فلا الباس

قال السكاكي ومما ذكر تعثر على الفرق بين قوله تعالى انَّما يَخشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ؛ وقولنا انما يخشى العلماء من عباد الله اللهَ ـ فان الاول يقتضي قصر خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضي قصر خشية العلماء على الله : والضابط أن الاختصاص يقع في الذي يلي الا لانه أثر من آثارها فلا يحصل قبل مجيئها ، وفي المؤخر بعد انما ـ وغير كالا في افادة

قصر الموصوف على الصفة وعكسه : وفى امتناع مجامعة لا ممها

تطبيق

بين طرق القصر وأنواعه فيما يأتى

قال تعالى إِنَّما المُؤْمِنونَ إِخْوَةٌ ـ ما المَسيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ـ وإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيها نَذِيرٌ ـ إِنَّما عَلَيْكَ البَلاَغُ وعَلَيْنا الحِسابُ ـ على اللهِ تَوَكَّلْنا ـ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وقال عليه السلام انما الأَعْمالُ بالنِّيَّاتِ وانَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى وقيل فى الحكم لا يألف العلم الا ذكى ولا يجفوه الا غبى ـ إياكِ أعنى واسمعى ياجاره وقال عمرو بن معديكرب

قَدْ عَلِمَتْ سَلْمى وجاراتُها ما قَطَّرَ الْفارِسَ إِلاَّ أَنا (١)

إِنَّما الدُّنْيا هِباتٌ وعَوارٍ مُسْتَرَدَّهْ
شِدَّةٌ بَعْدَ رَخاءٍ ورَخاءٌ بَعْدَ شِدَّهْ

كأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِواكَ ولَمْ يَقُمْ على أَحَدٍ إِلاَّ عَلَيْكَ النَّوائِحُ

---

(١) قطر الفارس صرعه صرعة شديدة فالقاه على قطره وجانبه

إِنَّ الجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلافِهِما
لا يَفْسُدانِ ولكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

لَيْسَ اليَتِيمُ الَّذِي قَدْ ماتَ والِدُهُ بَلِ اليَتِيمُ يَتِيمُ العِلْمِ والأَدَبِ

﴿ الباب العاشر فى الوصل والفصل وفيه ستة مباحث وتتمة ﴾

﴿ المبحث الاول فى دقة مسلكه وعظيم خطره ﴾

هذا باب لطيف المغزى دقيق المسلك كثير الفائدة غامض السر لا يوفق للصواب فيه الا من أوتى حظا من حسن الذوق وطبع على البلاغة ورزق فى أدراك محاسنها بصيرة نقادة وقريحة وقادة ، ولصعوبة مسلكه جعل حدا للبلاغة ، يرشدك الى ذلك أن بعض الادباء سئل عن البلاغة فقال ـ هى معرفة الفصل والوصل ، فجعل ما سواه تبعاله ومفتقراً اليه ـ وليس بالخفى أنه لم يرد بذلك الا التنبيه على غموضه وعظيم خطره ، وان أحدا لا يكمل فيه الا فى كمل سائر فنونها

﴿ المبحث الثانى فى الوصل والفصل فى المفردات ﴾

البحث فى وصل الجمل وفصلها لا يتضح أمره الا اذا سبقه الكلام على وصل المفردات وفصلها ـ وبيان ذلك أن عطف المفرد على المفرد يستفاد منه مشاركة الثانى للاول فى أعرابه من رفع أو نصب أو جر على سبيل الفاعلية أو المفعولية أو الاضافة وحروف الجر

والاكثر في الصفات ألا يعطف بعضها على بعض كما تقول مررت بمحمد العاقل الفاضل الكريم . وسر ذلك أن الصفة جارية مجرى موصوفها فهي تدل على ذات لها تلك الصفة. ولذا يمتنع عطفها على موصوفها فلا يجوز جاءني محمد والكريم على أن الكريم هو محمد لانه لا يصح عطف الشيء على نفسه . ويقل عطف بعضها على بعض باعتبار المعاني الدالة عليها فتقول نظرت الى علي الفاضل والمؤدب والكريم ـ كانك قلت نظرت الى شخص اتصف بالفضل والادب والكرم وعليه قوله

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ ولَيْثِ الكَتيبةِ في المُزْدَحَمْ

وقلما يأتي العطف في الصفات الجارية على الله تعالى لانها أسماء دالة على الذات باعتبار هذه الخصائص فجرت مجرى الاسماء المترادفة كقوله تعالى (هُوَ اللهُ الذي لا إلهَ إلا هُوَ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادةِ هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ) ثم قال (الخالِقُ البارِىءُ المُصَوِّرُ العَزيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ) وانما جاءت معطوفة في الآية (هوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ) لانها متضادة المعاني فجاءت الواو رافعة لتوهم من يستبعد ذلك في ذات واحدة ـ كما وسط العاطف بين قوله (ثَيِّباتٍ وأبْكارًا) دون سائر الصفات قبلهما من الاسلام والايمان لتنافي هاتين الصفتين دون غيرهما مما تقدمهما

المبحث الثالث في وصل الجمل

وصل الجمل عطف بعضها على بعض بالواو أو احدى أخواتها، لكن

الذي يعرض فيه الاشكال ويدق فيه الصنع هو الواو دون غيرها لان ما عداها يفيد مع الاشراك معانى أخرى كالترتيب من غير تراخ فى الفاء وهو مع التراخي فى ثم وهكذا باقى الحروف .

واعلم أن الجمل المعطوف بعضها على بعض ضربان

(١) الاول أن يكون للجملة المعطوف عليها موضع من الاعراب ، وحكم هذه حكم المفرد لانها لا تكون كذلك حتى تكون واقعة موقعه وحينئذ يكون وجه الحاجة فيها الى الواو ظاهرا والاشراك بها فى الحكم موجودا فاذا قلت نظرت الى رجل خُلُقُه حسن وخَلقه قبيح كنت قد أشركت، الثانية فى حكم الاولى وهو كونها فى موضع جر صفة للنكرة ونظائر ذلك تكثر والخطب فيها يسهل

(٢) الضرب الثانى ألا يكون للمعطوف عليها موضع من الاعراب وتحت هذه نوعان

(ا) أن تتفق الجملتان خبرا وانشاء وتكون بينهما مناسبة وجهة جامعة تصحح العطف وليس هناك مانع منه نحو ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ وقوله تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾

(ب) أن تختلف الجملتان خبرا وانشاء لكن لو ترك العطف لاوهم خلاف المقصود كما تقول لا وشفاه الله جوابا لمن سألك هل أبلّ محمد من مرضه ؟ فان ترك الواو فى هذه الحالة يوهم الدعاء عليه مع ان المقصد

الدعاء له ـ وقد ذكر صاحب المُغْرِب أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه من برجل فى يده ثوب فقال له الصديق أتبيع هذا فقال لا يرحمك الله فقال له الصديق لا تقل هكذا وقل لا ويرحمك الله

﴿ المبحث الرابع فى الجامع ﴾

لا بد فى الضرب الاول والنوع الاول من الضرب الثانى من صور الوصل من وجود جامع بين الجملتين به تتجاذبان وعليه تعتمدان ـ بيان هذا أنه لا يقع العطف موقعه ولا يحل المحل اللائق به الا اذا كان للمحدث عنه فى الجملة الثانية تعلق بالمحدث عنه فى الجملة الاولى كأن يكونا نظيرين أو صديقين أو نحو ذلك ولا يجوز أن يكون الثانى أجنبيا عن الاول لامناسبة بينه وبينه ولا علاقة له به ، فيحسن أن تقول محمد قائم وعلى قاعد اذا كان محمد وعلى أخوين أو نظيرين أو مشتبكى الاحوال على الجملة ، ويقبح أن تقول خرجت من دارى وأحسن ما قيل من الشعر كذا ، اذ لا تعلق للثانى بالاول ولا صلة له به ولهذا عيب على أبى تمام قوله يمدح أبا الحسين بن الهيثم

لا والذِي هُوَ عالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبِرٌ وأَنَّ أبا الحُسَيْنِ كرِيمُ

اذ لا رابطة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لاحدهما بالآخر

وكما تجب هذه المناسبة بين المحدث عنه فى الجملتين . كذلك يجب

فى المحدث به الثانى أن يكون مشابها للمحدث به الاول أو مناقضا له فلو قلت محمد طويل القامة وعلى شاعر كان خَلْفاً من القول لانه لا مناسبة بين طول القامة والشعر ، ومثله محمد كاتب وعلى باع داره ويحسن محمد خطيب وعلى شاعر ، وبكر فقيه وخالد محدث

﴿ المبحث الخامس فى محسنات الوصل ﴾

مما يزيد به الوصل حسنا توافق الجملتين فى الاسمية وكون الخبر اسما أو فعلا ماضيا أو مضارعا ، أو فى الفعلية كأن يكون الفعلان فيهما ماضيين أو مضارعين ، وفى القيد كأن يكون مفردا أو جملة الا اذا عرض ما يمنع من ملاحظة ذلك كأن يقصد التجدد فى احداهما والثبوت فى الاخرى كقوله تعالى حكاية عن قوم ابراهيم أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ لانهم كانوا يزعمون أن اللعب حالة مستمرة لابراهيم صلوات الله عليه فاستفهموا عن تجدد مجيئه لهم بالحق ، أو يقصد المضى فى احداهما والاستقبال فى الاخرى كقوله تعالى فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ عبر بالمضارع فى الجملة الثانية وان كان القتل فى الماضى لان الامر فظيع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب ، أو يقصد الاطلاق فى احداهما والتقييد فى الاخرى كقوله تعالى وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ المعنى هلا أنزل عليه ملك فنؤمن به ونحوه ، ولكنه لو حصل ذلك لقضى الامر بهلاكهم وعدم ايمانهم ـ فالجملة الاولى

مطلقة والثانية مقيدة بالانزال اذ الشرط مقيد للجواب

﴿المبحث السادس فى الفصل﴾

من حق الجمل اذا ترادفت ووقع بعضها أثر بعض أن تربط بالواو لتكون منسقة منتظمة ، وقد يعرض ما يوجب ترك الواو فيها ، ويسمى ذلك فصلا ويكون فى خمس أحوال

(ا) أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوى حتى كأنهما أفرغا فى قالب واحد ، ويقال حينئذ أن بين الجملتين كال الاتصال ويكون هذا فى باب التأكيد اللفظى نحو فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ، والتأكيد المعنوى نحو ما هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا الاَّ مَلَكٌ كَرِيم فانه اذا كان ملكا لم يكن بشرا فاثبات كونه ملكا تحقيق وتأكيد لنفى أن يكون بشرا ،

وفى باب البدل والمقتضى للابدال كون الثانية أوفى بالمطلوب من الاولى والتمام يستدعى اعتناء بشأنه لكونه مطلوبا فى نفسه نحو أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ وجناتٍ وعيونٍ أبدلت الثانية بدل بعض من الاولى للتنبيه على نعم الله تعالى على المخاطبين ، اذ هى أوفى مما قبلها لدلالتها على المراد مع التفصيل من غير احالة على علمهم لعنادهم واستكبارهم ، ونحو اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ اجرًا وهُمْ مُهْتَدُونَ أبدلت الثانية بدل اشتمال من الاولى لانها أبين فى المراد وهو حمل المخاطبين

على اتباع الرسل اذ مفادها أنكم لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خيرا الدنيا والآخرة ، وقوله

أقولُ لهُ ارحَلْ لا تُقيمنَّ عِندَنا ... وإلا فكُنْ في السِّرِّ والجهرِ مُسلِما(١)

مسوق الكلام في اظهار كراهته اقامته لانه يسر غير ما يعلن ، وجملة لا تقيمن أدل على هذا الغرض لا سيما مع تأكيدها بالنون — وفي باب عطف البيان نحو فوسوس اليه الشيطانُ قال يا آدمُ هل أدُلُّكَ على شجرةِ الخُلدِ ومُلكٍ لا يَبلى ، فصلت جملة قال لانها مبينة ومفسرة لما قبلها

(ب) أن يكون بين الجملتين تباين تام ويقال ان بينهما كمال الانقطاع وتحت هذا نوعان

(١) أن تختلفا خبرا وانشاء لفظا ومعنى كقوله

لا تَسألِ المرءَ عن خلائقِهِ ... في وجهِهِ شاهِدٌ من الخبرِ

وقول الاخطل

وقالَ رائدُهُم أرسُوا نُزاوِلُها ... فكلُّ حتفِ امرىءٍ يجري بمقدارِ(٢)

---

(١) المعنى أنه يطلب منه الرحلة لان باطنه ليس كظاهره بالنسبة اليهم لانه يتناول أعراضهم وإلا فليجعل باطنه كظاهره كما هو شأن المسلم

(٢) الرائد من يتقدم القوم لطلب الكلأ والماء وأرسوا أقيموا من أرسيت السفينة حبستها بالمرساة ونزاول نعالج ونحاول والضمير المنصوب للحرب والحتف الموت

أو معنى لا لفظا كقولك مات فلان رحمه الله ، وقول اليزيدي

مَلَّكْتُهُ حَبْلِي ولكِنَّهُ ... أَلقاهُ مِنْ زُهْدٍ على غارِبِي

وقالَ إِنِّي في الهَوَى كاذِبٌ ... انْتَقَمَ اللهُ مِنَ الكاذِبِ

(ب) ألا تكون بينهما مناسبة فى المعنى ولا ارتباط بين المحدث عنه والمحدث به فيهما كما تقدم فى نحو قولنا خرجت من دارى وأحسن ما قيل من الشعر كذا

(ج) أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال نشأ عن الجملة الاولى فتفصل كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى الفصل لذلك استئنافا ويقال أن بين الجملتين شبه كمال الاتصال وهذا على ثلاثة[1] أضرب لان السؤال الذى تضمنته الجملة

(١) أما عن سبب عام للحكم كقوله

قالَ لِي كيفَ أَنتَ قُلْتُ عَليلُ ... سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طَوِيلُ

كأن المخاطب لما سمع قوله عليل قال ما سبب علتك فقال سهر دائم وحزن طويل

---

(١) لان السائل اما أن يجهل السبب من أصله فيسأل عنه وأما أن يتصور نفى جميع الاسباب الا سببا خاصا يتردد فى حصوله ونفيه فيسأل عنه وأما غير السبب بأن يفهم عليه شىء مما يتعلق بالجملة الاولى.

«٢» وأما عن سبب خاص كقوله تعالى وما أُبَرِّئ نفسي (١) إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ كأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء فقيل أن النفس لأمارة بالسوء ، وهذا يقتضى تأكيد الحكم الذى فى جملة الجواب كما سبق لك من حسن التأكيد عند التردد فى الحكم

(٣) وأما عن غيرهما كقوله تعالى قالُوا سَلاَماً قالَ سَلاَمٌ كأنه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام فقيل قال سلام وقوله

زَعَمَ العَوَاذِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلكِنْ غَمْرَتِي لا تَنْجَلِي (١)

فان مساق الكلام فى اظهار الشكوى من العذال وذلك مما يدعو السامع لان يسأل أصدقوا أم كذبوا

وقد يحذف الجواب ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور ابن هند يهجو بنى أسد

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلافُ

فحذف الجواب وهو كذبتم فى زعمكم وأقام مقامه قوله لهم ألف

---

(١) لان الذى دلت عليه الجملة الاولى عدم تبرئة النفس وهذا ظاهر فى اعتقاد المتكلم أنها أمارة بالسوء ولكنه لما لم يكن بالصريح اذ ربما تشكك السامع فى وقوع هذه النسبة فلذلك راجع المتكلم وقال هل النفس أمارة بالسوء

(٢) العواذل جمع عاذلة ويراد هنا جماعة عاذلة والغمرة الشدة وتنجلى تنكشف

وليس لكم ألاف لدلالته عليه ، قال الامام عبد القاهر ، واعلم أن الذى تراه فى التنزيل من لفظ قال مفصولا غير معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم أعنى مثل قوله هلْ أتاكَ حديثُ ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ المُكْرَمِينَ إذْ دَخلوا عليْهِ فقالوا سلاماً قالَ سَلَامٌ قومٌ منكرُونَ فرَاغَ إلى أهْله فجاءَ بعِجْلٍ سَمِينٍ فقرَّبهُ إليهمْ قالَ ألا تأ كلونَ فأوْجسَ منهُمْ خيفةً قالوا لا تخفْ جاء على ما يقع فى أنفس المخاطبين من السؤال ، فلما كان فى العرف والعادة فيما بين المخلوقين اذا قيل لهم دخل قوم على فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو ويقول المجيب قال كذا أخرج الكلام ذلك المخرج لان الناس خوطبوا بما يتعارفون . وقال السكاكى وتنزيل السؤال المفهوم من الكلام السابق منزلة الواقع لا يصار اليه الالجهات لطيفة أما لتنبيه السامع على موقعه أو لاغنائه أن يسأل أو لئلا يسمع منه شىء أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه أو للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أولغير ذلك مما ينخرط فى هذا السلك

(د) أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على احداهما لوجود المناسبة ولا يصح عطفها على الاخرى لفساد المعنى فيترك العطف دفعا لهذا الوهم ويسمى الفصل لذلك قطعا ، ويقال أن بين الجملتين شبه كمال الانقطاع كقوله

وتظنُّ سَلْمى أنني أبْغي بها بدَلا أُرَاها فى الضَّلَالِ تَهيمُ

لم يعطف أراها على تظن كي لا يدور في خلد السامع أنها معطوفة على أبغي لقربها منها مع أنه ليس بمراد (١) اذ يلزم منه أن تصير جملة أراها في الضلال تهيم من مظنونات سلمى

(هـ) ألا يقصد تشريك الجملتين في الحكم لقيام المانع كقوله تعالى وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فجملة الله يستهزئ بهم لا يصح عطفها على انا معكم لاقتضائه أنها من مقول المنافقين وليس ذلك كذلك ولا على جملة قالوا لانه يكون المعنى فاذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم وهذا لا يستقيم ، لان استهزاء الله بهم بأن خذلهم وخلاهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجا اياهم من حيث لا يشعرون ، انما هو على نفس الاستهزاء وفعلهم له وارادتهم اياه في قولهم آمنا ـ لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزئون اذ المؤاخذة على اعتقاد الاستهزاء والخديعة في اظهار الايمان لا في قولهم أنا استهزأنا من غير أن يقترن بذلك القول اعتقاد ونية

تتمة للباب

لما كانت الجملة الحالية تارة تجيء بالواو وأخرى بغيرها ناسب أن تذكر عقب الوصل والفصل ـ تتميما لهذا الباب. الحال نوعان منتقلة ومؤكدة

---

(١) لأنه انما يريد الحكم على سلمى بالخطأ في الظن حين ظنت أنه يبغي بها بدلا يدل لذلك قوله قبله

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا عنها طلال باللوى ورسوم

ويفترقان فى أن الاصل فى الأولى أن تكون وصفا غير ثابت كاسم الفاعل واسم المفعول نحو جاء على ضاحكا ويمتنع جاء على طويلا أو قصيرا ، والاصل فى الثانية أن تكون وصفا ثابتا نحو هذا أخوك عطوفا ـ ويشتركان فى شيئين

(١) أنهما يأتيان عاريين من حرف النفى تقول هو الحق بينا ، وجاء على مستبشرا ، ولا يجوز أن تقول لا خفيا فى الاول ولا عبوسا فى الثانى

(٢) أنهما يكونان بغير الواو لأسباب ذكرها فى الايضاح وهى

(ا) أن أعراب الحال أصلى ليس تبعا لغيره ولا مجال للواو فى المعرب أصالة اذ الاعراب دال على التعلق المعنوى المغنى عن الاحتياج الى تعلق آخر

(ب) أن حكم الحال مع صاحبها كحكم الخبر مع المخبر عنه ، الا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم يحصل به أصالة لا فى ضمن شىء آخر ، والحكم بها انما يحصل فى ضمن غيرها فان الركوب فى قولك جاء خالد راكبا محكوم به على خالد لكن بالتبعية للمجىء وجعله قيدا له

(ج) أن الحال وصف لذى الحال فلا تدخل عليها الواو كالنعت

فعلم من هذا أن الاصل فى الحال ألا تدخل عليها الواو ، لكن خولف ذلك اذا كانت جملة لانها من حيث هى جملة [1] فهى مستقلة بالأفادة لا بد لها من ربطها بما جعلت حالا عنه ـ والصالح للربط شيئان الواو والضمير والثانى هو الأصل بدليل أنه يقتصر عليه فى الحال المفردة والنعت والخبر

---

(١) أما من حيث هى حال فهى متوقفة على التعلق بكلام سابق قصد تقييده بها

واعلم أن الجملة التي تقع حالا ضربان

(١) خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه وهـذه يجب أن تقترن بالواو حتى لا تنقطع عما قبلها ويستثنى منها المضارع المثبت كما سيجيء.

(٢) غير خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه وهذه تارة تأتي بالواو وطورا تمتنع فيها وحينا يجوز الامران

وبيان ذلك أن الجملة أن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع فيها الواو كقوله تعالى وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وقوله

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي   أَحْوَذِيٌّ ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيجُ(١)

وسر هذا أن الحال المنتقلة تدل على حصول صفة غير ثابتة مع مقارنة حصولها لما جعلت قيدا له وهو عاملها، والمضارع المثبت يفيد ذلك فيدل على الحصول غير الثابت من قِبَل أنه فعل يدل على التجدد ويدل على المقارنة من جهة كونه مضارعا دالا على الحال، وقد ورد قليلا ما يخالف تلك القاعدة كقولهم قمت وأصك وجهه وقول عبد الله بن همام السلولى

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ   نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا (٢)

---

(١) أغتدى أذهب غدوة مبكرا والاحوذى السريع الحاذق والميعة أول الشيء وهنا أول الجرى وأنشطه والأضريج الفرس السريع العدو.

(٢) خشى خاف والأظافير المراد بها هنا الشوكة والقوة والمعنى لما خفت منهم هربت وجعلت مالكا مرهونا عندهم

فاختلف العلماء فى تأويله فقيل أنه على حذف المبتدأ أى وأنا أصك وأنا أرهنهم فهى جملة أسمية ، وقال الامام عبد القاهر ليست الواو فيهما للحال بل هى للعطف لان أصك وأرهن بمعنى صككت ورهنت ـ عبر فيهما بلفظ المضارع حكاية للحال الماضية كما فى قوله

ولَقدْ أمرُّ على اللّئيمِ يَسُبُّنى   فَمَضَيْتُ ثُمّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينى

يدل لذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو فى مثل هذا

وان كان مضارعا منفيا بلا أو ما استوى فيه الأمران ، وسبب ذلك دلالته على المقارنة لكونه مضارعا وهذه يلائمها ترك الواو ، وعدم الحصول وهذا يناسبه ذكرها ، فمن مجيئه بالواو قراءة ابن ذكوان فاستقيما ولا تتّبعانِ وقول بعض العرب كنت ولا أخشى (١) الذئب وقول مسكين الدارمى

أكسبَتْهُ الوَرِقُ البِيضُ أباً   ولقَدْ كانَ ولا يُدْعى لِأَب

ومن ترك الواو قوله تعالى وما لَنا لا نؤمِنُ بالله وقول خالد بن يزيد بن معاوية

لَوْ أنّ قوماً لِارْتِفاعِ قَبيلةٍ   دَخَلُوا السّماءَ دَخَلْتُها لا أُحْجَبُ

ومثله الماضى لفظا ومعنى كقولك جاءنى وقد جهده السير وقوله

(١) أخشى أخوف

تعالى أنّى يكونُ لى غلامٌ وقد بلغنيَ الكبرُ وقول امرىء القيس

فجئتُ وقد نضتْ لنومٍ ثيابَها لدى السترِ إلاّ لبسةَ المتفضّلِ (١)

ومن تركها قوله عز وجل أو جاءوكم حصِرتْ صدورُهم

وقول عمرو بن كلثوم

فآبُوا بالرماحِ مكسّراتٍ وأُبنا بالسيوفِ قدِ انحنينا

بشرط ألا يقع بعد ألا أو أو العاطفة وألا امتنع الاقتران بها نحو

وما يأتيهم من رسولٍ إلاّ كانُوا به يستهزئُونَ وقوله

كنْ للخليلِ نصيرًا جارَ أوْ عدَلا ولا تشحّ عليْهِ جادَ أوْ بخِلا

أو الماضى معنى (٢) فقط فمن مجيئه بالواو قول كعب بن زهير

لا تأخُذَنِّى بأقوالِ الوشاةِ ولمْ أذنِبْ وإنْ كثُرتْ فيّ الأقاويلُ

وقوله عز اسمه أمْ حسبتمْ أنْ تدخُلوا الجنّةَ ولمّا يأتِكُمْ مثَلُ

الذينَ خلَوْا مِنْ قبلِكُمْ ، ومن تركها قوله تعالى وردّ اللهُ الذينَ كفرُوا

بغيظهمْ لمْ ينالُوا خيرًا ، وقوله

فقالَتْ لهُ العينانِ سمعًا وطاعةً وحدّرتا كالدُّرّ لمّا يثقّبِ

---

(١) لبسة المتفضل كساء رقيق يلبس عند النوم (٢) هو المضارع المنفى بلم أو لما

والسر في جواز الامرين أنه اذا كان ماضيا مثبتا دل على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا ودل على عدم المقارنة لكونه ماضيا ولأجل هذا اشترط أن يكون مع قد أما ظاهرة أو مقدرة حتى يقرب من الحال، وللوجه الاول يناسبه ترك الواو لمشابهته للمفرد من تلك الجهة وللوجه الثاني يناسبه ذكرها لانه لا شبه بينه وبينه فيها

واذا كان منفيا دل على المقارنة دون الحصول ، وذلك أن لما لاستغراق النفي وغيرها لانتفاء متقدم والاصل فيه أن يستمر فيحصل بهذا الاستمرار الدلالة على المقارنة عند الاطلاق وترك التقييد عما يدل على انقطاع ذلك الانتفاء

واذا كان جملة أسمية فالمشهور جواز الامرين لكن مجيء الواو أولى ، فمن وجودها قوله تعالى فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وقول امرىء القيس

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

ومن تركها ما رواه سيبويه كَلَّمْتُهُ فُوهُ الى فِيَّ وما أنشده الجوهري من قول بلال

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِمَكَّةَ حَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ(١)

وانما جاز الامران لأن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها

(١) الاذخر نبات طيب الرائحة الواحدة اذخرة والجليل الثمام العظيمة الكثيرة الحمل

مستمرة وذلك يستدعى سقوط الواو ، لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبات فهى بعكس الماضى المثبت ، وذلك يستدعى وصلها بها ـ وانما كان المجيء أولى لانها ليس فيها دلالة على عدم ثبوت الصفة بل هى تدل على الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها أذ هى مستقلة بالفائدة فيحسن زيادة رابط يؤكد الربط ويقويه

أما الامام [١] فقد قال أن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجبت الواو نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع ، وعلة ذلك أن الفائدة كانت حاصلة بقوله يسرع من غير ذكر الضمير فالاتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال فلا يكفى الضمير حينئذ فى الربط بل لا بد من الواو ،

وقال أيضا وان كان الخبر فى الجملة الاسمية ظرفا قد تقدم على المبتدأ كقولنا جاء زيد على كتفه سيف وفى يده سوط كثر فيها أن تجيء بغير الواو كقول بشار

اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها   خرجت مع البازى على سواد

يعنى بقية من الليل ، وقول أمية بن أبى الصلت يمدح ابن ذى يزن [٢]

---

(١) فهو مخالف المشهور فى أنه حكم فى غير المبدوءة بالظرف وغير المبدوءة بحرف الابتداء وغير المعطوفة على مفرد بوجوب الاتيان بالواو اذا بدئت بضمير ذى الحال وفيما عدا ذلك بجواز الأمرين والراجح ذكرها

فاشرَبْ هنيئًا عليكَ التاجُ مُرتفقاً
في رأسِ غُمْدانَ داراً منكَ محلالا (١)

وقول الآخر

لقد صبرتْ للذلِّ أعوادُ منبرٍ   تقومُ عليها في يديكَ قضيبُ

والوجه أن يقدر الاسم في هذه الأمثلة مرتفعاً بالظرف فانه جائز باتفاق صاحب الكتاب والاخفش لاعتماده على ما قبله ، ويقدر متعلقه على المختار اسم فاعل لا فعلا الا اذا تدرته ماضياً مع قد

ومن كلامه أيضاً ، ومما ينبغي أن يراعى في هذا الباب أنك ترى الجملة جاءت حالا بغير واو ويحسن ذلك من أجل حرف دخل عليها كقول الفرزدق

فقلتُ عسى أنْ تُبصريني كأنَّما   بَنِيَّ حوالَيَّ الأُسودُ الحَوارِدُ (٢)

لانه لولا دخول كأن عليه لم يحسن الا بالواو وكأن يقال وبنى حوالى الاسود ، وشبيه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالا بعقب مفرد فلطف مكانها كقول ابن الرومى

---

(١) المرتفق المتكىء وغمدان حصن بصنعاء وروضة محلال بكثر حلول الناس بها (٢) الحوارد الغضاب قاله يخاطب زوجته وقد عيرته لانه لا يولد له وقبله وقالت أراه واحدا لا أخا له   يؤمله يوما ولا هو والد (١٢)

وَاللهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمُ (١)

فبرداك تبجيل فى موضع حال ثانية لو لم يتقدمها قوله سالماً لم يحسن فيها ترك الواو

تمرين

بين علة فصل الجمل الآتية ووصلها ومن أى نوع ذلك واستخرج الجمل الحالية التى فيها قال تعالى وإذا تُتلى عليه آياتُنا ولَّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنَّ فى أذنيه وقراً ـ واصبر وما صبرُك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تكُ فى ضيقٍ مما يمكرون ـ وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى علّمه شديدُ القوى ـ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ـ إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم اللهُ على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةٌ ولهم عذابٌ عظيمٌ ـ قال فرعونُ وما ربُّ العالمين ، قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم وربُّ آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذى أُرسل إليكم لمجنونٌ ـ وترى الجبال تحسبها جامدةً وهى

---

(١) البردان تثنية برد وهو الثوب

تمرُّ مَرَّ السَّحابِ يُدَبِّرُ الأمرَ يُفصِّلُ الآياتِ . وقال عليه السلام
الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ ما تعارفَ منها ائتلفَ وما تناكرَ منها اختلفَ

لنا فتًى وحبَّذا الأفتاه تعرفه الأرسانُ والدِّلاء
إذا جرى في كفِّهِ الرِّشاء خلَّى القليبَ ليسَ فيه ماء(١)

يقولونَ إني أحملُ الضيمَ عندهم أعوذُ بربي أن يُضامَ نظيري

مضَوْا لا يُريدونَ الرَّواحَ وغالَهم منَ الدَّهرِ أسبابٌ جرينَ على قدرِ

متى أرى الصبحَ قد لاحتْ مخايلُهُ والليلَ قد مُزِّقتْ عنهُ السرابيلُ

قالتْ بليتَ فما نراكَ كعهدِنا ليتَ العهودَ تجدَّدتْ بعدَ البِلى

إنْ تلقَني لا ترى غيري بناظرةٍ تنسَ السلاحَ وتعرفْ جبهةَ الأسدِ

أتينا أصبهانَ فهزَّلتنا وكنّا قبلَ ذلكَ في نعيمِ
وكانَ سفاهةً منّي وجهلاً مسيري لا أسيرُ إلى حميمِ

أتيناكمُ فذعمكم حذرُ العدا فنلتم بنا أمنًا ولم تعدموا نصرا

---

(١) الافتاه جمع فتى بتشديد الباء وهو الشاب والارسان الحبال والرشاء حبل الدلو والقليب البئر

وَلَوْلا جَنَانُ اللَّيْلِ ما آبَ عامِرٌ إلى جَعْفَرٍ سِرْبالُهُ لم يُمَزَّقِ (١)

وما عَفَتِ الدِّيارُ لهُ مَحلاًّ عَفاهُ مَنْ حَدا بِهِمُ وساقا

الباب الحادى عشر فى الأيجاز والأطناب والمساواة وفيه خمسة مباحث

المبحث الاول فى دقة مسالكها واختلاف الائمة فى تعريفها

هذا الباب أساس فى بنيان الفصاحة ركن ركين فى علوم البلاغة حتى نقل صاحب (سر الفصاحة) عن بعضهم أنه قال البلاغة هى الأيجاز والاطناب . واعلم أن علماء البيان افترقوا فرقتين فرقة منهم تثبت واسطة بين الايجاز والاطناب هى المساواة وعليها درج السكاكى ومن تبع طريقته وقالوا أنها ليست محمودة ولا مذمومة . وفرقة منها ابن الاثير فى جماعة ذهبوا الى نفى الواسطة ومن ثم قسموا أيجاز غير الحذف الى قسمين أيجاز تقدير وهو ما ساوى لفظه معناه من غير زيادة ، وهذا هو المساواة على الرأى الاول ـ وأيجاز قصر وهو ما يزيد معناه على لفظه .

ومما أسلفته لك تعلم أن الخلاف بينهم فى الاسم لا فى المسمى والطريقة الاولى أشهر بين أئمة الفن ولذا قد جرينا عليها

﴿ المبحث الثانى فى الايجاز ﴾

الايجاز لغة التقصير يقال أوجز فى كلامه اذا قصره وكلام وجيز أى

---

(١) جنان الليل ظلمته الحالكة

قصير، وفي اصطلاح علماء البيان اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، أو هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف واف بالمراد — فاذا لم يف كان اخلالا وحذفا رديئا كقول الحرث بن حلزة اليشكري

والعَيشُ خيرٌ في ظِلاَ ... لِ النُّوكِ مِمَّنْ عاشَ كَدّا(١)

لا شك أنه يريد، والعيش الناعم الرغد خير في ظلال النوك من العيش الشاق في ظلال العقل لكن كلامه لا يدل على هذا الا بعد التأمل وامعان النظر — وقول عروة بن الورد

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسَهمُ ... ومقتلُهم عِندَ الوَغى كانَ أعذَرا

يريد اذ يقتلون نفوسهم في السلم — وقول بعضهم نثراً فإنّ المعروفَ إذا زَجا(٢) كانَ أفضلَ منهُ إذا توَفَّرَ وأبطا فتمام ما يقصد أن يقول اذا قل وزجا

وهو ضربان ايجاز حذف وايجاز قصر، لان الكلام القليل ان كان بعضا من كلام أطول منه فهو الأول وان كان كلاما يفيد معنى كلام آخر أطول منه فهو الثاني

(ايجاز الحذف) الحذف اما أن يكون حذف مفردات أو جملة أو جمل (حذف المفردات) أوسع مجالا من حذف الجمل اذ هي أخف استعمالا،

---

(١) قبله، عش بجد لا يضر ... ك النوك ما أوليت جدا، والنوك بضم النون وفتحها الحمق

(٢) زجا الخراج يزجو تيسرت جبايته فهو يريد السهولة والتيسير

وحذفها على صور

(١) حذف الفعل مع بقاء فاعله دليلا عليه كقوله تعالى وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا تقديره ولو ثبت أو مع بقاء مفعوله كقولهم أَهلَكَ واللَّيْلَ أى بادر أهلك وبادر الليل أن يحول بينك وبينهم — ومن حذف الفعل لزوما باب المصادر النائبة عن أفعالها لانهم جعلوها عوضا عن أفعالها كقولهم حمدا وشكرا

(٢) حذف الفاعل اذا دلت عليه قرينة حالية أو مقالية كقول العرب أَرسلتِ المطرَ يريدون أرسلت السماء لانهم انما يقولون ذلك عند نزوله ، وقول حاتم

أَماوِيُّ ما يُغْنِي الثَّراءُ عن الفتى   إِذا حَشْرَجَتْ يومًا وضاقَ بها الصَّدْرُ(١)

(٣) حذف المفعول وقد بسطنا الكلام عليه فيما مضى

(٤) حذف المضاف وهو كثير الدور والجرى فى الكلام كقوله عز وجل حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ والمراد سدهما

(٥) حذف المضاف اليه وهو قليل كقوله تعالى لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ أى من قبل ذلك ومن بعده

(٦) حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه وهو فاش كثير الاستعمال قال تعالى وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ أى حور قاصرات الطرف وأكثر مايكون فى باب النداء نحو يأيها الظريف تقديره يأيها الرجل الظريف وفى باب المصدر كقوله تعالى وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى

---

(١) ماوية امرأته وحشرجت غرغرت عند الموت وتردد النفس

الله متابا تقديره وعمل عملا صالحا

(٧) حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها وهو نادر ومن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم سير عليه ليل يريدون ليل طويل وقول الحماسي

كلُّ امرئٍ ستَئيمُ منـــهُ العرسُ أوْ منها يَئيمْ

تقدير المحذوف كل امرئ متزوج لأن المعنى لا يصح الا به . ومنه ان يتقدم مدح انسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلا فأنت انما تريد كان رجلا فاضلا جوادا كريما ، وإنما كثر حذف الموصوف وقل حذف الصفة ، لأن الصفة انما جاءت لايضاح الموصوف وبيانه فيكثر قيامها مقام الموصوف بخلافه هو فانه يكثر ابهامه فلا جرم كان قيامه مقامها قليلا نادرا

(٨) حذف المسند اليه } وقد تقدم الكلام عليهما
(٩) حذف المسند }

(١٠) حذف القسم كقولك لأخرجن تقديره والله لاخرجن

(١١) حذف جواب القسم وهو كثير في القرآن الكريم كقوله تعالى والفجْرِ وليالٍ عشْرٍ والشفْعِ والوتْرِ والليْلِ إذا يَسْرِ هلْ في ذَلكَ قَسمٌ لِذي حِجْرٍ تقدير الجواب لتعذبُن يا كفار مكة أو نحوه

(١٢) حذف الشرط نحو يا عِبادِ الذينَ آمنُوا إنَّ أرْضِي واسعةٌ فإيايَ فاعبُدُونِ تقديره فان لم يتسن لكم اخلاص العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها

(١٣) حذف جواب الشروط الجازمة نحو قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، تقديره ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، ومثله جواب لولا نحو وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ تقدير الجواب لما ستر عليكم هذه الفاحشة، ولما نحو فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ تقديره كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف، ولو وهو كثير يعد من محاسن الايجاز وبديع الاختصار نحو وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ تقديره لرأيت حالة منكرة أو نحو ذلك

(١٤) حذف حروف المعاني وقد توسعوا في ذلك لكثرة دورانها وفشو استعمالها وكثر ذلك فيما يلي

(ا) لا كقول قيس بن عاصم المنقري

رَأَيْتُ الخَمرَ جامِحَةً وفيها ... خِصالٌ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الحليما

فلا واللهِ أَشرَبُها حياتي ... ولا أَسْقِي بِها أَبَداً نَدِيماً

(ب) لو نحو مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، التقدير إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق.

(ج) الواو وحذفها فائدة لا توجد عند أثباتها لأن وجودها يؤذن بالتغاير بين الجملتين وحذفها يصير الجملتين كأنهما جملة واحدة، وهذا من

بديع الايجاز وحسنه ومنه حديث أنس كانَ أصحابُ رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ يَنامونَ ثُمَّ يُصلّونَ لا يَتوضّئُونَ وفى رواية ولا يتوضئون فالحذف دل على اتصال الجملتين حتى كأن الثانية احدى متعلقات الاولى فهو فى حكم ينامون ثم يصلون غير متوضئين

(تنبيه) ورد عن العرب حذف بعض الالفاظ وهو سماعى لا يقاس عليه، ويقع فى الالفاظ التى يكثر دورانها كقولهم عِمْ صباحا أى أنعم وقولهم لم يك كما قال تعالى فلَمْ يَكُ يَنفعُهُمْ إِيمانُهُمْ

(حذف الجملة أو الجمل) أكثر ما يرد هذا فى كلام رب العزة لرسوخ قدمه فى البلاغة وعلو كعبه فى الفصاحة فهناك تتجلى مراتب الاعجاز ويظهر مقدار التفاوت فى صنعة الكلام، وحذف الجملة يقع على ضروب

(١) حذف مسبب ذكر سببه نحو قول أبى الطيب

أتى الزّمانَ بَنوهُ فى شَبيبَتِهِ فَسَرَّهُمْ وأتَيْناهُ على الهَرَمِ

تقدير المحذوف فساءنا

(٢) عكسه كقوله تعالى فَتوبُوا إلى بارِئِكُمْ فاقتُلوا أنفُسَكمْ ذَلِكمْ خيْرٌ لَكمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ علَيْكُمْ أى فامتثلتم فتاب عليكم

(٣) حذف الأسئلة المقدرة ويلقب بالاستئناف وهو على نوعين

(٤) استئناف باعادة اسم ما استؤنف عنه كقولك أحسنت الى علىّ .

على حقيق بالاحسان ـ تقدير المحذوف وهو السؤال المقدر ، لماذا أحسن اليه أو نحو ذلك

«٥» استئناف بأعادة صفته كقولك اكرمت محمدا . صديقك القديم أهل للاكرام تقدير السؤال المحذوف هل هو حقيق بالاكرام ، والنوع الثانى ابلغ لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصداقة فى المثال المذكور

(حذف الجمل) قد كثر هذا النوع فى التنزيل خصوصا فى سورة يوسف فانها مشتملة على بديع الايجاز ونادره كقوله تعالى أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أي فأرسلونى الى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه اليه فأتاه وقال له يايوسف ، وكقوله فى قصة بلقيس إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، تقدير المحذوف فأخذ الكتاب فذهب به فلما ألقاه الى بلقيس وقرأته قالت ياأيها الملأ الى آخره

هذا ، والحذف على وجهين الاول ألا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم ، والثانى أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ فالجواب محذوف وليس هو الأبلاغ لتقدمه على توليهم بل تقديره فلا لوم على لانى قد أبلغتكم ـ وأدلة الحذف كثيرة متشعبة منها

(١) أن يدل العقل على الحذف والمقصود الاظهر على تعيين المحذوف

كقوله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ الآية فالعقل يدل على أن الحرمة انما تتعلق بالأفعال لا بالذوات والذى يتبادر قصده من مثل هذه الأشياء انما هو التناول الذى يعم الأكل والشرب

(٢) أن يدل عليهما العقل كقوله تعالى وجاءَ رَبُّكَ أي أمره أوعذابه، ويرى صاحب الكشاف أن هذا ليس من باب الحذف وانما هو تمثيل لظهور قدرته تعالى وتبيين لسلطانه وقهره فمثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم

«٣» أن يدل العقل على المحذوف والعادة على التعيين كقوله تعالى فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ، فهذا يحتمل أنه اللوم فى حبه لقوله قدْ شَغَفَهَا حُبًّا أو فى مراودته لقوله تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ أو فى شأنه حتى يحتمل الاثنين معا، ولكن العادة تقضى بأن الحب المفرط لا يلام عليه صاحبه لانه ليس من كسبه واختياره وانما يلام على المراودة التى يقدر أن يدفعها عن نفسه .

(٤) ان يدل العقل على المحذوف والشروع فى الفعل على تعيينه كما فى باسم الله فانك تقدر المتعلق ما جعلت التسمية مبدأ له من نحو آكل وأشرب وأسافر

«٥» أن يدل على تعيينه اقتران الكلام بالفعل كما تقول للمُعَرِّس بالرِّفاء (١) والبنين فتقدير المحذوف أعرست

---

(١) الرفاء الالتئام تقول منه رفأت الثوب أرفؤه اذا أصلحت ما فسد منه

« أيجاز القصر » هو ما تزيد فيه المعانى على الالفاظ وللقرآن الكريم فيه المنزلة التى لا تسامى والغاية التى لا تدرك فمن ذلك قوله خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عنِ الجاهِلينَ فتلك آية جمعت مكارم الاخلاق وانطوى تحتها كل دقيق وجليل اذ فى العفو الصفح عمن أساء والرفق فى جميع الامور بالمسامحة والاغضاء ، وفى الامر بالمعروف صلة الأرحام ومنع اللسان عن الكذب والغيبة وغض الطرف عن كل المحارم ، وفى الأعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وكظم الغيظ، وقوله عز اسمه والفُلْكِ الّتى تَجْرِى فى البَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ استوعبت تلك الكلمات القليلة أنواع المتاجر وصنوف المرافق التى لا يبلغها العد ، وقوله ألاَّ لَهُ الْخَلْقُ والأَمْرُ هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الاشياء على غاية الاستقصاء ولذا روى أن ابن عمر رضى الله عنه قرأها فقال من بقى له شىء فليطلبه ، وقوله تعالى ولَكُمْ فى القِصاصِ حَياةٌ، تلك جملة تضمنت سرا من اسرار التشريع الجليلة التى عليها مدار سعادة المجتمع البشرى فى دنياه وآخرته ، بيانه أن الانسان أذاهم بقتل آخر لشىء غاظه منه فذكر أنه أن قتله يقتل ارتدع عن القتل وسلم المهموم بقتله وصار كأنه استفاد حياة جديدة فيما يستقبل بالقصاص مضافة الى الحياة الاصلية وأين هذا مما أثر عن العرب من قولهم القَتْلُ أنْفى لِلْقَتْلِ فالآية تمتاز بوجوه .

«١» أنها كلمتان وما أثر عنهم أربع

«٢» لا تكرار فيها وفيما قالوه تكرار

«٣» ليس كل قتل يكون نافيا للقتل وانما يكون كذلك أبدا كان على جهة القصاص

(٤) حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحس فيها لا فيما قالوه

(٥) أن فيها الطباق للجمع بين القصاص والحياة وهما كالضدين كما ستعرف ذلك فى البديع

(٦) أن فيها التصريح بالمطلوب وهو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حق وأدعى الى الاقتصاص

(٧) أن القصاص جعل فيها كالمنبع للحياة والمعدن لها بإدخال فى عليه فكأن أحد الضدين وهو الفناء والموت صار محلا لضده الآخر وهو الحياة وفى ذلك مالا يخفى من المبالغة وقد فاضل بينهما السيوطى فى الاتقان بأكثر من عشرين وجها أهمها ماذكرناه وقد نظم أبو تمام معنى ما ورد عن العرب فى شطر بيت فقال

وَأَخَافَكُمْ كَيْ تُغْمِدُوا أَسْيَافَكُمْ إِنَّ الدَّمَ الْمُغْبَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ

كما للسنة النبوية من ذلك الحظ الاوفر يرشد الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَاخْتُصِرَ لِيَ الْكَلَامُ اخْتِصَارًا فمن ذلك قوله عليه السلام الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ وَالْحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ وَعَوِّدُوا كُلَّ جِسْمٍ مَا اعْتَادَ فهذا الحديث قد جمع من المعانى الحكيمة والاسرار

الطيبة شيء كثير. وقوله الطَمَعُ فقرٌ واليأسُ غِنًى وهو من جوامع الكلم التي اختص بها صلوات الله عليه. وقول علي كرم الله وجهه ثمرة التفريط الندامة — لِكلِّ مقبلٍ إدبارٌ وما أدبرَ كانَ كأنْ لم يكُنْ — لا يعدَمُ من الصبورِ الظفرُ وإن طالَ بهِ الزمانُ — مَن استقبلَ وجوهَ الآراء عرَفَ وجوهَ الخطأ — مَنْ أحدَّ سِنانَ الغضبِ للهِ قَوِيَ على قتلِ أشدّ الباطلِ وقول بعض الاعراب اللهمَّ هَبْ لي حقَّكَ وأرضِ عني خلقَكَ فلما سمعه عليه السلام قال هذا هو البلاغة — وقول السموءل ابن عادياء الغساني

وإنْ هُوَ لمْ يَحمِلْ على النَّفسِ ضَيْمَها فلَيسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ

فقد اشتمل على مكارم الاخلاق من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكلف واحتمال المكاره اذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء

《 المبحث الثالث في المساواة أو ايجاز التقدير 》

هذا فن من القول عزيز المنال تشرئب اليه أعناق الكثيرين من البلغاء لكن لا يرقى الى ذراه الا الافذاذ من الفصحاء الواحد تلو الآخر لصعوبة المرتقى وجلالة المقصد ويعرف بأنه ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر حتى لو قدر نقص من لفظه لتطرق الخرم الى

معناه على قدر ذلك النقصان، وهو المذهب المتوسط بين الايجاز والاطناب وإليه يشير القائل كأنّ ألفاظَهُ قوالبُ معانيه، ومنه قوله تعالى من كفرَ فعَلَيهِ كُفرُهُ ـ كلُّ امرئٍ بما كسبَ رَهينٌ ـ ومتِّعوهُنّ على الموسِعِ قدَرُهُ وعَلَى المُقتِرِ قدَرُهُ ، وقوله صلى الله عليه وسلم الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ وبينَ ذَلِكَ مشتبهاتٌ ـ إنّما الأعمالُ بالنِّيّاتِ وإنّما لِكُلّ امرئٍ ما نوَى ، الضّيفُ أميرُ الرّكْبِ ـ وقول على كرم الله وجهه عليكُم بطاعةِ مَنْ لا تُعذَرُونَ بجهالتِهِ قد بُصِّرتُمْ إنْ أبصَرتمْ وهُدِيتُمْ إنِ اهتدَيتُمْ ـ وقول كعب الاشعرى وقد أرسله المهلب بن أبي صُفرة الى الحجاج بن يوسف يخبره أخبار ما هو عليه فى ولايته ، فقال له الحجاج كيف تركت المهلب . فقال له أدرك ما أمّل وأمن مما خاف ، فقال كيف هو بجنده فقال والد رءوف ، فقال كيف جنده له فقال أولاد بررة ، قال كيف رضاهم عنه فقال وسعهم بفضله وأغناهم بعدله . قال كيف تصنعون اذا لقيتم العدو قال نلقاهم بجدنا ويلقونا بجدهم قال كذلك الجد اذا لقى الجد قال فأخبرنى عن بنى المهلب قال هم أحلاسُ القتال بالليل حُماة السّرْح بالنهار فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم أفضل قال هم كحلقة مبهمة مضروبة لا يعرف طرفاها (١) . قال الحجاج لجلسائه هذا والله الكلام الفصل الذى

---

(١) الحماة جمع حام والسرح المال السائم وأليلوا دخلوا فى الليل والبيات اسم من بيت العدو أوقع به ليلا

ليس بمصنوع ولا متكلف ، وقول أبى نواس فى صفة الخمر فى أوعيتها

تُدارُ علينا الرَّاحُ فى عسجديةٍ ... حبتها بأنواع التصاوير فارسُ
قرارتها كسرى وفى جنباتها ... مهاً تدّريها بالقسىّ الفوارسُ
فللرَّاح ما زُرَّت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانسُ(١)

وفيها يقول الجاحظ لا أعرف شعرا يفضلها وحسبك به من ماهر فى البلاغة خبير بفنون الفصاحة

﴿ المبحث الرابع فى الأطناب ﴾

الأطناب لغة مصدر أطنب فى كلامه إذا بالغ فيه وطول ذيوله واصطلاحا زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد، فقولنا زيادة اللفظ على المعنى يشمل الأطناب والألفاظ المترادفة كليث وأسد . وقولنا لفائدة يخرج التطويل والحشو وذلك أن الزائد فى الكلام إن كان غير متعين كان تطويلا وإن كان متعينا كان حشوا وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة ، فالأول كقوله

ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ ... وهندٌ أتى من دونها النأْىُ والبعدُ

---

(١) يريد أنهم شربوا الراح فى كؤوس من الذهب منقوشة بنقوش فارسية ابتقرت فى قرارتها صورة كسرى ودارت فى باطنها صور فرسانه متنكبى قسيهم كأنما هم يطاردون بقر الوحش أمامهم وقد ملئوا تلك الكؤوس الى ما يوازى أعناق أولئك الفرسان ثم مزجوها بالماء حتى غطت رؤوسهم ، فالمسجد الذهب وحباه أعطاه والمها بقر الوحش وادرى تحين غفلته وزرت جمعت

فالنأى والبعد واحد ولا يتميز أحدهما للزيادة

والثانى ضربان « ١ » ما يفسد به المعنى كقول أبى الطيب فى رثاء غلام لسيف الدولة

ولا فضلَ فيها للشجاعةِ والندى   وصبرِ الفتى لولا لقاءُ شَعُوبِ

يريد أنه لا خير فى الدنيا للشجاعة والصبر لولا الموت ، وهذا حسن جميل لأنهما أعُدّا من الفضائل لما فيهما من الأقدام على الموت واحتمال المكارم ولو علم الانسان أنه خالد فى الدنيا هان عليه اقتحام المخاطر — كما أنه لو أيقن بزوال المكروه صبر لوثوقه بالخلاص ، أما الندى فعلى العكس من ذلك لأن الموت يجعل البذل سهلا أذ من علم أنه ميت فهو جدير أن يجود بماله كما قال طرفة

فإنْ كنتَ لا تستطيعُ دَفْعَ منيّتى   فدَعْنى أُبادِرْها بما ملَكَتْ يدِى

فهو حشو أفسد المعنى «ب» ما لا يفسد به كقول أبى العيال

ذَكرتُ أخِى فعاودَنِى   صُدَاعُ الرأسِ والوَصَبُ(١)

فذكر الرأس مع الصداع حشو لانه لا يكون فى غيره من الاعضاء وقول أوس بن حجر

وهُمْ لمقلّ المالِ أوْلادُ عَلّةٍ   وإنْ كانَ محضاً فى العُمومةِ مُخْوَلا(٢)

---

(١) الوصب نحول الجسم من تعب أو مرض (٢) أولاد العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد والمحض الخالص والمخول كريم الاخوال

فذكر المال مع القلة حشو لأن القلة لا تكون الا فيه ،

وقولنا جديدة يخرج الالفاظ المترادفة فانها زيادة فى اللفظ على المعنى لفائدة لغوية ، وقولنا من غير ترديد يحترز به عن التأكيدات اللفظية نحو أسرع أسرع لأن الفائدة الجديدة حصلت بترديد اللفظ وتكريره

تنبيهان الأول قال بدر الدين فى المصباح يحسن الحشو اذا تضمن نكتة بديعية كقول المتنبي

وخُفُوقِ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ ... ياجنّتي لرأيتِ فيهِ جهنّما

فيا جنتي حسن بديع لمطابقته جهنم

الثانى يكثر الحشو بلفظ أصبح وأمسى وغدا وألا وقد واليوم ولعمرى كما قال أبو تمام

أقرّوا لعمري بحُكمِ السُّيوفِ ... وكانَتْ أحقَّ بفصلِ القَضا

وياصاحبي كما قال البحترى

ما أحسنَ الأيّامَ إلاّ أنّها ... ياصاحبيَّ إذا مضَتْ لم ترْجعِ

والداعى اليه أما أصلاح وزن الشعر أو تناسب القوافى وحروف الروى أو قصد السجع فى النثر ، ويكون الاطناب بأمور شتى منها

«١» الايضاح بعد الابهام وهو يفيد المعنى نُبْلا ويكسبه فخامة وشرفا وذلك أن الكلام اذا قرع السمع على جهة الابهام ذهب السامع فيه كل مذهب ، فاذا وضح تمكن فى النفس فضل تمكن وكان شعورها به أتم .

ومنه قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الأمر ثم فسره بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين تفخيما لشأنه ولو قيل وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع لم يكن له ما كان مع الابهام من الفخامة ، يرشدك الى ذلك أنك اذا قلت هل أدلكم على أكرم الناس أبا وأفضلهم حسبا وأمضاهم عزيمة وأنفذهم رأيا . ثم قلت فلان كان أدخل فى مدحه وأنبل وأفخم وأكمل مما لو قلت فلان الأكرم الأفضل

(٢) التوشيع وهو أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر بمعطوف ومعطوف عليه كقوله عليه السلام خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق ، وقول ابن الرومى يمدح عبدالله بن سليمان بن وهب

إذا أبو قاسم جادت لنا يده ... لم يحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرته ... تضاءل النيران الشمس والقمر

(٣) الايغال لغة المبالغة واصطلاحا ختم البيت أو الفقرة بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة والتأكيد فى قول الخنساء

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

فقولها فى رأسه نار من الايغال الحسن اذ لم تكتف بكونه جبلا عاليا مشهورا بل زادت وجعلت رأسه نارا لما فى ذلك من زيادة الظهور والانكشاف ، وكتحقيق التشبيه فى قول امرىء القيس

كأنَّ عيُونَ الوَحْشِ حولَ خِبائِنا وأرْحُلِنا الجَزْعُ الذي لمْ يُثقّبِ (١)

فقد أكد التشبيه وأظهر رونقه بقوله لم يثقب لان الجزع اذا كان غير مثقوب كان بالعيون أشبه ، ومنه فى النثر قوله تعالى اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهُمْ مُهتَدُونَ فان الرسل مهتدون لاشالة فالمعنى يتم بدون (وهم مهتدون) الا أن فيه زيادة حث وترغيب على اتباع الرسل

(٤) التكميل ويسمى الاحتراس أيضا وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المراد بما يدفعه ، وهو ضربان

(ا) ضرب يتوسط الكلام كقول ابن المعتز يصف فرساً

صَبَبْنا عَليْها ظالِمينَ سِياطَنَا فَطارَتْ بِها أيدٍ سِراعٌ وأرْجلُ

فقوله ظالمين تكميل دفع به توهم أنها بليدة تستحق الضرب ،

(ب) ضرب آخر يقع فى آخر الكلام كقوله تعالى فَسَوْفَ يأتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أذِلَّةٍ على المؤمِنِينَ أعِزَّةٍ على الكافِرِينَ فانه ربما لو اقتصر على الوصف بالذلة فى جانب المؤمنين لتوهم أنها ناشئة عن ضعفهم فدفع هذا بقوله أعزة على الكافرين وبه علم أن هذا تواضع منهم ، وقول السموءل بن عادياء

وَمَا ماتَ مِنّا سَيِّدٌ فى فِرَاشِهِ ولا طُلَّ مِنّا حيثُ كانَ قَتيلُ

---

(١) الجزع بالفتح خرز يمان فيه بياض وسواد تشبه به عيون الوحش

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل اياهم ربما لحق بالوهم أنهم يصبرون على الحرب والقتل دون أن ينالوا من عدوهم نصرا — لا جرم أكمله بالشطر الثانى ليزيل هذا الوهم

(٥) التتميم وهو تقييد الكلام بفضلة لقصد المبالغة كقول زهير يمدح هرم بن سنان

مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلاَّتِهِ هَرِما يَلْقَ السماحةَ مِنْهُ وَالنَّدى خُلُقاً

فقوله على علاته أى على كل حال أو على ما فيه من الأحوال والشؤون تتميم وقع فى غاية الحسن والرشاقة

(٦) الاعتراض وهو كل كلام أدخل فى أجنبى عنه بحيث لو أسقط لم تختل فائدة الكلام ، وأما المعترض فيه فهو كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو حذف بقى الكلام على حاله فى الافادة وهو ضربان

(١) مفيد جار مجرى التأكيد وهو من دقائق البلاغة وساحر البيان وفائدته أما

«ا» التنزيه والتعظيم كقوله تعالى ويجعلونَ لِلهِ البَناتِ سُبْحانَهُ ولهُمْ ما يشتهونَ فسبحانه مسوق للتنزيه عن اتخاذ البنات

«ب» وأما التقرير فى نفس السامع نحو وإِذْ قتلْتُمْ نفْساً فادّارأتُم(١)

(١) اختلفتم واختصمتم واتهم كل منكم صاحبه فى قتلها

فيها واللهُ مخرجٌ ما كُنتُم تكتمون فقلنا اضربوهُ فقوله والله مخرج جملة وردت معترضة لتقرير أن تدافع بنى إسرائيل فى قتل النفس ليس نافعا فى إخفائه وكتمانه لأن من لا تخفى عليه خافية مظهره لا محالة

«ج» وأما التصريح بما هو المقصود كقول كُثَيّر

لوَ انّ الباخلينَ وأنتَ منهُم رأوكَ تعلّموا منكَ المطالا

فقوله وأنت منهم تصريح بما هو المقصود من ذمه وتأكيد لانصراف الذم إليه

(٢) غير مفيد وهو نوعان (١) نوع منه لا يكسب الكلام حسناً ولا قبحا كقول زهير

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعِشْ ثمانينَ حولاً (لا أبا لكَ) يسأمِ

ونوع منه يورث الكلام قبحا لخروجه عن قوانين العربية وانحرافه عن أقيستها كقوله

فقد (والشكُّ) بيّنَ لى «عناءٌ» بوشكِ فراقِهم صُرَدٌ يصيحُ(١)

وهو فى النثر أقبح منه فى النظم وكتاب الله منزه عن مثله

---

(١) الوشك السرعة والصرد طائر أبقع ضخم الرأس والمنقار لا تراه الا فى شعبة أو شجرة لا يقدر عليه أحد — فصل بين المبتدأ الذى هو الشك وبين الخبر الذى هو عناء بقوله بين لى وفصل بين الفعل وهو بين وفاعله الذى هو صرد بخبر المبتدأ الذى هو عناء فجاء معنى البيت قبيحا مشوها

(٧) ذكر الخاص بعد العام تنبيها على فضله حتى كأنه ليس من جنسه وتنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كقوله تعالى مَنْ كانَ عدُوًّا لله وملائكته ورُسُله وجبريلَ وميكالَ فذكر جبريل وميكال وهما داخلان فى قوله وملائكته للتنبيه على زيادة فضلهما

(٨) التكرير وقد جاء فى القرآن الكريم وكلام العرب منه شيء كثير، وفائدته أما التأكيد كقوله تعالى كَلاَّ سَوْفَ تعلمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تعلمُونَ وقوله

كمْ نِعْمةٍ كانتْ لكُمْ كمْ كمْ وكمْ

وأما زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول نحو وقالَ الذي آمنَ ياقَوْمِ اتبعُونِ أهدِكُمْ سبيلَ الرَّشادِ ياقَوْمِ إنَّما هَذِهِ الحياةُ الدُّنيا مَتاعٌ

وقد كرر الله عز وجل فى سورة الرحمن قوله فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكذِّبانِ لأنه عدد فيه نعماءه وذكر عباده آلاءه ونبههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه اليهم منها وقد جاء مثل ذلك كثيراً فى كلام العرب ألا ترى الى مهلهل وقد كرر قوله (على أنْ ليسَ عدلاً مِنْ كُليبٍ) فى أكثر من عشرين بيتا من قصيدته والى الحرث بن عباد وقد كرر قوله (قرِّبا مربط النعامةِ منِّى) أكثر من

سابقه — وذلك لأنهما رأيا الحاجة ألى التكرير ماسة والضرورة أليه داعية لسظم الخطب وشدة موقع النكبة

«٩» التذييل وهو الأتيان بجملة مستقلة عقب الكلام لأفادة التوكيد وهو ضربان

«ا» الأول أن يكون مسوقاً لتأكيد منطوق الكلام كقوله تعالى ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورُ فصدر الآية صريح فى أن هذا الجزاء انما كان من أجل كفرهم فقوله وهل يجازى ألا الكفور تأكيد وتحقيق لما استفيد من سابقه ، وقول ابن نباتة السعدى

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِى شَيْئاً أُؤَمِّلُهُ تَرَكْتَنِى أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

(ب) الثانى أن يكون مسوقاً لتأكيد مفهوم الكلام كقول النابغة

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لا تَلُمُّهُ عَلى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

فصدر البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال وحقق ذلك بعجزه، وكقول الحطيئة

تَزُورُ فَتًى يُعْطِى عَلى الْحَمْدِ مالَهُ وَمَنْ يُعْطِ أَثْمانَ المَكارِمِ يُحْمَدِ

وهو ايضاً أما الايخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بأفادة ماأريد منه وتوقفه على ما قبله كما مر فى الآية — وأما أن يخرج ذلك المخرج كالآية قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً وكبيت النابغة المتقدم

(١٠) النفي والاثبات وذلك بأن يذكر الشيء على جهة النفي ثم يثبت أو بالعكس نحو وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يَعلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ نفى عنهم أولا العلم بما خفي عليهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم آخرا العلم بظاهر الحياة الدنيا دون ما كان مؤديا الى الجنة

(١١) ما كان كقولهم رأيته بعيني ، وقبضته بيدي ، ووطئته بقدمي وذقته بلساني يذكرون الظروف فيما يصحب حصوله دلالة على أن نيله ليس بمتعذر وعلى هذا جاء قول البحتري

تأَمَّلْ مِنْ خِلاَلِ السَّجْفِ وَانظُرْ ... بِعَيْنِكَ ما شَرِبْتُ ومَنْ سَقَانِي
تجِدْ شَمْسَ الضُّحى تدْنُو بِشَمْسٍ ... إليَّ مِنَ الرَّحيقِ الخُسْرُوَانِي

فحضور مجلس مثل هذا يعز وجوده لاسيما اذا كان الساقي فيه على ما وصف من الحسن ومن ثم قال انظر بعينك

(تنبيه) قد يوصف الكلام بالايجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة الى كلام آخر مساو له في أصل المعنى كقول الشمّاخ

إذَا ما رَايَةٌ رُفِعتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ

مع قول بشار بن أبي حازم

إذَا ما المَكْرُماتُ رُفِعْنَ يوْمًا ... وَقَصَّرَ مُبْتَغُوها عَنْ مَدَاها

وضاقتْ أذرُعُ المُثرِينَ عنها ... سما أوْسٌ اليها فاحتَواها

﴿المبحث الخامس، أيهما أفضل الايجاز أم الاطناب ـ مواضع كل منهما﴾

اختلفت آراء أئمة البلاغة فيهما فمن مفضل للايجاز كما قال محمد الأمين عليكم بالايجاز فان له أفهاما وللاطالة استبهاما، وقال شبيب ابن شبة القليل الكافي خير من كثير غير شاف، وقال آخر اذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ولا خير في شيء يأتي به التكلف، ومن مرجح للاطناب وحجته أن المنطق انما هو البيان، والبيان لا يكون الا بالاشباع، والشفاء لا يقع الا بالاقناع، وأفضل الكلام أبينه وأبينه أشده احاطة بالمعاني ولا يحاط بالمعاني احاطة تامة الا بالاستقصاء — أضف الى ذلك أن الايجاز للخواص والاطناب مشترك بين الخاصة والعامة والغبي والفطن، والمختار أن الحاجة الى كل ماسة ولكل موضعا لا يسد عنه فيه سواه فمن استعمل أحدهما في موضع الآخر فقد أخطأ كما قال جعفر بن يحيي متى كان الايجاز أبلغ كان الاكثار عيا ومتى كانت الكناية في موضع الاكثار كان الايجاز تقصيرا يرشدك الى ذلك قول القائل

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطِّوالِ وتارةً ... وحْيَ الملاحِظِ خشيةَ الرُّقَباءِ

وقد استحبوا الايجاز في المواضع الآتية

(١) الكتب الصادرة من الملوك في أوقات الحرب الى الولاة

(٢) الأوامر والنواهى السلطانية فحقها أن تكون موجزة جامعة للمعانى

(٣) كتب السلطان باستخراج الخراج وجباية الأموال وتدبير الأعمال

«٤» كتب السلطان وعدا أو وعيدا أو توبيخا

(٥) الشكر على النعم التى تسبغ والعوارف التى تسدى ، فسبيلها أن تبنى على الأيجاز الجامع لمعانى الشكر والمشتمل على الاعتراف بالنعمة

(٦) الاستعطاف وشكوى الحال وسؤال حسن النظر فأن ذلك أعطف للقلوب وأدعى ألى بلوغ الغرض

(٧) التنصل والاعتذار ، فأمره مبنى على الاختصار وأيراد الحجج التى تقنع المخاطب وتزيل موجدته ، كما استحسنوا البسط والأطناب فى المواضع الآتية

(١) ما يكتب به عن الملوك فى الامور الجسام التى يراد تقريرها فى نفوس العامة كالأخبار بالفتوحات المتجددة ، فيشبع فيها القول حتى تعرف الرعية قدر النعمة الحادثة فتزيد فى الطاعة ، ولا بأس بتهويل أمر العدو ووصف جمعه وأقدامه ، لأن فى تصغير أمره تحقيرا للظفر به

«٢» ما يكتب به عنهم ألى أهل الثغور [1] فى أوقات حركات العدو

---

(١) تطلق على المواضع التى يخاف منها هجوم العدو والمواضع التى تكون حدودا فاصلة بين المتعادين

وتحرشه بالملكة ليعلمهم بالحركة للقاء عدوهم

«٣» ما يكتب به الولاة ومن فى معناهم ألى الملوك لأخبارهم بأحوال ما ينظرون فيه من الأعمال وما يجرى على يديهم من المهمات ، فعليهم أن يوفوه حقه فى الشرح والبيان ، ويقصدوا ألى الألفاظ السهلة التى تفهم من غير كلفة

(٤) الموعظة والأرشاد بالترغيب فى الطاعة والنهى عن المعصية حتى يرتاح قلب المطيع وينبسط أمله ويرتاع قلب المسيء ويأخذ الخوف منه كل مأخذ

(٥) الخطب فى الصلح بين العشائر لأصلاح ذات البين

وسبيل المدح والثناء والذم والهجاء هذه السبيل ، وبالله التوفيق

تطبيق

بين الأيجاز والأطناب والمساواة وأسبابها فيما يأتى

قال تعالى ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلَّا بِأَهْلِهِ ـ ولا تَجْعَلوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ ـ أَخْرَجَ مِنْها ماءَها ومَرْعاها ـ وفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ ـ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلَّا فى كِتابٍ مُبِينٍ ـ وَأُشْرِبُوا فى قُلُوبِهِمُ العِجْلَ ـ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ ـ ولَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إلَّا إيَّاهُ وَبِالوالِدَيْنِ إحْسانًا ـ ق والقرآن

المَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا ـ واخْتارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً ـ وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ـ وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وما خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ـ أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَيَاتاً وهُمْ نائِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وهُمْ يَلْعَبُونَ، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ القَوْمُ الخاسِرُونَ ـ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً حَدَائِقَ وأَعْناباً وكَوَاعِبَ أَتْرَاباً وكَأْساً دِهَاقاً لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً ولا كِذَّاباً ـ وقال عليه السلام لا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ ما لَمْ تَرَ الأَمانَةَ مَغْنَماً والزَّكاةَ مَغْرَماً ـ وقال أعرابي إِنْ شَكَكْتَ فِيَّ فاسْأَلْ قَلْبَكَ عَنْ قَلْبِي، وقال النابغة

فإِنَّكَ كاللَّيْلِ الذي هو مُدْرِكِي   وإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عَنْكَ واسِعُ

فَسَقَى دِيارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِها   صَوْبُ الرَّبِيعِ ودِيمَةٌ تَهْمِي

حَلِيمٌ إِذَا ما الحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ   مَعَ الحِلْمِ في عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ

وما أُبالِي وخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ

حَقَنْتَ لي ماءَ وَجْهِي أَمْ حَقَنْتَ دَمِي

تمنى الأماني صرى ذون مبتغيه
فما يقول لشيء ليت ذلك لي

تراه كأن الله يجدع أنفه   وعينيه إن مولاه ثاب له وفر

فإن المنية من يخشها   فسوف تصادفه أينما

لله لذة عيشي بالحبيب مضت   ولم تدم لي وغير الله لم يدم

إلى معدن العز المؤثل والندى   هناك هناك الفضل والخلق الجزل

﴿ الباب الثاني عشر في الخروج عن مقتضى الظاهر ﴾

ما مضى لك في الابواب السالفة هي الطرق التي يلاحظ البليغ فيها مقتضى ظاهر الحال ويراعى من مناهج الخطاب ما يناسبها .

وقد يعدل عنها المتكلم لنكتة وعلى المخاطب حينئذ أن يبحث عن مراده مستعينا بالسياق والقرائن حتى ينكشف له وجه العدول ويسمى ذلك « الخروج عن مقتضى الظاهر » وقد سبق ذكر شيء منه في المباحث الماضية وقد نبهناك عليه في حينه . وبقي منه أمور أهمها

(١) تجاهل العارف أو مزج الشك باليقين وهو أخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزداد تأكيدا والداعي اليه

(١) أما المدح كقول ذي الرمة

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا آأنت أم أم سالم (١)

وقول أبي هلال العسكري

أثغر ما أرى أم أقحوان ... وقد ما بدا أم خيزران

(٢) وأما الذم كقول زهير

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

(٣) وأما التعجب كقوله تعالى أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون

(٤) وأما التوبيخ كقول ليلى بنت طريف الخارجية في أخيها الوليد

أيا شجر الخابور مالك مورقا

كأنك لم تجزع على ابن طريف (٢)

(ب) الالتفات وهو فن من البلاغة ملاكه الذوق السليم والوجدان الصادق، ويلقب بشجاعة العربية لأن فيه ورود الموارد الصعبة واقتحام مضايق الأساليب، وحقيقته العدول عن أسلوب من الكلام الى أسلوب آخر مخالف للأول، والداعي اليه ايقاظ السامع من الغفلة تنشيطا له في الاستماع واستمالة له الى الاصغاء حتى لا يمل من الكلام فقد قيل لكل

---

(١) الوعساء وجلاجل والنقا مواضع والوعساء أيضا رابية من رمل لين تنبت حرار البقول (٢) الخابور نهر ينبع بديار بكر يصب في الفرات

جديد لذة ، وهو ثلاثة أضرب

(١) العدول عن التكلم أو الخطاب أو الغيبة الى حالة أخرى ، فمن الغيبة الى الخطاب قوله تعالى الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالِمينَ ثم قال بعدها إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَستَعينُ ، ومن الغيبة الى التكلم قوله عزوجل سُبْحانَ الذِي أسرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً ثم قال لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا ، ومن الخطاب الى الغيبة قوله حتى إذا كُنتُمْ في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِمْ ، ومن الخطاب الى التكلم قوله تبارك اسمه واستَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ توبُوا إلَيْهِ إنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ومن التكلم الى الغيبة يا عِبادِيَ الذِينَ أسْرَفوا على أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، ومن التكلم الى الخطاب نحو ومالِيَ لا أعْبُدُ الذي فَطَرَني وإلَيْهِ تُرْجَعونَ وهذا الضرب كثير الورود في القرآن الكريم

(٢) الانتقال من الماضي الى المضارع أو بالعكس فالأول كقوله تعالى واللهُ الذي أرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فسُقْناهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ جاء تثير بدل أثارت لتستحضر تلك الصورة الماضية حتى كأن الانسان يشاهد أثارة الريح للسحاب فيستدل من ذلك على عجيب قدرته وباهر حكمته ، والثاني كقوله ويَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ في السَّمواتِ ومَنْ في الأرْضِ عطف ففزع على ينفخ تأكيداً للثبوت ومبالغة في الحصول ودلالة على أن ذلك كائن لا محالة ، وقد يعدل عن الماضي الى اسم المفعول نحو إنَّ في ذَلِكَ

لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ اذ التقدير ذلك يوم يجمع فيه الناس

«٣» الرجوع عن الفعل المضارع ألى فعل الأمر نحو إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ أو عن الماضي ألى الأمر نحو قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، فعلى المتأمل أعمال نظره ليدرك بحسن ذوقه دقائق البلاغة

«ج» الأضمار في مقام الأظهار وذلك في موضعين

«١» باب ضمير الشأن والقصة ويكون مرفوعا كقوله تعالى قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ومنصوبا كقوله عزوجل فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ — وسر هذا الباب المبالغة وتعظيم تلك القصة وتفخيمها ، من قبل أن الشيء اذا كان مبهما كانت النفوس متشوقة الى فهمه متطلعة الى علمه ، فاذا وضح وفسر حل المحل الأرفع لديها ، ومن ثمة لا يكون ألا في المواضع التي يقصد فيها التهويل

«٢» باب نعم وبئس نحو نعم رجلا محمد وبئس غلاما سعيد ، وانتصاب ما بعدها من النكرات يجيء على جهة التفسير ، والداعي اليه المبالغة في المدح أو الذم من حيث أنه عند الابهام يكون للأفئدة تطلع الى أيضاح المبهم وشغف ببيانه

«د» الأظهار في موضع الأضمار وذلك لأغراض منها

«١» زيادة التمكين والعناية بحال أمر المظهر نحو قل هوَ اللهُ أحدٌ اللهُ الصمدُ. الحاقةُ ما الحاقةُ. وقول الحماسي

شددْنا شدَّةَ الليثِ غدًا والليثُ غضبانُ

«٢» الاستعطاف والخضوع الموجبان للشفقة كقوله

إلهي عبدُكَ العاصي أتاكا مقرًّا بالذنوبِ وقد دعاكا

«٣» أدخال الروع والمهابة في نفس السامع كما يقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا بدل أنا آمرك، وعليه قوله تعالى فإذا عزمتَ فتوكَّلْ على اللهِ لاندراج كل كمال تحت لفظ الجلالة فأجدر به أن يكون موضع التكلان

«٤» التهكم والتعجب كقوله ص والقرآنِ ذي الذِّكرِ بلِ الذينَ كفروا ثم قال وقالَ الكافرونَ هذا ساحرٌ كذَّابٌ فالغرض شد النكير عليهم والتعريض بأنهم حقا أهل التمرد والعناد

«ه» الأسلوب الحكيم وسماه الأمام عبد القاهر مغالطة وهو نوعان

«١» تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على غير ما يريد تنبيها على أنه الأولى بالقصد كقول ابن حجاج البغدادي

قلتُ ثقَّلتُ إذ أتيتُ مرارًا قالَ ثقَّلتَ كاهلي بالأيادي

قلتُ طوَّلتُ قالَ لا بلْ تطوَّلتَ وأبرمتُ قالَ حبلَ ودادي

فلفظ ثقلت وقع في كلام الغير بمعنى حملتك المؤنة فحمله على تثقيل

عاتقه بالنثر والأيادي ، وكذا قوله أبرمت وقع في كلام الغير بمعنى أملت
تأوله على أبرام حبل الوداد وأحكامه ، ولا شاهد في طولت الأولى التي
هي من طول الاقامة وتطولت من التطول وهو التفضل لأن التطويل
غير التطول

«٢» تلقى السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على
أنه الأهم كقوله تعالى يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس
والحج ذلك أنهم قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد
حتى يمتلئ ويستوى ثم ينقص حتى يعود كما بدا — فأجيبوا ببيان الغرض
من هذا الاختلاف وهو أن الاهلة معالم يوقت الناس بها أمور دنياهم من
مزارع ومتاجر ، ومعالم للعبادة من حج وصيام وغير ذلك ، تنبيها على أن
هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال

«و» القلب وهو جعل أحد جزأي الكلام مكان الآخر والآخر
مكانه وهو قسمان

«١» ما يكون موجبه تصحيح حكم لفظي فقط والمعنى صحيح
بدونه كقول القطامي

قفي قبل التفرق يا ضباعا   ولا يك موقف منك الوداعا(١)

(١) ضباعة بنت صغيرة للممدوح يريد قفي لأودعك قبل التفرق فلا جعل الله لنا
موقف الوداع موقفا

لما نكر موقفا وهو فى موضع المبتدأ وعرف الوداع وهو فى موضع الخبر جعل من باب القلب

(٢) ما يكون موجبه تصحيح المعنى كقولهم عرضت الناقة على الحوض ، وأدخلت القلنسوة فى الرأس ، أذ الأصل أن يجاء بالمعروض ألى المعروض أليه وأن ينقل المظروف ألى الظرف لا بالعكس كما هنا ، والصحيح جوازه أذا اشتمل على مغزى شريف ومعنى حسن كقول رؤبة

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ (١)

يريد كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه لقصد المبالغة ، وقول أبى تمام يصف قلم الممدوح

لُعَابُ الأَفَاعِي القَاتِلَاتِ لُعَابُهُ

وَأَرْيُ الجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ (٢)

(ز) التعبير بالخبر فى موضع الانشاء وعكسه ، والأول أما للتفاؤل كما تقول وفقك الله أو لأظهار الرغبة فى وجوده كما تقول لشخص غائب رزقنى الله لقاءك ، أو للاحتراز عن الأمر ولو بحسب الصورة تأدبا كما يقول المولى لسيده ينظر سيدى ألى هنيهة والثانى لنكتة كالرضا بالحاصل فى قوله عليه السلام من كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

---

(١) المهمه المفازة والمغبرة المملوءة بالغبار والأرجاء النواحى

(٢) الأرى العسل واشتارته جنته والعواسل طالبات العسل

فى مقام يتبوأ

(ح) التغليب وهو أعطاء أحد المصطحبين أو المتشاكلين حكم الآخر وهو باب ذو شعب كثيرة ، فمن ذلك تغليب المذكر على المؤنث نحو وكانتْ مِنَ القَانِتِين أدرجت مريم فى القانتين من الرجال تغليبا لهم على القانتات وقد جروا على خلاف الغالب فى ألفاظ معدودات فغلبوا المؤنث على المذكر ، وتغليب الكثير على القليل نحو فسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ إلاّ إبْلِيسَ غلب الملائكة على أبليس وهو ليس منهم وسمى الجميع ملائكة ، وتغليب المعنى على اللفظ نحو بلْ أنْتمْ قوْمٌ تجْهَلُونَ بدل يجهلون الذى ضميره للقوم ولفظه غائب مراعاة للخطاب بأنتم ، وتغليب المخاطب على الغائب نحو أنت وعلى صنعتما كذا ، وتغليب أحد المتناسبين على الآخر كالأبوين والحسنين والعمرين والقمرين للأب والأم والحسن والحسين وأبى بكر وعمر والشمس والقمر وعليه قول المتنبى

واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّماءِ بوَجْهِها فأرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ فى وقْتٍ معاً

وتغليب العقلاء على غيرهم نحو الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالِمينَ

﴿ الفن الثانى علم البيان ﴾

البيان لغة الكشف والايضاح ، واصطلاحا علم يعرف به أبراز المعنى الواحد بطرق مختلفة وصور متفاوتة فى وضوح الدلالة

قضيةهذا أن الضليع بهذا الفن المطلع على كلام العرب منثوره ومنظومه

أذا حاول التعبير عما يختلج فى صدره من المعانى وجد السبيل ممهدا فيختار ما هو أليق بمقصده وأحن ألى مطلبه من فنون القول وطرق الكلام

فأذا حث همة الشجعان لاقتحام غمار الوغى بهرهم بساحر بيانه وعظيم أحسانه . فأن شاء شبههم بأسود خفان فقال كأنكم أسود لها فى غِيل خَفَّانَ (١) أَشْبُلُ ، وان أحب استعار وقال أنى أرى هنا أسودا تتحفز للكر والفر وتثب لاقتناص فرائسها ولها قرَم (٢) ألى الأخذ بنواصيها وحز أرؤسها . وان أراد كنى عن مقصده وورى عن مراده فقال البسوا لعدوكم جلد النمر (٣) واقلبوا له ظهر المجن فأنه قد ورم أنفه عليكم وداسكم تحت أقدامه — هنالك تناديه القلوب وتتسابق اليه الفرسان لبيك لبيك ها نحن نحمى الذمار ونجير الجار ونجندل الأقران ونصرعهم فى الميدان ونبيع النفوس رخيصة ونشترى بها المجد والسؤدد

تَبْنِي كَما كانتْ أوائِلُنا   تَبْنِي وتَفعلُ مِثلَ ما فَعَلوا

وأن دعا النفوس لمكرمة وهز العطف لمحمدة أمكنه أن يقول كأنكم البحور يعم فيضها القاصى والدانى ويَطمّ أنعامها على الفقير والغنى ، أو يقول هذى البحور على سواحلها القصاد تتقاذف أمواجها بما يغنى الفقير ويفرج كربة المستجير ، أو يقول أنى أرى فصلانا مهزولة ورمادا كثيرا وكلابا لا تنبح طارقا ومجدا مدّ سرادقه وندى ضربت خيامه — اذ ذاك تسخو كف البخيل ويهتز عطف الكريم وتصبو النفوس لاكتساب المحامد

---

(١) مأسدة مشهورة بضراوة أسدها (٢) شهوة الطعام (٣) كناية عن اظهار العداوة ومثله ما بعده

وشراء الحمد بالثمن الربيح

ومن هاهنا ترى كيف ينال المتكلم حاجته من نفس مخاطبيه أذا جوّد قوله وسحرهم ببديع بيانه

هذا، ولا يغيب عن بالك أن الألفاظ المترادفة تتفاوت دلالتها من جهة اللفظ والعبارة لا من ناحية الوضوح والخفاء فلا تدخل في مباحث هذا الفن

الدلالة

الدلالة فهم أمر من أمر والأول الدال والثانى المدلول ، وهى أما لفظية أو غير لفظية والثانية لا علاقة لها بمباحث هذا الفن والأولى ثلاثة أقسام

(١) دلالة اللفظ على تمام مسماه وتسمى دلالة المطابقة كدلالة الأنسان والأسد على حقيقتيهما

(٢) دلالة اللفظ على بعض مسماه وتسمى دلالة التضمن كدلالة البيت على السقف أو الحائط

(٣) دلالة اللفظ على لازم معناه الذهنى لا الخارجى كدلالة الأنسان على كونه متحركا أو شاغلا لجهة أو نحو ذلك — ولا يشترط أن يكون اللزوم مما يثبته العقل بل يكفى أن يكون لعرف عام أو غيره ،

والدلالة الأولى تسمى عند البيانيين وضعية ويستحيل تفاوتها وضوحا وخفاء لأن السامع لشىء من الألفاظ الموضوعة أما أن يكون عالما بالوضع للمسمى أولا ، فأن كان الأول فأنه يعرفه بتمامه بلا زيادة ولا نقصان وأن كان

الثانى فأنه لا يعرف منه شيئا أصلا — والثانية والثالثة تسميان عقليتين لأن دلالة اللفظ على الجزء واللازم مصدرها العقل الحاكم بأن حصول الكل مستلزم لحصول الجزء ووجود الملزوم مستلزم لوجود اللازم ويتأتى فيهما الاختلاف وضوحا وخفاء ، أذ اللوازم كثيرة بعضها قريب اللزوم يسبق الى الذهن فهمه بسرعة وبعضها بعيد فيصح اختلاف الطرق فيها ويكون بعضها أكمل من بعض فى الأفادة ، وكذا يجوز أن يكون المعنى جزءا من شىء وجزءا لجزء من شىء آخر فدلالة الشىء الذى ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشىء الذى ذلك المعنى جزء من جزئه فمثلا دلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالة الانسان عليه وكذا دلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه .

وفى هذا مجال لقائل أن الدلالة الوضعية ربما يعرض لها الوضوح والخفاء ألا ترى أنا نجد فى أنفسنا ألفاظا محفوظة لدينا معلومة الوضع يحضر لنا معنى بعضها بنفس الالتفات ألى معناه لكثرة الممارسة أو لقرب العهد باستعماله فى معناه أو لقرب العهد بعلم وضعه وبعضها لا يحضر معناه الا بالتوقف والمراجعة مرة بعد أخرى لطول العهد به وعدم تداوله ، أضف الى ذلك أن التركيب الذى فيه تعقيد لفظى لا يفهم معناه الا بعد التأمل مع العلم بوضع جميع ألفاظه — فليس ببعيد اذا أن تكون قابلة للوضوح والخفاء

موضوعه — واضعه

(موضوعه) موضوعه اللفظ العربى من حيث التفاوت فى وضوح الدلالة بعد

مطابقته مقتضى الحال ليلبس الحلة التي تناسبه والمعرض الذى يزينه

(واضعه)—أول من رتب أبحاثه وهذب مسائله الامام عبد القاهر، وقد كتب فيه قبله جماعة من المبرزين كالجاحظ وابن المعتز وقدامة وأبى هلال العسكرى لكنهم لم يشيدوا فيه مثل ما شاد هذا الامام

أبواب الفن

اعلم أن اللفظ أن استعمل فى معناه الموضوع له فحقيقة، وأن استعمل فى غيره لعلاقة مع قرينة مانعة من أرادة المعنى الاصلى فمجاز لغوى أما استعارة أن كانت العلاقة المشابهة مفردا كان أو مركبا، وأما مجاز مرسل أن كان مفردا علاقته غير المشابهة وألا فمجاز مركب، وان لم تكن القرينة مانعة فكناية. والاستعارة التى هى قسم من المجاز مبنية على التشبيه فوجب التعرض له — فعلم من هذا ومما تقدم من أن الدلالة الوضعية لا تتفاوت وضوحا وخفاء على المشهور، أن ابواب هذا الفن أربعة التشبيه والمجاز بقسميه والكناية، وأما الحقيقة فانما تذكر فيه ليتضح مقابلها وهو المجاز أشد الوضوح (وبضدها تتميز الأشياء) وأيضا فهى أصل المجاز وهو فرع لها فناسب البحث عنها فى الفن تبعا

﴿ الباب الاول فى التشبيه وفيه سبعة مباحث وتذييل ﴾

﴿ المبحث الأول فى بيان حقيقته وعظيم فائدته ﴾

التشبيه لغة مصدر شبهت كذا بكذا أذا جمعت بينهما بوصف جامع، واصطلاحا هو الجمع بين شيئين أو أشياء فى معنى ما بواسطة

الكاف ونحوها لفظا أو تقديرا ، فقولنا الجمع بين شيئين يدخل فيه التشبيه المفرد كقولك عليّ كالاسد ، وقولنا أو أشياء يدخل فيه التشبيه المركب كما سيأتي وقولنا في معنى ما عام لدخول الأوصاف العقلية والحسية ، وقولنا بواسطة الكاف ونحوها يخرج به العطف لانه جمع بين شيئين أو أشياء لكن ليس من قبيل التشبيه ، وقولنا أو تقديرا ليشمل التشبيه المحذوف الاداة نحو هند بدر ، وان شئت قلت التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لامر في معنى بالكاف ونحوها لفظا أو تقديرا .

وهو واد من أودية البلاغة غامض المدرك وعر المسلك غزير الفائدة جليل العائدة يدني البعيد ويوضح الخفي ويكسب المعاني منقبة ويرفع مقدارها في النفوس ويستثير لها من أقاصي الافئدة صبابة وكلفا ومحبة وشغفا

وان أردت أن يثلج فؤادك برد اليقين وتطمئن نفسك الى حقيقة ماقدمنا فانظر الى قول ذي الرمة

كَحلاَء في بَرَجٍ صفرَاء في دَعَجٍ ... كأنّها فِضّةٌ قد مسّها ذَهبُ(١)

وقول أبي تمام

وطولُ مُقَامِ المَرْءِ في الحيّ مُخْلِقٌ ... لِدِيباجَتَيْهِ فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

فإِنّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً

إِلى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ(١)

---

(١) البرج سعة بياض العين والدعج شدة سوادها مع سعتها

وقول البحترى

تَرَدَّدَ في خُلُقَيْ سُؤْدُدٍ سَماحاً مُرَجًّى وبأساً مَهيباً
فكالسَّيفِ إنْ جِئْتَهُ صارِخاً وكالبَحرِ إنْ جِئْتَهُ مُسْتَثيباً

ثم فكر فى حالك وحال المعانى معك فانك ترى البون الشاسع والتفاوت العظيم قبل أن تجىء بالتشبيه وبعد أن شبهت ، ألا تراك تجد المعنى بعده قد دخل على النفس دخول المأنوس به فهشت له وبشت ، وما ذاك ألا لما له من تمكين المعنى وتأكيده بأخراج الخفى فى صورة الجلى أو ما لم تألفه فى صورة ما هى به آلف أو ما لم تعلمه الى ما هى به أعلم

﴿ المبحث الثانى فى الكلام على أدوات التشبيه ﴾

أدوات التشبيه هى الكاف وكأن ومثل ونحوها مما يفيد معنى المماثلة والمشابهة كقوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ـ كأنهن الياقوت والمرجان ـ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى آخر الآية — والأصل فى الكاف ونحوها أن يليها المشبه به وقد يليها المشبه اذا كان التشبيه مركبا كما سيأتى ؛ وقد يغنى عن أداة التشبيه فعل يدل عليه كما تقول حسبت عليا أسدا ، وخلت سعدى شمسا

﴿ المبحث الثالث فى تقسيم التشبيه باعتبار الأداة ﴾

ينقسم التشبيه باعتبار الاداة الى مؤكد وهو ما حذفت أداته ومرسل وهو ما ذكرت فيه الأداة فالمؤكد على خمس صور

(١) ما يقع فيه المشبه والمشبه به موقع المبتدأ والخبر المفردين كقولك على أسد وعلى الاسد وهذا يسهل تقدير أداة التشبيه فيه ببديهة النظر ومنه قول الحماسى

هُمُ البُحورُ عطاءً حِينَ تَسألُهمْ وفى اللِّقاءِ إذَا تَلْقى بِهِمْ بُهَمُ (١)

(٢) ما يقعان فيه ذلك الموقع ويكون الخبر مضافا ومضافا اليه كقولهم فيضه بجوده فيض البحر ، وأقدامه أقدام الأسد ، فاذا كان المضاف اليه معرفة كما فى هذين المثالين لا يحتاج فى تقدير أداة التشبيه الى تقديم المضاف اليه فتقول فيضه بجوده كفيض البحر وأقدامه كأقدام الأسد ، وان كان نكرة فلابد من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه كقول البحترى

غَمامُ سَماحٍ لا يَغِبُّ لهُ حياً ومِسْعَرُ حرْبٍ لا يَضِيعُ لهُ وتْرُ (٢)

فتقول عند التقدير سماح كالغمام وحرب هولها كالمسعر

(٣) ما يقعان فيه هذا الموقع ويكون كل منهما مضافاو مضافااليه كمافى الحديث وقد سئل عليه السلام أنؤاخذ بما نتكلم فقال وهلْ يَكُبُّ النّاسَ على مَناخِرِهمْ فى النّارِ إلاّ حصائِدُ ألْسِنَتِهِمْ (٣) فان التقدير كلام الألسنة

---

(١) البهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى يستبهم على أقرانه مأتاه

(٢) الحيا المطر والمسعر موقد النار والوتر الثار (٣) حصد المنجل جزه وحصيدة اللسان طرفه

كحصائد المناجل ، وهذان القسمان متوسطان فى تقدير أداة التشبيه

(٤) ما يردان فيه على جهة الفعل والفاعل كقوله تعالى والذينَ تَبَوَّؤا الدّارَ والإيمانَ فالتقدير المؤمنون فيما تلبسوا به من الايمان وتمكنوا فيه كمن اتخذ دارا وتبوأها مسكنا

(٥) ما يردان فيه على جهة المثل المضروب كقول الفرزدق يهجو جريرا

ما ضرَّ تَغْلِبَ وائِلٍ أَهَجوْتَها أَمْ بُلْتَ حيثُ تَناطحَ البَحْرانِ

شبه هجاء جرير لتغلب ببوله فى مجتمع البحرين ، فكما أن ذلك لا يؤثر فيهما شيئا فماذا عسى أن يضر هجاؤه أولئك السادة فما مثله الا كما قال أبو العلاء

أرَى العَنْقاءَ تَكْبُرُ أنْ تُصادَا فَعانِدْ مَنْ تُطيقُ لهُ عِنادَا

وهذان القسمان الأخيران مما يشكل تقدير أداة التشبيه فيهما ولا يفطن لدخولهما فى هذا الباب ألا بعد أنعام النظر

والمرسل ميدانه واسع ومضطرب البلاغة فيه فسيح ، ومن بديعه قوله تعالى ومَنْ يُشْرِكْ باللهِ فكأنما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أوْ تَهْوِي بهِ الرِّيحُ فى مكانٍ سَحيقٍ وقول البحترى

خُلُقٌ مِنهم تَرَدَّدَ فيهمْ وليَتْهُ عِصابةٌ عنْ عِصابهْ

كالحُسامِ الجُرازِ يبقَى على الدَّهْـرِ ويُفْنِى فى كلِّ حينٍ قِرابهْ (١)

---

(١) الجراز السيف القطاع والقراب الغمد

واعلم أن التشبيه المضمر الأداة أبلغ وأوجز مما ظهرت فيه الاداة أما كونه أبلغ فلأنك اذا قلت على الاسد فقد جعلته نفس هذه الحقيقة من غير واسطة فيكون هو أياها بخلاف قولك هو كالأسد فانه أنما يفيد مطلق المشابهة ، وأما كونه أوجز فلأنه أخصر فى اللفظ لحذف أداة التشبيه منه

(تنبيه) قسموا التشبيه باعتبار المبالغة الى ثلاثة أقسام

(أولها) وهو أعلاها التشبيه الذى حذف فيه الوجه والأداة نحو محمد أسد

(ثانيها) وهو المتوسط فى المبالغة ما حذف فيه الوجه أو الاداة نحو على كالبدر ، أو هو بدر فى الحسن والبهاء

(ثالثها) ولا قوة له أصلا ما ذكر فيه الوجه والأداة نحو هو كالأسد فى الشجاعة ،

وبيان ذلك أن القوة أما بعموم وجه الشبه ظاهرا أو بحمل المشبه به على المشبه وأيهام أنه هو فما اشتمل على الوجهين معا فهو فى غاية القوة وهو القسم الأول وما خلا عنهما معا فلا قوة له وهو القسم الثالث وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط وهو القسم الثانى

﴿ المبحث الرابع فى الكلام على التشبيه باعتبار طرفيه ﴾

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه الى حسيين وعقليين ومختلفين ، والى مفردين ومركبين ومختلفين ، والى ملفوف ومفروق ، والى تسوية وجمع

(١) الطرفان أما حسيان أو عقليان أو مختلفان ، فالحسيان ما يدركان هما أو مادتهما أى أجزاؤها بأحدى الحواس الخمس الظاهرة وذلك بأن يشتركا أما

(ا) فى الصفة المبصرة كتشبيه الحور الحسان بالياقوت والمرجان فى قوله تعالى كأنّهنّ الياقوتُ والمرْجانُ

(ب) أو فى الكيفية المسموعة كتشبيه أطيط الرحل بأصوات الفراريج فى قوله

كأنّ أصْواتَ مِنْ أيْغالِهنّ بنا أواخرِ المَيْسِ إنْقاضُ الفَراريجِ(١)

وكما تشبه الأسلحة فى وقعها بالصواعق والأصوات الطيبة بالمزامير

(ج) أوفى الكيفية المذوقة كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل والريق بالخمر كما قال امرؤ القيس

كأنّ المُدامَ وصوْبَ الغَمامْ وريحَ الخُزامَى ونشْرَ القُطُرْ

يُعلُّ بِهِ بَرْدُ أنْيابِها إذا طرَّبَ الطائِرُ المسْتَحِرْ(٢)

(د) أو فى الكيفية المشمومة كتشبيه الرياحين المجتمعة فى الريح بالغالية والنّكهة بريح العنبر

---

(١) الميس الرحل والانقاض صوت الفراريج الضئيل وتقدير البيت كأن أصوات أواخر الميس من أيغالهن (٢) الصوب المطر والخزامى نبت طيب الرائحة والنشر الريح الطيبة والعلل الشرب الثانى وطرب تغنى والمستحر المفرد فى السحر

(هـ) أو فى الكيفية الملموسة كتشبيه الجسم بالحرير كما قال ذو الرمة

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ ومَنْطِقٌ رَخِيمُ الحَوَاشِي لا هُرَاءٌ ولا نَزْرُ (١)

وما تدرك مادته بالحس هو المعدوم الذى يفرض مجتمعا من عدة أمور كل منها مدرك بالحس ويسمى بالخيالى كقول أبى الغنائم الحمصى

خَوْدٌ كأنَّ بَنانَها فى خُضْرَةِ النَّقْشِ المُزَرَّدْ
سَمَكٌ مِنَ البَلُّورِ فى شَبَكٍ تَكَوَّنَ مِنْ زَبَرْجَدْ (٢)

فسمك على هذه الشاكلة وشبك بهذه الصفة لا يوجدان حتى يدركا بالحس، ولكن ما يتألفان منه وهو السمك والبلور والشبك والزبرجد يدرك بالحس

والعقليان ما لم يدركاهما ولا مادتهما بأحدى الحواس كتشبيههم المرض الشديد بالموت والضلال عن الحق بالعمى والعلم بالحياة

فيدخل فى العقلى الوهمى (٣) وهو ما ليس مدركا بالحواس ولكنه لو أدرك لكان مدركا بها كقوله تعالى طَلْعُها كأَنَّهُ رُءوسُ الشَّيَاطِينِ

وقول امرىء القيس

---

(١) رخيم الحواشي مختصر الاطراف (٢) الخود الشابة الناعمة والمزرد المنقوش كالزرد وهو حلق الدرع

(٣) وهو ما تخترعه المتخيلة من عند نفسها وهى قوة من قوى الادراك من شأنها اختراع أشياء لا حقيقة لها كما تصور الغول بصورة السبع وتخترع له أنيابا

أَيقتُلُنى والمَشْرَفىُّ مُضاجِعى ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيابِ أغْوالِ

فأن رءوس الشياطين وأنياب الأغوال لاتدرك بالحس لعدم وجودها ولكن لو أدركت لم تدرك ألا بحاسة البصر

والوجدانى كتشبيهم الجوع بالنار والعطش بالهب وتسعر النار

والمختلفان أما بأن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا كما فى تشبيه العدل بالقسطاس أو بالعكس بتقدير المعقول كأنه محسوس ويجعل كالاصل لذلك المحسوس مبالغة ويكون من عكس التشبيه كما فى تشبيه العطر بخلق الكريم

وقد ينزل التضاد منزلة التناسب فيشبه أحد الضدين بالآخر للتمليح والظرافة أو للتهكم والاستهزاء كما يشبه بخيل بحاتم وعيّ بقسّ فى الفصاحة كما قال الامام المرزوقى فى قول شقيق الاسدى وهو من أبيات الحماسة

أَتانِى مِنْ أَبِى أَنَسٍ وعِيد فَسَلَّ لِغَيْظَهِ الضَّحاكَ جِسْمِى (١)

أن قائل هذا البيت قصد به الاستهزاء والتمليح بما يستظرفه السامعون

(٢) الطرفان أما مفردان مطلقان كما فى تشبيه الشعر بالليل والخد بالورد وكما فى قوله تعالى هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ قال الزمخشرى

---

(١) الوعيد الارهاب والتخويف وسل ذاب والضحاك هو أبو أنس ففيه الأظهار فى موضع الأضمار زيادة فى الاستهزاء

لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه في عناقه ، شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا ... تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاساً

أو مقيدان بوصف أو أضافة أو ظرف أو حال أو نحو ذلك مما يكون له تعلق بوجه الشبه كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة هو كالراقم على الماء فالمشبه هو الساعي على هذه الصفة والمشبه به هو الراقم بهذا القيد ووجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل والترك في عدم الفائدة وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين ، وقولهم هو كالحادي وليس له بعير (١) فهذه الجملة الحالية محتاج اليها في الشبه لانه مأخوذ ما بين الحدو وهذه الحال ، أو مختلفان والقيد هو المشبه به كقول ابن المعتز

وَالشَّمْسُ كَالمِرْآةِ فِي كَفِّ الأَشَلّْ ... لَمَّا رَأَيْتُهَا بَدَتْ فَوْقَ الجَبَلْ

والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من الاستدارة والحركة وتموج الاشراق أو بالعكس كما في تشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس عند قصد التشبيه المقلوب مثلا ، واما مركبان كقول بشار بن برد

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا ... وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٢)

---

(١) يضرب مثلا للرجل يفخر بما ليس له (٢) المثار بضم الميم من أثار الغبار هيجه وحركه والنقع الغبار اي كأن الغبار المهيج من أسفل الى أعلى بحوافر الخيل وتهاوى أي تتهاوى ويتساقط بعضها أثر بعض وقوله فوق رءوسنا قال في عروس

فالمشبه هو مجموع الغبار والسيوف المتألقة فى خلاله. والمشبه به هو الليل الذى تتهافت كواكبه، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مستطيلة منيرة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شيء مظلم، قال السعد فى المختصر فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا الطرفان لأنه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف بل عمد الى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها وهى تعلو وترسب وتجيء وتذهب وتضطرب اضطرابا شديدا وتتحرك بسرعة الى جهات مختلفة وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض، وكذا فى جانب المشبه به

وهذا القسم ضربان أحدهما ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقول القاضى التنوخى

كأنما المرِّيخُ والمُشترِى ... قُدَّامَهُ فى شامِخِ الرِّفعَهْ
مُنصَرِفٌ بالليلِ عن دَعوَةٍ ... قد أُسرِجَتْ قُدَّامَهُ شَمعَهْ

فأن المريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ولو قيل كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان ضربا من الهذيان — وثانيهما ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر غير أن

الأفراح أنشده ابن جنى فى مجموعه والخفاجى فى سر الصناعة وابن رشيق فى العمدة فوق رءوسهم وهذه الرواية أحسن من جهة المعنى لأن السيوف ساقطة على رءوسهم فلابد أن يكون النقع على رءوسهم ليحصل التشبيه

الحالة تنغير كقول أبى طالب الرقى

وكأنَّ أجْرَامَ النُّجُومِ لوَامِعاً ‏ ‏ دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزْرَقِ

فلو قيل كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق كان تشبيها صحيحا ، ولكن أين هذا من ذاك الذى يملأ نفسك عجبا اذ يريك هيئة نجوم طالعة مؤتلقة متفرقة فى أديم السماء صافية الزرقة فانه أرق مذهباً وأحلى مذاقاً وأما مختلفان فتارة يكون المشبه مفردا والمشبه به مركبا كقول الصنوبرى

وكأنّ مُحْمَرَّ الشَّقِيـــقِ إذَا تَصوَّبَ أوْ تَصعَّدْ

أعْلامُ ياقُوتٍ نُشِرْ ‏ ‏ نَ على رِماحٍ مِنْ زَبَرْجَدْ (١)

فالمشبه هو الشقيق والمشبه به مركب وهو الصورة الحادثة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رءوس سيقان خضر مستطيلة ، وتارة بالعكس كقول أبى تمام يصف الربيع

ياصاحِبَىَّ تَقَصَّيا نَظَرَيْكُما ‏ ‏ تَرَيا وجوهَ الأرْضِ كيْفَ تَصَوَّرُ

تَرَيا نَهاراً مُشْمِساً قَدْ شابَهُ ‏ ‏ زَهْرُ الرُّبا فكأنَّما هُوَ مُقْمِرُ (٢)

---

(١) محمر الشقيق من أضافة الصفة للموصوف أى الشقيق المحمر والشقيق ورد أحمر فى وسطه سواد ينبت بالجبال ويقال له شقائق النعمان وتصوب مال الى أسفل وتصعد مال الى علو وأو بمعنى الواو (٢) تقصيت الشىء بلغت أقصاه أى اجتهدا فى النظر وتصور أصله تتصور وشابه خالطه والربا جمع ربوة وهى المكان المرتفع وخص زهر الربا لأنها أنضر وأشد خضرة

أراد أن النبات لشدة خضرته مع كثرته وتكاثفه صار لونه مائلا الى السواد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كأنه ليل مقمر — فشبه النهار المشمس الذى شابه زهر الربا وهذا مركب بالليل المقمر وهذا مفرد مقيد بالصفة

(٣) الطرفان أن تعددا فأن أتى بالمشبهات أولا على طريقة العطف أو غيرها ثم بالمشبهات بها كذلك سمى تشبيها ملفوفا كقول امرئ القيس يصف عقابا بكثرة اصطياد الطيور

كأنَّ قلوبَ الطَّيْرِ رَطْباً ويابِساً

لدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالى(١)

شبه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالى ، وفضيلة هذا الضرب من التشبيه اختصار اللفظ وحسن الترتيب لا أن فى الجمع فائدة فى عين التشبيه كما هو الحال فى التشبيه المركب ، وأن أتى بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر سمى تشبيها مفروقا كقول ابن سكّرة

الخدُّ وردٌ والصُّدغُ غاليةٌ والرِّيقُ خمرٌ والثَّغرُ كالدُّرَرِ (٢)

وأن تعدد أحدهما فأن كان المشبه سمى تشبيه التسوية كقوله

---

(١) العناب بزنة رمان حب أحمر مائل الى الكدرة قدر قلوب الطير بثمره السدر البستانى والحشف أردأ التمر (٢) الغالية أخلاط من الطيب

صُدْغُ الحبيبِ وحالى ... كِلاَهُمَا كالليالى

وثغرُهُ فى صفاءٍ ... وأدمُعى كاللآلى(١)

شبه فى البيت الأول صدغ الحبيب وهو الشعر البادي من الرأس فيما بين الأذن والعين ، وحاله هو بالليالى — وفى الثانى ثغر الحبيب وهو مقدم أسنانه ، ودموعه باللآلئ فى القدر والصفاء والأشراق ،

وان تعدد المشبه به سمى تشبيه الجمع كقول البحترى

باتَ نديماً لى حتّى الصَّباحْ ... أغيدُ مجدولٌ مكانَ الوِشاحْ

كأنَّما يَبسِمُ عَنْ لُؤلؤٍ ... منَضَّدٍ أو بَرَدٍ أوْ أَقاحْ (١)

﴿ المبحث الخامس فى الكلام على التشبيه باعتبار الوجه ﴾

وجه الشبه هو الوصف الخاص الذى قصد اشتراك الطرفين فيه كقولك على كالأسد ، ووجه سعدى مثل الشمس — فالوجه فى الأول الجرأة والأقدام وشدة البطش المشهورة فى الأسد ، وفى الثانى الحسن

---

(١) للصدغ أطلاقان ما بين الأذن والعين والشعر المتدلى وهو المراد هنا والسواد فى حاله تخييلى (٢) الأغيد الناعم البدن والمجدول فى الأصل المطوى غير المسترخى والمراد هنا لازمه وهو ضامر البطن والخاصرتين والوشاح جلد عريض يرصع بالجواهر وما أشبهها يشد فى الوسط أو يجعل على المنكب الأيسر معقودا تحت الأبط الأيمن للزينة والمنضد المنظم والبرد حب الغمام والأقاح جمع أقحوان وهو نور يتفتح كالورد وأوراقه أشبه شىء بالاسنان فى اعتدالها ومنه نوع أبيض وهو المراد هنا وهو المسمى بالبابونج وأتي بكلمة أو تنبيها على ان كلا مشبه به على حدته

والبهاء الثابتان للشمس

ومن أراد أن يشبه حركة أو هيئة بغيرها فعليه أن يتطلب أمرا يشترك فيه الطرفان كما فعل ابن المعتز فى قوله

وكأنَّ البَرْقَ مُصْحَفُ قارٍ فانْطِباقاً مرَّةً وانفِتاحا

فهو لم ينظر الى جميع صفات البرق بل نظر الى انبساطه وانقباضه ولمعانه وتألقه فشبهها بانفتاح المصحف مرة وانطباقه أخرى

ومما ذكر تعلم أن قولهم (النحو فى الكلام كالملح فى الطعام) معناه أن الكلام لا يستقيم ولا ينتفع به ألا بمراعاة أحكام النحو فيه من الأعراب والترتيب الخاص كما لا ينتفع بالطعام ما لم يصلح بالملح أذ هذا هو الوصف المشترك فيهما، وليس المعنى أن القليل من النحو مفيد والكثير مفسد كما يفسد الملح الطعام اذا كثر فيه — ذلك أنه لا تتصور زيادة ولا نقصان فى جريان أحكام النحو فى الكلام لأنه اذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا فأن وجد ذلك فقد حصل فيه النحو وانتفى عنه الفساد وانتفع به فى فهم المراد، وألا لم يحصل وكان الكلام فاسدا، فقول أبي بكر الخوارزمي والبُغْضُ عِندِي كَثْرَةُ الإعْرَابِ كلام ليس له كبير معنى،

وينقسم التشبيه باعتبار الوجه ألى

(١) تحقيقي وهو ما يكون متقررا فى الطرفين على وجه التحقيق كقوله تعالى وله الجَوَارِي المُنْشَآتُ فى البَحْرِ كالأَعْلَامِ فوجه الشبه

وهو العظم والضخامة موجود فى كل من المراكب والجبال حقيقة، وتخييلى وهو ما لا يكون وجوده فى المشبه به ألا على ضرب من التأويل كما فى قول القاضى التنوخى

وكأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجاها سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنَّ ٱبْتِدَاعُ

فوجه الشبه هو الهيئة الحادثة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شيء مظلم أسود، وهى غير موجودة فى المشبه به ألا على طريقة التخييل ذلك أنه لما كانت البدع والضلالات تجعل صاحبها كأنه يمشى فى الظلمة فلا يهتدى ألى الطريق الذى تقع له به النجاة، شبهت بالظلمة وشاع ذلك حتى قيل (شاهَدْتُ سوادَ الكُفْرِ مِنْ جَبِينِ فُلاَن) لتخييل أن البدعة نوع من الأنواع الذى له زيادة اختصاص بسواد اللون. وبطريق العكس شبه الهدى والعلم بالنور واشتهر ذلك كما ورد أَتَيْتُكُمْ بالحَنِيفِيَّةِ البَيْضاء لَيْلُها كَنَهارِها وذلك من حيث تخيل أن السنن ونحوها جنس من الأجناس التى لها أشراق وبياض فى العين — فمن هذا صار تشبيه النجوم ما بين الدياجى بالسنن ما بين الابتداع واضحاجليا كتشبيهها ببياض الشيب فى سواد الشباب —

(٢) واحد ومركب من متعدد منزل منزلة الواحد، وكل من هذين القسمين أما حسى وأما عقلى، ومتعدد يقصد فيه اشتراك الطرفين فى عدة أمور كل منها وجه شبه على حدته، وبهذا يخالف المركب المنزل منزلة

الواحد فأن وجه الشبه فيه هو الهيئة المنتزعة من عدة أمور ، وهو أما حسى وأما عقلى وأما مختلف بعضه حسى وبعضه عقلى

(ا) فالواحد الحسى طرفاه لا يكونان ألا حسيين فأن الوجه أمر منتزع من الطرفين موجود فيهما ، وكل ما يؤخذ من العقلى وينتزع منه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس لأن أوصاف العقلى يجب أن تكون عقلية وذلك كتشبيه الخد بالورد بجامع الحمرة

والواحد العقلى طرفاه أما عقليان كما يشبه وجود ما لا ينتفع به بعدمه بجامع العراء عن الفائدة ، وأما حسيان كتشبيه الرجل بالأسد فى الجرأة والأقدام والبطش ، وأما المشبه عقلى والمشبه به حسى كما يشبه العلم بالنور بجامع الهداية فى كل : وأما بالعكس كما يشبه العطر بخلق الكريم والجامع الاشتراك فى ارتياح النفس وانتعاشها به

(ب) والمركب الحسى طرفاه أما مفردان كتشبيه الثريا بعنقود من الكرم لاشتراكهما فى الهيئة الحادثة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار فى رأى العين على كيفية مخصوصة ومقدار معين فى قول قيس ابن الخطيم

وقدْ لاحَ فى الصُّبحِ الثُّريا كما ترى ... كعُنقودِ ملّاحِيَّةٍ حِينَ نوَّرا[1]

---

(١) الملاحية بضم الميم وتشديد اللام والأكثر تخفيفها عنب أبيض فى حبه طول وحين نورا أى تفتح نوره بفتح النون

وأما مركبان كالهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شيء مظلم كما فى بيت بشار المتقدم

وأما مختلفان كما فى تشبيه الشاة الجبلى بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضى .قال الأمام عبد القاهر ومما يزداد به التشبيه دقة وسحرا أن يجيء فى الهيئات التى تقع عليها الحركات وذلك على ضربين

(١) أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما كما فى قوله والشَّمْسُ كالمِرْآةِ في كَفِّ الأَشَلِ أراد أن يريك مع الاستدارة والأشراق الحركة التى تراها للشمس أذا أنعمت التأمل ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركة ، وذلك أن للشمس حركة دائمة فى غاية السرعة ولنورها بسبب تلك الحركة تموج واضطراب ، ولا يتحصل هذا الشبه الا بأن تكون المرآة فى يد الأشل لان حركته تدوم وتتصل ويكون فيها سرعة وقلق شديد ، وبدوام الحركة يتموج نور المرآة ويقع الأضطراب الذى كأنه يسحر الطرف ، وتلك حال الشمس بعينها حين تحد النظر وتنفذ البصر فأنك ترى شعاعها كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى بدأه ألى انقباض كأنه يجمعه من جوانب الدائرة ألى الوسط

(٢) أن تجرد هيئة الحركة من كل وصف للجسم سواها ، وهناك أيضا

لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم ألى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه ألى الشمال وبعضه ألى العلو وبعضه ألى السفل ونحو ذلك

وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تحرك أبعاض الجسم أليها أشد كأن التركيب فى هيئة المتحرك أكثر ، فحركة الدولاب والرحا والسهم لا تركيب فيها لأن الجهة واحدة ، وحركة المصحف فى قول ابن المعتز

وكأنَّ البرقَ مُصحفُ قارٍ فانطباقاً مرّةً وانفتاحا (١)

فيها تركيب لأنه فى أحدى الحالتين يتحرك ألى جهة غير جهتها فى الحالة الأخرى ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها

تَقِصُ السَّفينُ بجانِبَيهِ كما يَنزُ الرُّباحُ خَلاَ لَهُ كَرَعُ (٢)

شبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه فأنه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه فى جهات مختلفة ويكون هنالك تسفل وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل أحدى الحركتين فى الأخرى فلا يتبينه الطرف مرتفعا حتى يراه متسفلا ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين تتدافعها الأمواج

---

(١) قار أصله قارىء حذفت منه الهمزة بعد قلبها ياء ثم أعل أعلال قاض

(٢) تقص تثب والنزو الوثوب والرباح كرمان ويخفف القرد أو الفصيل والكرع ماء السماء وخلا فعل ماض

وكما يقع التركيب فى هيئة الحركة قد يقع فى هيئة السكون كقول المتنبي يصف الكلب

يُقْعِي جلُوسَ البَدَوِيِّ المُصْطَلِي ... بِأَرْبَعٍ مجدُولةٍ لم تُجْدَلِ(١)

لم ينل التشبيه حظا من الحسن ألا لما فيه من التفصيل من حيث كان لكل عضو من الكلب فى اقعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات فى حكم أشكال مختلفة تؤلف منها صورة خاصة، انتهى بتصرف واختصار

والمركب العقلى كحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه كما فى قوله تعالى مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا فالتشبيه منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها ألى بعض، ذلك أنه روعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهى الاسفار التى هى أوعية العلوم ومستودع ثمرات العقول وأن الحمار جاهل بما فيها فلاحظ له ألا أن يثقل عليه الحمل ويكد جنبيه وكذا فى جانب المشبه

(تنبيه) قد تقع بعد أداة التشبيه أمور قد يظن أن المقصود أمر منتزع من بعضها فيقع الخطأ لكونه أمرا منتزعا من جميعها كقوله

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ ... فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وتَجَلَّتِ(٢)

---

(١) الأقعاء الجلوس على الأليتين والاصطلاء الاستدفاء بالنار ومجدولة محكمة الخلق لم يجدلها أنسان والغرض مدح الكلب بشدة الحرص (٢) أقشعت اضمحلت

فأنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لاحاجة به ألى الثاني ، على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة أليه — ولكن بعد التأمل يظهر أن مقصد الشاعر من التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء مؤيس وذلك يتوقف على البيت كله ، أذ المراد تشبيه الحالة المذكورة قبل هذا البيت بحالة ظهور غمامة للقوم العطاش ثم تفرقها وانكشافها وبقائهم متحيرين ولا يتم ذلك ألا بكون الوجه هو اتصال ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس — وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة فى قولنا محمد كالأسد والسيف والبحر ، فأن المقصد فيها ألى التشبيه بكل واحد من تلك الأمور على حدة حتى لو ترك ذكر البعض لم يتغير حال الباقي فى أفادة معناه ، بخلاف المركب فأن المقصود منه يختل بأسقاط بعض الأمور ، وكذا لو قدم بعضها وأخر البعض الآخر لا يتغير المعنى فلو قدم التشبيه بالبحر أوبالسيف جاز أذ ليس لهذه التشبيهات نسق مخصوص ولا ترتيب معين بخلاف المركب

(ج) والمتعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة بأخرى ، والمتعدد العقلى كحدة النظر وكمال الحذر وأخفاء السفاد فى تشبيه طائر بالغراب ، والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه أنسان بالشمس

(٣) تمثيل وغير تمثيل فالتمثيل تشبيه وجهه منتزع من متعدد أمرين

وذهبت وكذا تجلت وأبرقت قوما أى لقوم وعطاش جمع عطشان

أو أمور كقول ابن المعتز

اصبرْ على مَضض الحسو ... دِ فإنّ صبرَكَ قاتِلُهْ
فالنارُ تأكلُ نفسَها ... إنْ لم تجِدْ ما تأكلُهْ

فان تشبيه الحسود اذا سكت عنه وترك غيظه يتردد فيه بالنار التى لاتمد بالحطب حتى يأكل بعضها بعضا، أنما هو فى أمر حقيقى منتزع من متعدد وهو أسراع الفناء لانقطاع مافيه مدد البقاء — ومثله قوله تعالى مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نارًا فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فى ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ شبهت حال المنافقين بحال من استوقد نارا الى آخر الآية بجامع الطمع فى حصول شىء بوشرت أسبابه وهيئت وسائله ثم تلا ذلك الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب وتقويض أركانها رأسا على عقب

وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك كتشبيه الخد بالورد والوجه بالبدر

(١) مجمل ومفصل فالمجمل هو الذى لم يذكر فيه وجه الشبه وهو قسمان

(أ) ظاهر يفهمه كل أحد فلا يحتاج الى تأول كأن يشبه الشىء أذا استدار بالكرة فى وجه والحلقة فى وجه آخر، وكتشبيه القد المعتدل بالغصن

(٢) خفى لا يعرف المقصود منه ببديهة السمع بل يحتاج الى تأول كقول [١] كعب الأشعرى فى وصف بنى المهلب

(١) تقدم ذلك برواية أخرى

(هُمْ كالحَلَقَةِ المُفْرَغَـةِ لا يُدْرَى أيْنَ طرفاها) فهذا التشبيه يحتاج الى فضل تأمل ورفق ولا يفهمه ألا من ارتفع عن طبقة العامة ودخل في عداد الخاصة — فهو يريد أنهم لتناسبهم في الشجاعة والشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها في الصورة يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كالدائرة

وينقسم أيضاً باعتبار وجود الوصف المشعر بالوجه وعدمه الى الأقسام الآتية

(ا) مالم يذكر فيه وصف أحد الطرفين نحو وجهه كالبدر

(ب) ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده كقول زياد الأعجم

وإنّا وما تُلْقِي لنا إنْ هَجَوْتَنا
لَكالبَحْرِ مَهْما تُلْقِ في البحْرِ يَغْرَقِ

(ج) ماذكر فيه وصفهما معاً كقول أبي تمام يمدح الحسن بن رجاء بن الضحاك

سَتُصْبِحُ العِيسُ بِي واللَّيْلُ عِندَ فتًى
كَثيرِ ذِكْرِ الرِّضا في ساعَةِ الغَضَبِ

صَدَفَتْ عنهُ ولم تَصْدِفْ مَواهِبُهُ عَنّي وعاوَدَهُ ظَنّي فلَمْ يَخِبِ
كالغَيْثِ إنْ جِئْتَهُ وافاكَ رَيِّقُهُ وإنْ تَرَحَّلْتَ عَنهُ لجَّ في الطَّلَبِ(١)

---

(١) العيس أبل بيض وصدفت أعرضت والريق من كل شيء أفضله وترحلت

فقد وصف الممدوح كما ترى بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض ووصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه — والوصفان دالان على وجه الشبه أعني الأفاضة في حالتي الطلب وعدمه وحالتي الأقبال عليه والأعراض عنه

والمفصل ما ذكر وجهه أو ذكر فيه مكان وجه الشبه أمر يستلزمه فالأول كقول أبي بكر الخالدي

يا شبيهَ البَدْرِ حُسْناً وَضِيَاءً وَمنالا
وشبيهَ الغُصْنِ لِيناً وقوَاما واعْتِدَالا
أنْتَ مِثْلُ الوَرْدِ لوْناً ونَسِيماً وملالاَ
زارَنا حتى إِذَا مـا سرَّنا بالقُرْبِ زَالا

والثاني كقولهم الألفاظ اذا وجدوها لا تثقل على اللسان ولا تكون غريبة تستكره ولا مما تبعد دلالتها على معانيها — هي كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة . وكالنسيم في الرقة — والجامع في الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع ولازم السلاسة والرقة وهو أفادة النفس نشاطا وانتعاشا

(ه) قريب مبتذل وبعيد غريب ، فالقريب المبتذل ما يقع في الوهم لأول النظر فيسهل تداوله بين العامة والخاصة ، وهذا ما يجعله مبتذلا لظهور وجه الشبه بادئ بدء ، مثال ذلك ما اذا أخطرت بالبال استدارة

تباعدت ولج تمادي

الشمس ونورها فان المرآة المجلوّة تقع فى قلبك ويتراءى لك الشبه منها فيها، وكذا أذا نظرت ألى السيف الصقيل عند سله وبريق متنه لم يتباعد عنك أن تذكر لمعان البرق وأن كان هذا أقل ظهورا من الأول

والبعيد الغريب ما يحتاج فى الانتقال من المشبه الى المشبه به ألى فكر ودقة نظر لخفاء وجهه فأنك تعلم أن خاطرك لا يسرع ألى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل كما كان يسرع فى النوع الأول هذا الأسراع ولا قريبا منه — ومثله تشبيه البرق بأصبع السارق فى قول كشاجم

أَرِقْتَ أَمْ نِمْتَ لِضَوْءِ بارِقِ   مُؤْتَلِقٍ مِثْلِ فُؤادِ العاشِقِ
كأَنَّهُ أُصْبُعُ كَفِّ السارِقِ

وسبب سرعة بعض الشبه على الفكر أحد أمرين

(١) كونه أمرا جمليا لا تفصيل فيه فأن الجملة أسبق ألى النفس من التفصيل أذ الرؤية لا تصل فى أول أمرها ألى الوصف على التفصيل بل على الجملة ثم يتلوها التفصيل ، يرشدك ألى ذلك قولهم النظرة الأولى حمقاء، وقولهم فلان لم ينعم النظر ، وهكذا الحكم فى السمع والذوق وغيرهما من الحواس ، ألا ترى أن السمع يدرك من تفاصيل الصوت. والذوق يدرك من تفاصيل المذوق فى المرة الثانية ما لم يدرك فى المرة الأولى — فما مثل من يروم التفصيل ويتطلبه ألا كمثل من ينتخب شيئا من بين أشياء اختلطت به فيميزه عنها ، أما من يود الأجمال فطريقته

أسهل لأنه يريد أخذ الشيء بدون عناء ولا كد للخاطر ، وسبيل درك المعقولات في أدراكها سبيل المحسات ترى الجملة فيها أسبق الى الذهن والتفاصيل منبثة فيما بينها لا تحضر ألا بعد أعمال الروية والفكر

(ب) كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن أما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما ، كما تشبه العنبة الكبيرة السوداء بالإجاصة [١] في الشكل والمقدار ، وكذا الجرّة الصغيرة بالكوز ، وأما مطلقا لتكرره على الحس كما تقدم من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة وذلك لأن قرب المناسبة والتكرر يقتضيان سرعة الانتقال من المشبه الى المشبه به

كما أن سبب أباء بعض الشبه عن الفكر خفاء الوجه في بادىء الأمر لوجوه منها

(١) كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل ، فأن هذه الهيئة لا تقوم في نفس الرائي للمرآة الدائمة الاضطراب ألا أن يتمهل في نظره ويستأنف التأمل مليا حتى يتجلى له وجه الشبه فيهما

(ب) ندرة حضور المشبه به في الذهن عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كما في تشبيه البنفسج بنار الكبريت

(ج) ندرة حضوره مطلقا أما لكونه وهميا كما سبق من تشبيه نصاب السهام بأنياب الأغوال ، أو مركبا خياليا كما في تشبيه الشقائق

---

(١) جمعها أجاص ثمر حلو لذيذ وهو معرب

بأعلام الياقوت المنشورة على رماح من زبرجد أو مركبا عقليا كما فى تشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارا

(تنبيهات) الأول يراد بالتفصيل أن ينظر فى الأوصاف واحدا واحدا ويفصل بعضها عن بعض بعد التأمل وينظر الى أكثر من جهة واحدة فى الشيء، وذلك يقع على ضروب كثيرة أشهرها ضربان

(١) أن يؤخذ بعض ويترك بعض كما فعل امرؤ القيس فى قوله

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

فقد اعتبر فى اللهب الشكل واللون واللمعان ونفى اتصاله بالدخان

(٢) أن يعتبر الجميع كما فعل الآخر فى قوله وقد تقدم

وقَدْ لاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا كما تَرَى

كعُنْقُودِ مُلَّاحِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

فأنه قد لاحظ فى الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على المسافة المخصوصة فى القرب ثم نظر الى مثل ذلك فى العنقود المنور من الملاحية

(الثانى) التشبيه البليغ هو البعيد الغريب لأن الشيء أذا نيل بعد طول الأشتياق أليه كان نيله أحلى وموقعه من النفس ألطف ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ كما قال القطامى

وهنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ

مَوَاقِعَ الماءِ مِنْ ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي

قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة : وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع « لحس » الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ومن انفتاح باب العلم بعد أدمان قرعه

(الثالث) ربما تصرف الفطن الحاذق بصنعة الكلام فى القريب المبتذل فجعله بديعا نادرا وغريبا لا ترتقى أليه أفكار العامة كأن يشترط فى تمام التشبيه وجود وصف لم يكن أو انتفاء وصف قد كان ولو ادعاء وذلك على ضروب

(١) أن يكون كقول المتنبي

لمْ تَلْقَ هذا الوَجْهَ شمسُ نهارِنا ... الاَّ بوَجْهٍ ليْسَ فيهِ حَياء(١)

فتشبيه الحسناء بالشمس مطروق مبتذل يستوى فيه الخاصة والعامة ولكن حديث الحياء وما فيه من دقة وخفاء أخرجه من الابتذال ألى الغرابة وشبيه به قول القائل

إنّ السَّحابَ لتَستَحيِي إذا نَظَرَتْ ... إلى نَدَاكَ فقاسَتْهُ بما فِيها

(٢) أن يكون كقول الوطواط

---

(١) لم تلق أما من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه غير مصرح به وأما من لقيته بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل يدل على التشبيه أى فالتشبيه على كل حال ضمنى وذلك أن وجه الممدوح أذا كان أعظم من الشمس فى الأشراق والضياء استلزم ذلك اشتراكا كما فى أصل الاشراق فيثبت التشبيه ضمنا وهو تشبيه مقلوب أذ المقصود تشبيه الوجه بالشمس لا العكس

عَزَماتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِباً لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أُفُولُ

فقد اشترط لتمام المماثلة بين النجوم وبينه عدم مغيبها ومثل هذا يسمى التشبيه المشروط (١) ونظيره قول البديع الهمذانى

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الغَيْثِ مُنْسَكِباً
لَوْ كَانَ طَلْقَ المُحَيَّا يُمْطِرُ الذَّهَبَا

«٣» أن يكون كقول ابن بابك

أَلَا يَا رِيَاضَ الحَزْنِ مِنْ أَبْرَقِ الحِمَى
نَسِيمُكِ مَسْرُوقٌ وَوَصْفُكِ مُنْتَحَلْ
حَكَيْتِ أَبَا سَعْدٍ فَنَشْرُكِ نَشْرُهُ ولَكِنْ لَهُ صِدْقُ الهَوَى وَلَكِ المَلَلْ

«٤» أن يجمع بين عدة تشبيهات تزداد بذلك لطفا وغرابة كقوله

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ أَقَاحْ

« المبحث السادس فى الغرض من التشبيه »

الغرض من التشبيه الإيضاح والبيان مع الإيجاز والاختصار وهو على ضربين

«١» ما يكون الغرض منه المحاكاة والمماثلة بين الشيئين ، ولا يكفى فى وجودها مجرد الدعوى بل يجب أن يتحقق وجه الشبه فى الطرفين

---

(١) فانه قيد الوجه فى المشبه به بعدم الأفول فى البيت الأول وبالأشياء التى بعده فى الثانى فلم يتم التشبيه بدون ذلك

بحسب الحقيقة كقوله

كأنما النارُ في تلهبها   والفحمُ من فوقها يغطيها
زنجيةٌ شبكتْ أناملها   فوق نارنجةٍ لتخفيها

«٢» ما يكون الغرض منه أثبات وجه الشبه ؛ وتحت هذا نوعان

(ا) أن يعود ألى المشبه وهو الغالب وذلك لنكات منها

«١» بيان (١) أمكانه كقول المتنبي

فإنْ تفقِ الأنامَ وأنتَ منهمْ   فإنَّ المسكَ بعضُ دَمِ الغزالِ

لما ادعى أن الممدوح فاق الأنام ولم يبق بينه وبينهم مشابهة ولا مقاربة وصار كأنه جنس برأسه وكان هذا في الظاهر كالممتنع ، احتج لتصحيح دعواه وأبان أمكان ما قاله بالشطر الثاني فأن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته وتحول ألى طور آخر

«٢» بيان حاله كما في قوله

إذا قامتْ لحاجتها تثنّتْ   كأنَّ عظامَها مِنْ خيزُرانِ

«٣» بيان مقدار حاله في القوة والضعف كقوله

فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبة   سُودًا كخافيةِ الغُرابِ الأسحَمِ

فقد شبه النياق السود بخافية الغراب بيانا لمقدار سوادها

---

(١) التشبيه في البيت ضمني أذ هو قد ذكر فيه لازم التشبيه وهو وجه الشبه أعني

«٤» تقرير حاله فى نفس السامع بأبرازها فيما هى فيه أظهر وأقوى وذلك كما يشبه من لا يحصل من سعيه على فائدة بمن يرقم على الماء، فقد أراك رؤية لا تشك معها أنه قد بلغ من الخيبة وبوار السعى ألى أقصى ما يكون وانتهى ألى أبعد ما يتصور، وكما قال شُبْرُمة بن الطُّفَيل

وَيَوْمٍ كَظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ

دَمُ الزِّقِّ عَنَّا وَاصْطِكَاكُ المَزَاهِرِ (١)

فلو قلت مكانه يوم كأطول مايتوهم أو كأنه لا آخر له لم تجد له من الأنس والأريحية ما تجده لهذا البيت

«٥» تزيين المشبه ليرغب فيه كقوله

سَوْدَاءُ وَاضِحَةُ الجَبِيـنِ كَمُقْلَةِ الظَّبْيِ الغَرِيرِ (٢)

«٦» تشويهه وذمه ليرغب عنه كقوله

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ

«٧» استطرافه وجعله مستحدثا بديعا أما لأبرازه فى صورة ماتمتنع

فوقان الأصل وأراد الملزوم وهو التشبيه فكأنه شبه هذه الحال وهى فوقانه جميع الناس بحال المسك وفوقانه جميع الدماء والجامع الفوقان فى كل

(١) دم الزق الخمر وأراد شربه والمزاهر جمع مزهر بكسر الميم العود الذى يضرب به واصطكاكها ضرب بعضها ببعض (٢) الغرير الحسن الشكل فقد شبه الوجه الأسود بمقلة الظبي التى سوادها مستحسن طبعا لما فيه من الصفاء والاستدارة تزيينا له في عين السامع

عادة كما يشبه الجمر الموقد ببحر من المسك موجُهُ الذهب ، وأما لندور حضور المشبه به في النفس عند حضور المشبه كقول ابن الرومي في تشبيه بنفسجة

ولازوَرْديةٍ تَزْهو بِزُرْقتِها بَيْنَ الرِّياضِ على حُمْرِ اليَواقيتِ
كأنَّها بَيْنَ قاماتٍ ضَعُفْنَ بِها أوائلُ النّارِ في أطْرافِ كِبْريتِ(١)

قال الأمام عبد القاهر فقد أراك شبها لنبات غض وأوراق رطبة بلهب نار في جسم مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفس به أكثر وكان الشغف به أجدر انتهى . ونحوه قول عدى بن الرقاع يصف قرن الغزال

تُزجي أغنَّ كأنَّ إبرةَ رَوْقِهِ قلمٌ أصابَ مِنَ الدَّواةِ مدادَها

(ب) أن يعود إلى المشبه به لإيهام أن الشيء القاصر عن نظيره زائد عليه وحينئذ ينعكس الأمر فيجعل الأصل فرعا والفرع أصلا ويشبه الزائد بالناقص للمبالغة ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب أو المعكوس كقول محمد ابن وُهَيب يمدح المأمون

---

(١) الواو واو رب واللازوردية أزهار من البنفسج نسبها للحجر المعروف باللازورد وتزهو تتكبر وحمر اليواقيت الأزهار والشقائق الحمر والقامات السيقان وضعفن بها أي ضعفن عن حملها

وبَدَا الصَّبَاحُ كأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْـهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ (١)

فقد جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأتم من غرة الصباح فى الوضوح والضياء وأكمل فى النور وأظهر ، ونظيره قول ابن المعتز

وكأَنَّما الشَّمْسُ المُنِيرَةُ دِيـنَارٌ جَلَتْـهُ حَدَائِدُ الضَّرَّابِ

وقوله ولاحَ ضَوْءُ قُمَيْرٍ كادَ يَفْضَحُنا

مِثْلِ القُلامَـةِ قَدْ قُدَّتْ مِنَ الظُّفُرِ

قال ابن الأثير وأنما يحسن ذلك فى عكس المعنى المتعارف أذ من العادة أن تشبه الغرة بالصباح والدينار بالشمس والقلامة بالهلال فلما صار ذلك مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه . وكل هذا أذا أريد ألحاق كامل بناقص فى وجه الشبه ، فأن تساويا حسن ترك التشبيه والعدول ألى المشابهة تباعدا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر كما قال أبو اسحق الصابى

تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْجَرَى ومُدَامَتِي فمِنْ مِثْلِ مافى الكَأْسِ عيْنِيَ تَسْكُبُ

فَوَ اللهِ ما أَدْرِي أَبِالْخَمْرِ أَسْبَلَتْ

جُفُونِي أَمْ مِنْ عَبْرَتِي كُنْتُ أَشْرَبُ

﴿ المبحث السابع فى أقسام التشبيه باعتبار الغرض ﴾

---

(١) فى قوله حين يمتدح دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه لدى الحاضرين بالاصغاء أليه وعلى كماله فى الكرم من حيث يرتاح لسماع المدائح وتظهر عليه علامات البشر والسرور

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض الى حسن وقبيح ، أو مقبول ومردود فالحسن هو الوافى بافادة الغرض المطلوب منه ، وعلى هـذا النمط أكثر التشبيهات فان البلغاء توسعوا فيها وأتوا بكل حسن بديع ، فمن ذلك قول امرئ القيس يصف فرسا

عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ

إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ (١)

وقول ابن نباتة فى وصف فرس أبلق أغر

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ   فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِى أَحْشَائِهِ

وقول الآخر

نَثَرَتْ إِلَىَّ غَدَائِرًا مِنْ شَعْرِهَا

حَذَرَ الكَوَاشِحِ وَالْعَدُوِّ المُوبِقِ

فَكَأَنَّنِي وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُ   صُبْحَانِ بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبَقِ (٢)

والقبيح هو مالم يف بالغرض لعدم وجود وجه بين المشبه والمشبه به أو مع وجوده لكنه بعيد ، وما أخلق مثل هذا بالاستكراه والذم ومنه قول أبى نواس يصف الخمر

---

(١) الذبل والذبول الضمور وقلة اللحم والجياش من جاشت القدر غلت والاهتزام التكسر والحمى حرارة الغيظ والمرجل القدر

(٢) الكاشح الذى يضمر العداوة والموبق المهلك

وَإِذَا ما الماء وَاقَمَها أظهَرَتْ شَكْلاً مِنَ الغَزَلِ
لُؤْلُؤَاتٌ يَتَحدَّرْنَ بِها كانْحِدَارِ الذَّرِّ مِنْ جَبَلِ

فهذا تشبيه بعيد ركيك غث اللفظ بشعه لأنه قد شبه الحبب في انحداره بنمل صغار ينحدر من جبل ، وقول الفرزدق

يَمْشونَ في حَلَقِ الحَديدِ كما مَشَتْ
جُرْبُ الجِمالِ بِها الكُحَيْلُ المُشْعَلُ(١)

فقد شبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب ، وذلك من البعد بمكان لأنه أن أراد السواد فلا مقاربة بينهما فيه فأن لون حديد الدروع أبيض وأن أراد شيئا آخر فليس بواضح مع ما فيه من السخف ، وقول الآخر

شَرَفٌ يُنَطِّحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْهِ وَعِزٌّ يُقَلْقِلُ الأَجْبالا

فهذا من التشبيه الردىء لأن ذكر الروق والمناطحة ليس جيدا ولا فصيحا في المديح

تذييل

اختلف القوم في التشبيه أيعد من أودية المجاز أم لا ، والذى عليه أهل التحقيق أنه لا يعد منها لأن المجاز هو استعمال اللفظ في غير موضوعه الأصلي ،وفي قولنا علي كالأسد كل من المشبه والمشبه به مستعمل في موضوعه

---

(١) الكحيل القطران تطلى به الأبل والمشعل الكثير

وذهب ابن الأثير الى أنه مجاز وحجته على ذلك أن مضمر الأداة من التشبيه معدود في الاستعارة التي هي مجاز باتفاق القوم فيجب أن يكون مظهرها كذلك اذ لا تفرقة بينهما الا من جهة ظهور الأداة وظهورها أن لم يزده قوة ودخولا في المجاز لم يكن مخرجا له عن سننه كذا في الطراز

تطبيق

بين أنواع التشبيهات الآتية باعتبار الطرفين والوجه والغرض والأداة

قال عليه السلام مَثَلُ الذي يُعَلِّمُ الخيرَ ولا يَعْمَلُ بهِ مَثَلُ السِّراجِ الذي يُضيءُ للناسِ ويَحْرِقُ نَفْسَهُ ، أُمتي كالمَطَرِ لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خيرٌ أم آخِرُهُ ، إِنَّهُ لم يَبْقَ مِنَ الدُّنيا إِلَّا كما تَخِيَّةِ راكبٍ أو صَرِّ حالبٍ وقال صاحب كليلة ودمنة الدُّنيا كالمِلْحِ كلَّما ازْدَدْتَ مِنهُ شُرْبًا ازْدَدْتَ عطشًا — مَنْ صنَعَ معْرُوفًا لِعاجِلِ الجَزاءِ فهُوَ كَمُلْقِي الحَبِّ لِلطَّيْرِ لا لِيَنْفَعها بلْ لِيَصيدَها بهِ — صُحْبَةُ الأَشرارِ تُورِثُ الشَّرَّ كالرِّيحِ إِذا مرَّتْ على النَّتْنِ حمَلَتْ نَتْنًا وإِذا مرَّتْ على الطِّيبِ حمَلَتْ طِيبًا — وقيل السفرُ مِيزانُ الأَخلاقِ . الفكرةُ فَخُّ العمَلِ ، وقال امرؤ القيس

كأَنَّ ثَبِيرًا في عَرانِينِ وَبْلِهِ ... كَبِيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ (١)

---

(١) ثبير جبل وعرانين السحاب أوائل مطره والبجاد كساء مخطط

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب

وما منع الضغائن مثل ضرب تري منه السواعد كالقلينا(١)

فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف لؤلؤة ممشوقة القد

ترجو وتخشى حالتيك الورى كأنك الجنة والنار

ولقد ذكرتك والزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانهض بنار إلى فحم كأنهما في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

ذات حسن لو استزادت من الحسن إليه لما أصابت مزيدا
فهي كالشمس بهجة والقضيب اللد ن قدا والريم طرفا وجيدا

إني وتزييني بمدحي معشرا كمعلق درا على خنزير

---

(١) القلة مضرب الكرة

الباب الثاني فى الحقيقة والمجاز وفيه تسعة عشر مبحثا وتتمة

﴿ المبحث الأول فى تقسيم الحقيقة والمجاز ﴾

الحقيقة والمجاز اللذان يبحث عنهما هنا ضربان حقيقة من طريق اللغة وحقيقة من ناحية المعنى والمعقول والمجاز كذلك — بيان هذا أنا أذا وصفنا كلمة مفردة بكونها حقيقة كما أذا أطلقنا السبع على الحيوان المعروف واليد على الجارحة المخصوصة . أو بكونها مجازا كما أذا أطلقنا السبع على الشجاع الفاتك واليد على النعمة كان ذلك الأطلاق حكما آتيا من ناحية اللغة ألا ترى أنا نقول أن المتكلم استعمل الكلمة فيما وقعت له إبتداء فى اللغة أو جاز بها الذى وقعت له وأوقعها على غيره

وأذا وصفنا بالحقيقة أو المجاز الجملة من الكلام كان ذلك الوصف آتيا من جانب المعقول دون اللغة لأن الأوصاف اللاحقة للجمل من حيث أنها جمل لا يصح ردها ألى اللغة ولا وجه لنسبتها الى واضعها لأن التأليف هو أسناد فعل ألى اسم أو اسم ألى اسم وذلك شيء يحصل بقصد المتكلم ، فمثلا كتب لا يصير خبرا عن محمد فى قولك محمد كتب بوضع اللغة بل بمن قصد أثبات الكتابة فعلا له كذا فى أسرار البلاغة مع تصرف

أما بقية أنواع الحقائق والمجازات الآتية بعد فلا يهم البحث عنها علماء الفصاحة

﴿ المبحث الثاني فى أنواع الحقائق ﴾

المقصد فى هذا الفن البحث عن الحقائق اللغوية والعقلية وكذلك

المجازات ، ولكن مزيد الكشف والأيضاح يحوج ألى ذكر أنواع الحقائق وهى

(١) الحقيقة اللغوية كالأنسان والحيوان عند استعمالهما فيما وضعا بأزائه

(٢) الحقيقة العقلية وهى أسناد الفعل أو ما فى معناه ألى ما هو له عند المتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله بألا ينصب قرينة على أنه غير ما هو له فى اعتقاده ، والمراد بمعنى الفعل المصدر واسم الفاعل ونحوهما مما سيأتى

وأقسامها أربعة (١) ما يطابق الواقع والاعتقاد كقولنا خلق الله العالم (٢) ما يطابق الواقع دون الاعتقاد ولا يكاد يوجد فى الكلام ومثلوا له بقول المعتزلى لمن يجهل حقيقة حاله وهو يخفيها عنه خالق الأفعال كلها هو الله أذ هو لا يعتقد ذلك وأنما يعتقد أن الأفعال الاختيارية مخلوقة بكسب العبد ومحض اختياره (٣) ما يطابق الاعتقاد دون الواقع كما يقول الطبعى المنكر لوجود الأله شفى الطبيب المريض وعليه قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار وما يُهلكُنا إلا الدّهرُ (٤) ما لا يطابق شيئا منهما كالأقوال الكاذبة التى يكون المتكلم عالما بحالها دون المخاطب كما تقول سافر محمد وأنت تعلم أنه لم يسافر

«٣» الحقيقة العرفية وهى التى نقلت من مسماها اللغوى ألى غيره بعرف الاستعمال وذلك العرف قسمان

« ١ » عام كقصر الاسم على بعض مسمياته كلفظة الملك فأنها فى الأصل مأخوذة من الألوكة وهى الرسالة ثم اختص هذا الجنس ببعض

الرسل وهم رسل السماء أعنى الملائكة ، ومثلهـا لفظتا الجن والقارورة فأنهما موضوعتان لكل ما استتر عنك ولما كان مقرا للمائعات ثم اختصتا ببعض ما يستتر عن العيون و ببعض الآنية .

(ب) وخاص وهو ما كان جاريا على ألسنة العلماء من الاصطلاحات التى تخص كل علم كمواضعات النحاة والبلغاء من الرفع والنصب والقصر والأيجاز والأطناب ألى غير ذلك

(٤) الحقيقة الشرعية وهى اللفظة التى وضعها الشرع لمعنى غيرما كانت تدل عليه لغة ، وهى قسمان أسماء شرعية لاتفيد مدحا ولا ذما عند أطلاقها كالصلاة والزكاة ، ودينية تفيد مدحا أوذما كالمسلم والمؤمن والفاسق والكافر ألى غير ذلك

﴿ المبحث الثالث فى تعريف الحقيقة ﴾

الحقيقة فى اللغة فعيلة واشتقاقها من الحق وهو الثابت أى حاقة ثابتة فتكون بمعنى الفاعل أو محقوقة مثبتة فتكون بمعنى المفعول — نقلها علماء الفصاحة ألى أسناد الفعل أو مافى معناه ألى ماهو له عند المتكلم كما ستعرف ذلك بعد ، وألى الكلمة الآتى بيانها لأنها ثابتة على أصلها لا تزايله

وقد عرفوها بالمعنى الثانى بأنها الكلمة التى تفيد معنى مصطلحا عليه فى الوضع الذى وقع به التخاطب ، فقولهم ماتفيد معنى عامٌ فى المعانى العقلية والوضعية ، وقولهم مصطلحا عليه يخرج عنه المعانى العقلية كالدلالة على كون المتكلم بالحقيقة قادرا أو عالما ألى غير ذلك ، وقولهم فى الوضع الذى

وقع به التخاطب ليشمل الحقائق اللغوية والعرفية والشرعية

﴿ المبحث الرابع فى تعريف المجاز وأقسامه ﴾

المجاز مفعل واشتقاقه من الجواز وهو التعدى من قولهم جزت موضع كذا أذا تعديته لأنه أذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلى ، أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولا . وفى الاصطلاح قسمان مجاز عقلى وغيره والأول سنتكلم عليه بعد ، والثانى ضربان مفرد ومركب فالمركب سيأتى بيانه والمفرد ما أفاد معنى غير مصطلح عليه فى الوضع الذى وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثانى مع قرينة تمنع أرادة المعنى الأصلى ، فقولنا ما أفاد معنى عام فى الحقيقة والمجاز وقولنا غير مصطلح عليه لتخرج الحقيقة وقولنا فى الوضع الذى وقع فيه التخاطب ليشمل جميع أنواع المجازات لأ نا أذا قلنا أسداً وأردنا به الرجل الشجاع كان مجازا لأنه أفاد معنى غير مصطلح عليه فى الوضع الذى وقع فيه التخاطب أذ هو فى اللغة موضوع بأزاء حقيقة الحيوان المخصوص ، وكلفظة الصلاة أذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء فأنها مجاز لأنها ليست مستعملة فيما وضعت له فى اصطلاح التخاطب وأن كانت مستعملة فيما وضعت له عند أهل اللغة ، وقولنا لعلاقة بين الأول والثانى المراد بها المناسبة الخاصة التى بها يصح الأطلاق ألا ترى أنه لولا توهم كون الرجل بمنزلة الأسد فى الشجاعة وعبالة العنق والمخالب وسائر الأوصاف البادية للعيون لم يكن أطلاق اللفظ عليه مجازا بل كان وضعا

مستقلا ، وقولنا تمنع أرادة المعنى الأصلى لتخرج الكناية لجواز أرادة المعنى الأصلى فيها . وكما انقسمت الحقيقة ألى الأقسام الآنفة الذكر انقسم المجاز أيضا مثلها ؛ فالمجاز اللغوى كلفظ أسد أذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى الرجل الشجاع ؛ والعرفى العام كلفظ الجن أذا استعمله المخاطب بالعرف العام في شيء آخر مستتر غير الصنف المعروف؛ والعرفى الخاص كالفعل أذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الحدث ؛ والشرعى كلفظ الصلاة أذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء ، والعقلى نحو عيشة راضية أذ الراضى صاحبها

وينقسم اللغوى المفرد ألى مجاز مرسل واستعارة لأن العلاقة المصححة للتجوز أن كانت غير المشابهة فمجاز مرسل وألا فاستعارة

﴿ المبحث الخامس فى المجاز المرسل ﴾

المجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير التشبيه كاليد أذا استعملت فى النعمة وذلك لما جرت به العادة من صدورها عن الجارحة وبواسطتها تصل ألى المقصود بها ، ويجب أن يكون فى الكلام دلالة على رب تلك النعمة ومصدرها بنسبتها اليه ومن ثم لا تقول اقتنيت يدا ولا اتسعت اليد فى المدينة كما تقول اقتنيت نعمة وكثرت النعمة فى البلد ، وانما تقول جلت يده عندى وكثرت أياديه لدىّ أو ما شاكل هذا . وعليه قوله عليه السلام لأزواجه أسرعكنّ

أُحُوقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا لأن المقصد بسط اليد بالعطاء والبذل ، ونظير ذلك اليد إذا استعملت فى القدرة لأن أجلى مظاهرها وأحكمها فيها ألا ترى أن بها البطش والتنكيل والأخذ والقطع والرفع والوضع إلى غير ذلك من أفاعيلها التى ترشدك إلى وجوه القدرة ومكانها — ومن هذا النمط الأصبع فى قولهم لراعى الأبل إِنَّ لَهُ عَلَيْهَا إِصْبَعاً أى أثرا حسنا كما قال الراعى يصف راعياً

ضَعِيفُ العَصا بَادِي العُرُوقِ تَرَى لَهُ
عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعا

دلوا على أثر المهارة والحذق بالأصبع من قِبَل أنهما لا يظهران فى عمل اليد إلا فى حسن تصريف الأصابع وخفة رفعها ووضعها كما يظهر ذلك فى الخط والنقش وغيرهما من دقائق الصناعات ، وعلى الجملة فإن هذا الضرب من المجاز يقع على أوجه كثيرة أشهرها

«١» الجزئية بمعنى أن الشيء يتضمنه وغيره شيء آخر كإطلاق العين على الرَّبِيئَةِ لكونها [1] هى المقصودة فى كون الرجل ربيئة لأن ما عداها لا يغنى شيئا مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله ومن هذا النمط قوله تعالى قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا أى صل وقوله لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا أى لا تصل

«١» الشخص يطلع على عورات العدو فى مكان عال وهو الجاسوس

وشرط هذه العلاقة أمران «ا» أن يكون الكل مركبا تركيبا حقيقيا

«ب» أحد أمور ثلاثة أما أن يستلزم انتفاء الجزء انتفاء الكل عرفا كما فى أطلاق الرقبة أو الرأس على الأنسان دون أطلاق الظفر أو الأذن مثلا، وأما أن يكون زائد الاختصاص بالمعنى المطلوب من الكل كما فى أطلاق اليد على المعطى والعين على الربيئة، وأما أن يكون أشرف أجزائه كما فى أطلاق القافية على القصيدة فى نحو قول معن بن أوس

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فلمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

وكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي (١)

«٢» الكلية وهى كون الشيء متضمنا للشيء آخر ولغيره نحو يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ أى رءوس أناملهم

«٣» السببية وهى كون الشيء المنقول عنه سببا ومؤثرا فى شيء آخر نحو رعينا الغيث أى الكلأ

«٤» المسببية وهى كون المنقول عنه مسببا ومتأثرا من شيء آخر نحو أمطرت السماء نباتا أى ماء وقولهم فى المثل كما تَدِين تُدان يريدون كما تفعل تجازى وقوله تعالى وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا

«٥» الملزومية وهى كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر

«١» استد من السداد فى الرمى أي استقام

نحو دخلت الشمس من الكوّة أى ضوؤها

(٦) اللازمية وهى كون الشيء يلزم وجوده عند وجود شيء آخر كما فى أطلاق الحرارة على النار وأطلاق الضوء على الشمس ، والمعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك

(٧) اعتبار ما كان نحو وآتوا اليتامى [١]أموالهم سمى الذين أمرنا بايتائهم أموالهم حال البلوغ يتامى لما كانوا عليه من اليتم ، ونحوه إنّه من يأتِ ربّهُ مُجرماً سماه مجرما باعتبار الدنيا

(٨) اعتبار ما يؤول اليه نحو إنّى أرانى أعصرُ خمرًا أي عنبا يؤول عصيره الى الخمرية ونحو ولا يلدُوا إلاّ فاجرًا كفّارًا أى صائرا الى الكفر والفجور

(٩) الحالّية وهى كون الشيء حالاً فى غيره نحو ففى رحمةِ اللهِ هُمْ فيها خالِدُونَ أى فى الجنة التى هى محل الرحمة

(١٠) المحلّية وهى كون الشيء محلا لآخر نحو جرى الميزاب [٢] أي

«١» اليتيم من الانسان صغير مات أبوه ومن سائر الحيوان رضيع ماتت أمه ، وشرط هذه العلاقة عدم الاتصاف حال التجوز بضد الصفة التى كان الشيء متصفا بها فلا يطلق على الشيخ طفل ولا على الثوب الاسود أبيض باعتبار ما كان

«٢» الميزاب جمعه ميازيب وهى الانابيب توضع فوق سقف البيت لتصريف ماء المطر ونحوه

الماء ونحو فَلْيَدْعُ نادِيَهُ أى أهل ناديه ، ومنها التعبير باليد عن القدرة نحو بِيَدِهِ المُلْكُ وبالقلب عن العقل نحو لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وبالأفواه عن الألسن نحو يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ

(١١) الآلية نحو وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ أى بلغة قومه ونحوه واجعلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ أى ذكرا جميلا وثناء حسنا

(١٢) العموم وهو كون الشيء شاملا لكثيرين كقوله تعالى أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ أى محمدا عليه السلام

(١٣) الخصوص كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة

(١٤) البدلية نحو فَاِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ أى أديتم ومنه قولهم فى ملاك فلان الف دينار أى متاع يساوى ألفا

(١٥) المبدلية كما يقال أكلت دما ان لم أفعل كذا يراد دية كما قال

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ

بَعِيدَةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ(١)

(١٦) المجاورة كتسمية القربة راوية مع أن الراوية الدابة التى يستقى

---

(١) راعه خوفه والقرط جمعه قرطة بكسر ففتحتين وهو ما يعلق فى شحمة الاذن وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول عنقها فالقائل يتوعد زوجته بالزواج بأخرى حسنة جميلة

عليها ، وكأطلاق الثياب وأرادة النفس في قول عنترة

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ

لَيْسَ الكَرِيمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ

وقد تكون المجاورة في الذكر وتسمى المشاكلة نحو اطبُخُوا لى جُبَّةً وقميصاً

«١٧» الدالّية نحو فهمت الكتاب أي معناه كما قال المتنبي

فهِمْتُ الكِتابَ أَبَرَّ الكُتُبْ ... فَسَمْعاً لِأَمْرِ أَمِيرِ العَرَبْ

«١٨» المدلولية نحو قرأت معناه مشفوعا بتقبيل يراد قرأت لفظه

«١٩» أقامة صيغة مقام أخرى ويندرج تحتها أنواع «ا» أطلاق المصدر على الفاعل نحو فإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ أو على المفعول نحو ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ أي معلومه «ب» أطلاق الفاعل أو المفعول على المصدر نحو لَيْسَ لِوَقْعَتِها كاذِبَةٌ أي تكذيب ونحو بِأَيِّكُمُ المَفْتُونُ أي الفتنة «ج» أطلاق فاعل على مفعول نحو مِنْ ماءٍ دافِقٍ أي مدفوق ونحو لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ أي لا معصوم «د» عكسه نحو إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا أي آتيا ونحو حِجاباً مَسْتُوراً أي ساترا . ويعبر عن هذه العلاقة بالتعلق الاشتقاقي

(تنبيهات) الأول ليس المقصود من العلاقة ألا بيان الارتباط وتحققه

فالفطن يعرف ما يناسب كل مقام ، فيصح أن تعتبر فى أطلاق الدال على المدلول علاقة المجاورة بأن تتخيل أن الدال مجاور للمدلول، أو علاقة الحالية نظرا الى أن الدال محل للمدلول كما يقولون الألفاظ قوالب للمعانى ، أو علاقة السببية والمسببية أو نحو ذلك حسب ما يهديك اليه الذوق ويرشدك اليه الوجدان الصادق

(الثانى) قد يكون اللفظ الواحد صالحا لأن يكون بالنظر الى معنى واحد مجازاً مرسلا واستعارة باعتبارين فأذا جاز فى الكلمة مراعاة علاقتين أو أكثر فالمعول عليه هو ما لاحظه المتكلم فأن لم يعلم مقصده صح للمخاطب أن يعتبر ما يشاء ولكن بعد أن ينعم النظر ويرجح أكثرها قوة وأشدها ملاءمة للغرض ، ومن ثمة ترجح علاقة المشابهة لقوتها والمشابهة الحقيقية على الصورية ، فمثلا المِشْفَر الذى هو فى الأصل اسم لأحدى شفتى البعير أذا أطلق على شفة الأنسان فأن لوحظ فى اطلاقه عليها المشابهة فى الغلظ فهو استعارة وأن لوحظ أنه من أطلاق اسم المقيد على المطلق كان مجازا مرسلا

«الثالث» قسّم الأمام عبد القاهر المجاز ألى قسمين خال عن الفائدة ومفيد ، فالخالى عن الفائدة ما استعمل فى شىء بقيد مع كونه موضوعا فى أصل اللغة لذلك الشىء بقيد آخر من غير قصد التشبيه كالمرسن الذى أصله للحيوان والشفة التى أصلها للأنسان والمشفر الذى أصله للبعير والجحفلة التى اصل وضعها للفرس أذا استعمل شىء منها فى غير الجنس

الذي وضعت له كقول العجاج وفاحما ومرسنا مسرّجا يريد انفا كالسراج

وقول الآخر

فَبِتْنا جلُوساً لَدَي مُهْرِنا ــ نُنَزِّعُ مِنْ شَفَتَيْهِ الصُّفَارا (١)

أما المفيد فما عدا هذا الضرب والاستعارة كما أذا قصد التشبيه فى الأمثلة الماضية نحو قولهم فى موضع الذم أنه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر فانه بمنزلة أن يقال كأن شفته فى الغلظ مشفر البعير وعليه قول الفرزدق

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِياً عَرَفْتَ قَرَابَتِي ــ ولٰكِنَّ زِنْجِيٌّ غَلِيظُ المشافِرِ

يريد ولكنك زنجى كأنه جمل لا يسمو فكره الى معرفة شرفى ،

وقول الحطيئة

قَرَوْا جارَكَ العَيْمانَ لما جَفَوْتَهُ ــ وقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرابِ مَشافِرُهُ (٢)

قاله يخاطب الزبرقان بن بدر ويصفه بسوء الحال واضطراب الأمر ليزيد فى التهكم به ويؤكد ما عناه من ذمه بأنه يضيع الضيف ويدعه فريسة التعاسة والشقاء وقد عنى بالجار نفسه

﴿ المبحث السادس فى الاستعارة ﴾

الاستعارة تطلق تارة على فعل المتكلم أى استعمال المشبه به فى المشبه

---

(١) الصفار يطلق على ما يبقى فى أصول أسنان الدابة من تبن ونحوه

(٢) العيمة شهوة اللبن والعيمان العطشان الى اللبن أشد العطش لذهاب أبله

وتكون حينئذ بمعنى المصدر ويسمى المشبه به مستعارا منه والمشبه مستعارا له واللفظ مستعارا . وتطلق أخرى على اللفظ المستعمل فيما علاقته تشبيه معناه بما وضع له لعلاقة مع قرينة صارفة عن أرادة المعنى الأصلي نحو رأيت أسدا تعنى رجلا شجاعا . وبحرا تريد جوادا . وشمسا تريد إنسانا مضيء الوجه متهللا ، وسللت سيفا على العدو تقصد رجلا ماضيا فى نصرتك — فقد استعرت اسم الأسد للرجل فأفدت بهذه الاستعارة المبالغة فى وصفه بالشجاعة وأيقاعك منه فى نفس السامع صورة الأسد فى بطشه وأقدامه وشدته ألى غير ذلك من المعانى المركوزة فى طبيعته الدالة على الجرأة وأفدت باستعارة البحر له سعته فى الجود وفيض الكف ، وباستعارة الشمس له أعطاءه ما لها من البهاء والحسن الذى يملأ العيون ويبهر النواظر وباستعارة السيف له أعطاءه ماله من الحدة والمضاء . ولابد فيها من تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به فلا يذكر وجه الشبه ولا أداته لا لفظا ولا تقديرا ، فان ذكرا أو أحدهما كان تشبيها لا استعارة ، ولا يجمع فيها بين طرفى التشبيه على وجه ينبئ عن التشبيه بأن يكون المشبه به خبرا عن المشبه أو فى حكم الخبر كما فى بابى كان وأن والمفعول الثانى فى باب ظن أو حالا أو صفة أو مضافا كلجين الماء أو مبينا بالمشبه صريحا أو ضمنا كقوله تعالى حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ فأنه قد بين الخيط الأبيض بالفجر صريحا وفى ضمنه تبيين الخيط الاسود

بسواد الليل ، فكل هذا تشبيه محذوف الأداة

قال الأمام عبد القاهر أذا دلت القرينة على تشبيه شيء بشيء فهذا على ضربين . أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته كقولك عنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحرا وأنت تريد الممدوح وهذا تقول فيه أنه استعارة ولا تحاشي البتة

والثاني أن يكون المشبه مذكورا أو مقدرا وحينئذ فالمشبه به أن كان خبرا أو في حكم الخبر فالوجه أن هذا يسمى تشبيها ولا يسمى استعارة لأن المشبه به أذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعا لأثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه فاذا قلت زيد أسد فقد وضعت كلامك في الظاهر لأثبات معنى الأسد لزيد وأذا امتنع أثبات ذلك له على الحقيقة كان لأثبات شبه من الأسد له فيكون اجتلابه لأثبات التشبيه فيكون خليقا بأن يسمى تشبيها أذ كان أنما جاء ليفيده بخلاف الحالة الأولى فان المشبه فيها لم يجتلب لأثبات معناه للشيء كما أذا قلت جاءني أسد ورأيت أسدا فأن الكلام في ذلك موضوع لأثبات المجيء منك واقعا من الأسد والرؤية واقعة منك عليه لا لأثبات معنى الأسد لشيء فلم يكن ذكر المشبه به لأثبات التشبيه وصار قصد التشبيه أمرا مطويا في النفس مكنونا في الضمير لا يعلم الا بعد الرجوع الى شيء من النظر والتأمل — وأذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن نسمي أحداهما تشبيها والأخرى استعارة انتهى بتصرف

واختصار كثير

والتشبيه الذى يجب أن يتناسى هو الذى من أجله وقعت الاستعارة لا كل تشبيه فليس بمحذور أن تقول رأيت اسدا فى الحمّام مثل الفيل فى الضخامة ، ولا جاورت بحرا كأنه متلاطم الأمواج

ومن اشتراط ادعاء دخول المشبه فى المشبه به يتضح لك أنه لابد أن يكون المشبه به كليا كاسم الجنس وعلم الجنس ؛ فلا تتأتى الاستعارة فى الأعلام الشخصية لعدم تصور الشركة فيها حتى يمكن ادعاء دخول شىء فى حقائقها ألا أذا تضمنت أوصافا بها يصح أن تعتبر كأنها أجناس كتضمن حاتم الجود ومادر البخل وقُسّ الفصاحة وباقل العِيّ والفهاهة فتقول رأيت اليوم حاتما وقسا وتدعى كلية حاتم وقس ودخول المشبه فى جنس الجواد والفصيح حتى كأن حاتما موضوع لمن اتصف بالجود سواء أكان هو ذلك الطائى المشهور أم غيره ؛ وأن كان أطلاقه على المعروف حقيقة وعلى غيره ادعاء ، وكل ما كان من هذا الضرب فسبيله هذه السبيل

المبحث السابع فى الاستعارة أهى مجاز عقلى أم لغوى

يرى الجمهور أن الاستعارة مجاز لغوى وأيده الأمام فى أسرار البلاغه وحجتهم على ذلك أنا أذا أجرينا اسم الأسد على الرجل الشجاع فأنا لا ندعى له صورة الأسد وشكله وعبالة عنقه ومخالبه ونحو ذلك من الأوصاف الظاهرة التى تبدو للعيون وتشاهد بالحواس وانما ندعى له ذلك

من أجل اختصاصه بالشجاعة التى هى من أخص أوصاف الأسد وأمكنها ومن الجلى الواضح أن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها بل لها فى مثل تلك الجثة وهاتيك الصورة والهيئة ولو كانت وضعته للشجاعة وحدها لكان صفة لا اسما ولكان كل شىء يبلغ فى شجاعته إلى هذا الحد جديرا بهذا الاسم على جهة الحقيقة لا على طريق التشبيه والتأويل

ويرى آخرون أنها مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى واختاره الإمام فى دلائل الإعجاز ودليلهم على ذلك أنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر تستحق هذا الاسم ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة فى إطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه ، وإذا كان نقل الاسم تبعا لنقل المعنى كان مستعملا فيما وضع له ومن ثمة صح التعجب فى قول ابن العميد يصف غلاما له جميلا

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ ... نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ ... شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

كما صح النهى عنه فى قول الحسن بن طباطبا

يَا مَنْ حَكَى الْمَاءَ فَرْطُ رِقَّتِهِ ... وَقَلْبُهُ فِي قَسَاوَةِ الْحَجَرِ

يَالَيْتَ حَظِّي كَحَظِّ ثَوْبِكَ مِنْ ... جِسْمِكَ يَا وَاحِدًا مِنَ الْبَشَرِ

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر (١)

فلولا أن ابن العميد ادعى لغلامه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب وجه أذ ليس ببدع ولا منكر أن يظل أنسان حسن الوجه أنسانا ويقيه وهج الشمس بشخصه ، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قمرا حقيقيا لما كان للنهي عن التعجب معنى لأن الكتان أنما يسرع أليه البلى حين يلابس القمر الحقيقي لا أنسانا بلغ الغاية فى الحسن

وأنت اذا أنعمت النظر رأيت أن حجة الجمهور دامغة وأنها بالقبول أحرى وأجدر — بيان هذا أن ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لايخرجه عن كونه مستعملا فى غير ما وضع له ؛ وأما صحة التعجب والنهي عنه فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه حتى تتم المبالغة أذ من الواضح أن أسدا فى قولك رأيت أسدا مستعمل فى الشجاع والمعنى الموضوع له الأسد الحقيقي لا الادعائي فكأنك ادعيت أن للأسد صورتين أحداهما متعارفة وهي التى لها الأقدام والبطش فى الهيئة المعروفة للحيوان المعروف، وثانيتهما غير متعارفة وهي التى لها الجرأة والقوة لكن لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى على النحو الذى ادعاه المتنبي فى عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حيث يقول

نحن ركب ملجن فى زى ناس ... فوق طير لها شخوص الجمال

«١» البلى من بلى الثوب يبلى فسد والغلالة ثوب صغير ضيق الكمين كالقميص

مستشهدا لدعواه بما يتخيل عرفا من نحو حكمهم اذا رأوا انسانا لا يقاومه أحد أنه ليس بانسان وانما هو أسد أوهو أسد فى صورة انسان

والقرينةالتى تنصب فى الكلام تنفى المتعارف الذى يسبق الى الفهم وهو المعنى الأول وتعين ما أنت تستعمل له الأسد وهو ثانى المعنيين

(تنبيه) الفرق بين الكذب والاستعارة من جهتين (ا) بناءالدعوى فيها على التأويل (ب) نصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها، أما الكاذب فيتبرأ من التأويل ويركب كل صعب وذلول لترويج ما يدعيه وايهام أن ليس الحق ألا مايقول، ولا ينصب دليلا على خلاف ما يزعم وعلى هذا فليس ببدع أن تقع فى كلامه تعالى وكلام رسوله

المبحث الثامن فى قرينة الاستعارة

الاستعارة نوع من المجاز فلا بد لها من قرينة تفصح عن الغرض وترشد الى المقصود ويمتنع معها اجراء الكلام على حقيقته ففى قولك رأيت أسدا يرمى بالسهام كلمة يرمى تدل على المراد بالأسد شجاع يفتك بالأقران، وهى أما حالية تفهم من سياق الحديث كما قيل رُبَّ إشارةٍ أبْلغُ مِنْ عِبارَةٍ واما مقالية سواء أكانت معنى واحداً كما تقدمفى كلمة يرمى أوأكثر كما فى قول بعض العرب

فإنْ تَعافُوا الْعدْلَ والإيمانا ۰ فإنَّ فى أيمانِنا نيرانا

وزررت القميص عليه شددت أزراره

يريد أنكم أن كرهتم العدل والأنصاف وملتم الى الجور والخلاف فأن فى أيدينا سيوفا تلمع كشعل النيران نحاربكم بها ونلجئكم الى الطاعة فتعلق قوله تعافوا بكل من العدل والايمان قرينة على ان الغرض من النيران السيوف أذ هو دليل على ان جواب هذا الشرط يقدر بنحو تحاربوا أو تلجئوا الى الطاعة او معانى ملتئمة ارتبط بعضها ببعض بحيث تكون كلها قرينة لا كل واحد منها كما فى قول البحترى

وَصاعِقَةٍ مِنْ نَصلهِ تَنكفى بها

على أرؤُسِ الأقرانِ خَمسُ سحائبِ

فأنك اذا نظرت الى ما صنع رأيته قد استعار السحائب لأنامل يمين الممدوح كما هى سنتهم فى تشبيه الجواد بالبحر الخضم طورا وبالسحاب الهطال طورا آخر ، وتحيل لما اراد فذكر ان هناك صاعقة وانها من نصل سيفه وأنها على ارؤس الأقران تفتك بهم وأنها خمس وهى عدد جميع أنامل اليد ، فاستبان للسامع غرضه واتضح له مقصده

المبحث التاسع فى انقسام الاستعارة باعتبار الطرفين الى عنادية ووفاقية

ان أمكن اجتماع طرفى الاستعارة وهما المستعار منه والمستعار له فى شىء سميت استعارة وفاقية لما بين طرفيها من الوفاق وأن امتنع اجتماع طرفيها سميت عنادية لتعاند الطرفين وقد اجتمعتا فى قوله تعالى أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فأَحْيَيْناهُ أى من كان ضالا فهديناه ، استعير الأحياء من معناه

الحقيق وهو جعل الشيء حيا للهداية التي هي الدلالة على طريق يوصل ألى المطلوب ، والأحياء والهداية مما تمكن اجتماعهما في شيء واحد فهي وفاقية ، واستعير الموت للضلال ، وهما لا يمكن اجتماعهما أذ لا يوصف الميت بالضلال ، ومن الثانية ما وضع فيها التشبيه على ترك الاعتداد بالصفة وأن كانت موجودة لأنها لما خلت عن ثمرتها والمقصود منها لم تستحق شرف الوجود فكأنها معدومة كما يستعار اسم المعدوم ، أو لاشيء للرجل الموجود أذا لم تنتج منه فائدة ولم يحل منه بطائل من قبل أنه شارك المعدوم في عدم غنائه ونفعه كما قال أبو تمام

هَبْ مَنْ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ حِجابَهُ ما بالُ لَا شَيْءٌ عَلَيْهِ حِجابُ

ومنها أيضاً الاستعارة التهكمية والتمليحية وهما ما نزل فيهما التضاد منزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء أو لأجل الملاحة والظرافة كما في قوله تعالى فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ استعيرت البشارة وهي الخبر بما يسر وتقر به العين للأنذار الذي هو ضدها بأدخاله في جنس البشارة هزؤا وسخرية بهم ، وكما في كلمة نعاتبه في قول بشار

إِذَا المَلِكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَتَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهُ

وقول عمرو بن معديكرب تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ وقولهم وما ثَوَابُهُ إِلاَّ السَّيْفُ

المبحث العاشر فى انقسامها باعتبار الجامع ألى داخل وخارج

تنقسم الاستعارة من جهة الجامع وهو الوجه الذى يقصد اشتراك الطرفين فيه ألى قسمين

(١) ما يكون الجامع فيها داخلا فى مفهوم الطرفين كاستعارة النثر لأسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول أبى الطيب

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ نَثْرَةً
كما نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ (١)

أصل النثر أن تجمع أشياء فى كف أو وعاء ثم تفرق دفعة واحدة بلا ترتيب ولا نظام ، استعاره لما يتضمنه ذلك التفرق على تلك الصفة من تساقط المنهزمين بلا ترتيب ولا نظام

(ب) ما لا يكون داخلا فى مفهومهما كقولك رأيت شمساً ووردت بحراً وأنت تريد أنساناً يتهلل وجهه ، وكريماً جواداً ، فالجامع وهو التلألؤ والجود غير داخل فى مفهومهما

المبحث الحادى عشر فى انقسامها باعتباره أيضاً الى عامية وخاصية

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع أيضاً ألى عامية مبتذلة لاكتها الألسن من أجل أنها لا تحتاج ألى فضل تفكر ولا ألى كثير تأمل وقد تقدم لك كثير منها كقولهم وردت بحراً ورأيت شمساً ، وخاصية غريبة لا يظفر

---

(١) الأحيدب جبل

بها ولا يصل ألى اقتطاف ثمـارها الا الأفذاذ من ذوى الفطر السليمة والألمعية القويمة كقول طُفَيل الغنوى

وَجعلتُ كُورِى فَوْقَ ناجيَةٍ يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنامِها الرَّحلُ(١)

انظر فيما قال تر عجباً عجبا بألا تراه استعار الاقتيات لأذهاب الرحل شحم السنام ، وساعده التوفيق فيما عناه من قِبل أن كان الشحم مما يصلح للقوت وأن الرحل أبداً ينتقص منه ويذيبه — والغرابة على ضروب منها

(١) أن تكون فى الشبه نفسه كما فى تشبيه هيئة العنان فى موقعه من قربوس السرج ممتداً ألى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب فى موقعه من ركبتي المحتبي ممتداً الى جانبي ظهره فى قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له بالأدب

عوّدْتـهُ فِيما أزُورُ حبـائِبى إهمالَهُ وكذاكَ كُلُّ مُخاطِرِ

وإذا احْتَبى قَرَبوسُهُ بِعنانِهِ

عَلَكَ الشَّكيمَ ألى انْصرافِ الزائِرِ(٢)

استعار الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان

«١» الكور الرحل والناجية الناقة السريعة تنجو براكبها

«٢» القربوس مقدم السرج والعنان سير اللجام الذي تمسك به الدابة والعلك المضغ والشكيم والشكيمة الحديدة المعترضة فى فم الفرس وعنى بالزائر نفسه دلالة على كمال تأدب فرسه حيث يقف مكانه وأن طال مكثه

فى قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه

(ب) أن تحصل بتصرف فى الاستعارة العامية كما فى قول ابن المعتز

سالتْ عليهِ شعابُ الحيِّ حينَ دَعا أنصارَهُ بوُجُوهٍ كالدَّنانيرِ

أراد أن الممدوح مطاع فى حيه أذا دعاهم لبوا نداءه زرافات ووحدانا فهو لا يدعوهم لخطب ألا أتوه وازدحموا عليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من هنا وهنالك وتنصب من جميع النواحي حتى يغص بها الوادى — وهذا تشبيه معروف لكنه تصرف فيه بأن أسند الفعل الى الشعاب دون الأنصار أو وجوههم وعدى الفعل الى ضمير الممدوح بعلى فأفاده اللطف والغرابة من حيث أبان به أن الشعاب امتلأت من الرجال وغصت بهم من كل ناحية وجانب

(ج) أن تحصل بالجمع بين عدة استعارات يلحق فيها الشكل بالشكل كقول امرئ القيس

فقلْتُ لهُ لماَّ تَمطَّى بِصلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجازًا وناء بِكَلْكَلِ

أراد وصف الليل بالطول فاستعار له اسم الصلب وجعله متمطيا لما هو مشاهد من أن كل ذي صلب يزيد طوله شيئا ما عند التمطى ، ثم ثنى واستعار الأعجاز لثقله وبطء سيره وبالغ فى ذلك حتى جعل بعضها يردف بعضا ، ثم ثلث فاستعار الكلكل لمعظم الليل ووسطه أخذا له من كلكل البعير وهو ما يعتمد عليه اذا برك وزاده مبالغة بأن جعله ينوء ويثقل لما فى

الليل من التعب والنصب على كل قلب ساهر، وبذا تم له ما أراد من تصوير الليل بصورة البعير على أبلغ وجه وأدقه

﴿ المبحث الثانى عشر فى انقسامها باعتبار الطرفين والجامع ﴾

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع الى أقسام ستة

(١) استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى كقوله تعالى وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ (١) يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ الموجان حركة الماء استعير للاضطراب والاختلاط الناشئين عن الحيرة والجامع بينهما الحركة الشديدة

(٢) استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى نحو وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ المستعار منه كشط الجلد وازالته عن الشاة ونحوها والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظله وهما حسيان والجامع بينهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر ففى الأول ترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وازالته وفى الثانى ترتب ظهور الظلمة على كشف ضوء النهار وازالته (٢)

(٣) استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف بعضه حسى وبعضه عقلى كما تقول رأيت شمسا وأنت تريد انسانا حسن الطلعة جميل المحيا نابه الذكر رفيع القدر

«١» الضمير يعود للانس والجن أو ليأجوج ومأجوج «٢» لأن الظلمة هى الأصل والنور طارئ عليها يسترها بضوئه فعند غروب الشمس يسلخ النهار من الليل وكأنه يكشط ويزال

(٤) استعارة معقول لمعقول نحو مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا فالمستعار منه الرقاد أى النوم والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والجميع عقلى ونظيره أيضا قوله عز اسمه تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ استعير الغيظ للحالة المتوهمة للنار لأرادة الانتقام بلسان الحال من العصاة

(٥) استعارة محسوس لمعقول كقوله تعالى فاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ استعير صدع الزجاجة وهو كسرها وهذا حسى لتبليغ الرسالة بجامع التأثير وهما عقليان ، والتأثير المقصود هنا نوع مخصوص لا يعود معه المؤثر فيه إلى حالته الأولى وهو فى كسر الزجاجة أقوى وأبين فكأنه قيل وضح الأمر وضوحا لا يزول أثره كما لا يلتئم صدع الزجاجة ، وقوله فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ استعير النبذ وهو القاء الشىء باليد للأمر المتناسى حاله والجامع عدم العناية بالتحفظ

(٦) استعارة معقول لمحسوس كقوله تعالى إِنَّا لَمَّا طَغَى الماء المستعار له هو ظهور الماء وكثرته وذلك حسى والمستعار منه التكبر والعلو والجامع بينهما الخروج عن حد الاعتدال والاستعلاء المفرط وهما عقليان

(تنبيه) علمت مما أسلفناه أن الطرفين إما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسى والمستعار له عقلى أو بالعكس فهذه أقسام أربعة والجامع فى الثلاثة الأخيرة لا يكون الا عقليا أما القسم الأول فصوره ثلاث لأن الجامع

فيه أما حسي أو عقلي أو مختلط منها

المبحث الثالث عشر في تقسيمها الى مصرحة ومكنية

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر المشبه به أو عدم ذكره الى قسمين

« ٢ » مصرحة أو مصرح بها وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به كقول الوأواء الدمشقي

فأمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ وسَقَتْ
وَرْداً وَعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ(١)

شبه الدموع باللؤلؤ والعيون بالنرجس والخدود بالورد والأنامل بالعناب والأسنان بالبرد، ومثله قول الحريري

فَزَحْزَحَتْ شَفَقاً غَشَّى سَنَا قَمَرٍ ... وَسَاقَطَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ خَاتَمٍ عَطِرِ

شبه الخمار بالشفق لحمرته والوجه بالقمر والثنايا باللؤلؤ والفم بالخاتم

(ب) مكنية وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه كقوله تعالى وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ استعير الطائر للذل ثم حذف ودل عليه بشيء من لوازمه وهي الجناح مبالغة في التذلل والتواضع لهما ، ونحوه قول لبيد

---

(١) النرجس من الرياحين تشبه به العيون وأصله بصل صغار وورقه شبيه بورق الكراث وله ساق جوفاء ليس عليها ورق وعليها زهر أبيض مستدير في وسطه شيء لونه أصفر والعناب شجر حبه كحب الزيتون أحمر اللون حلو

وغداةِ ريحٍ قد كشفتُ وقرّةٍ إذ أصبحتْ بيدِ الشّمالِ زمامُها(١)

جعل للشمال يدا وليس هناك أمر ثابت فى الحس أو فى العقل تجرى اليد عليه كأجراء الاسد على الرجل الشجاع فيما سبق ، لكن لما شبه الشمال لتصريفها القرة على حكم طبيعتها بالانسان المصرف حسب أرادته لما زمامه بيده — أثبت لها يدا على سبيل التخييل مبالغة فى تشبيهها به ، ونظير ذلك الزمام فانه استعير للقرة كما استعيرت اليد للشمال فجعل للقرة زماما ليكون أتم فى أثباتها مصرفة كما جعل للشمال يدا ليكون أبلغ فى تصييرها متصرفة فوق المبالغة حقها من الطرفين ، ومن هذا تعلم أن الضمير فى أصبحت وفى زمامها للقرة كذا فى الايضاح بتصرف، ونحوه يَنقُضُونَ عَهْدَ الله قال فى الكشاف شاع استعمال النقض فى أبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من أثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه، ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس فقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما أسد وبحر انتهى . وأثبات اللازم كالجناح للذل واليد للشمال والزمام للقرة والنقض للعهد يسمى استعارة تخييلية وهى قرينة الاستعارة المكنية ،

«٢» القرة والقر البرد يريد كم من غداة تهب فيها ريح الشمال الباردة كففت عاديتها بنحر الجزر واطعام الناس

وسمى استعارة لانه استعير ذلك الاثبات من المشبه به للمشبه ، وتخييلية لأن اثباته للمشبه خيل اتحاده معه ، وهو حقيقة لاستعماله فيما وضع له ألا ترى أن الجناح استعمل فى حقيقته وأنما التجوز فى أثباته للذل فهو مجاز عقلى فى الاثبات كما سيأتى لا مجاز لغوى وهكذا يقال فى نظائره

ومن حيث أن الاستعارة التخييلية قرينة المكنية فهى لازمة لها لافتراقها اذ لا استعارة بدون قرينة ، هذا أذا كان لازم المشبه به فى المكنية واحدا فان تعددت اللوازم جعل أقواها وأبينها لزوما قرينة لها وما عداه ترشيحا وتقوية لها كما ستعرف ذلك بعد

المبحث الرابع عشر فى انقسامها الى أصلية وتبعية ، والكلام على قرينتها

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ الى قسمين

(١) أصلية وهى ما يكون اللفظ المستعار فيها اسم جنس وهو الذات الصالحة لأن تصدق على كثيرين ولو تأويلا من غير اعتبار وصف من الأوصاف ، فيدخل فى ذلك نحو أسد وقتل أذا استعيرا للشجاع والضرب الشديد ونحو حاتم من قولك رأيت اليوم حاتما ، ومثله كل ما شاكله من الاعلام التى اشتهرت بوصفية ، ويخرج بقولنا الصالحة للصدق على كثيرين الاعلام التى لم تشتهر بصفة والمضمرات وأسماء الاشارة ، وبقولنا من غير اعتبار وصف من الأوصاف المشتقات كفاهم فانه وضع لذات متصفة بالفهم

وأجراء الاستعارة أن تقول شبه الرجل الشجاع بالاسد بجامع الشجاعة فى كل واستعير الاسد للشجاع استعارة تصريحية أصلية ، وشبه

الرجل الكريم بحاتم بجامع الكرم في كل واستعير حاتم للكريم استعارة تصريحية أصلية

(ب) تبعية وهي مالم يكن المستعار فيها اسم جنس كالفعل وما أشبهه من اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل واسم الزمان والمكان واسم الآلة، ونظيرهما الحرف فالاستعارة في الفعل كقولهم نطقت الحال بكذا، وقولهم أخبرتني أسارير وجهه بما في ضميره ، وقولهم كلمتني عيناه بما يحوى قلبه

وأجراء الاستعارة في مثل ذلك أن تقول شبهت الدلالة الواضحة والأمارات التي يعرف بها الشيء بالنطق والقدر المشترك بينهما أيضاح المعنى وأيصاله الى الذهن ثم ادعى ان الدلالة الواضحة فرد من أفراد النطق فاستعير النطق لها ثم اشتق من النطق المستعار بمعنى الدلالة الواضحة نطق بمعنى دل دلالة واضحة وهكذا يقال فيما بعده ونحوه، قوله عز اسمه يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا شبه تزيين الأرض بالنبات ذى الخضرة والنضرة بالأحياء بجامع الحسن أو النفع في كل واستعير من الأحياء بمعنى التزيين يحي بمعنى يزين استعارة تبعية

هذا أذا كان التجوز في الفعل باعتبار حدثه فأن كان باعتبار زمانه كان التغاير بين المصدرين باعتبار القيدين نحو وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أي ينادي فيقال شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق

وقوعهما ثم استعير لفظ النداء فى الماضى للنداء فى المستقبل واشتق منه نادى بمعنى ينادى والاستعارة فى اسم المكان كقوله عز وعلا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا المرقد اسم مكان الرقاد استعير للقبر استعارة تبعية بعد أن استعير الرقاد للموت ، فأجراء الاستعارة فيه أن تقول شبه الموت بالرقاد بجامع خفاء الأثر فى كل ثم اشتق من الرقاد مرقد بمعنى مكان الموت وهو القبر استعارة تبعية ، أما أن قدر المرقد مصدرا استعير للموت فالاستعارة فيه أصلية ، والاستعارة فى الحرف كقوله تعالى فالتقطه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عدوًّا وحَزَناً شبهت العداوة والحزن بالمحبة والتبنى اللذين هما العلة الغائية الالتقاط بجامع مطلق الترتب ثم استعيرت اللام من المشبه به للمشبه فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى الحروف فاستعيرت اللام الموضوعة لكل جزئى من جزئيات العلة الغائية وهى المحبة والتبنى اللام التى تدل على العداوة والحزن استعارة تصريحية تبعية

وإلى هذا يشير قول الزمخشرى ، معنى التعليل فى اللام وارد على طريق المجاز لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبنى ، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله ، ثم قال وهذه اللام حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد انتهى

ومثله قوله عز وجل وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذُوعِ النَّخْلِ شبه مطلق

استعلاء بطلق ظرفية بجامع التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكلين للجزئيات التى هى معانى الحروف فاستعير لفظ فى الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفية لمعنى على الموضوع للاستعلاء على سبيل الاستعارة التبعية

ومدار قرينة الاستعارة التبعية فى الافعال والصفات المشتقة منها على نسبتها الى الفاعل كما تقدم فى نطقت الحال بكذا ، أو الى المفعول الاول كما يقال فلان قتل الملوم بعد خفضها ورفع المجد بعد انخفاضه ، وكقول ابن المعتز

جُمِعَ الحَقُّ لنا فى إمامٍ   قتلَ البُخلَ وأحيا السَّماحا

فالذى دل على استعارة قتل وأحيا انما هو اسنادهما الى البخل والسماح اذ لو قال قتل الأعداء وأحيا الأحباء لم يكن هنالك سبيل للاستعارة فيهما ، أو الى المفعول الثانى كقول القطامى

لم تَلْقَ قوماً هُمُ شرٌّ لإخوتِهمْ   مِنّا عشيةَ يجرى بالدَّمِ الوادى

نَقْريهمُ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقُدُّ بها   ما كانَ خاطَ عليهمْ كُلُّ زَرّادِ (١)

فاسناد القرى الى اللهذميات قرينة على أن نقريهم استعارة ، أو الى المفعولين الاول والثانى كقول الحريرى

وأقرِ المسامعَ إما نطقتَ   بياناً يقودُ الحَرُونَ الشَّمُوسا (٢)

«١» نقريهم من قريت الضيف واللهذم من الأسنة القاطع واللهذميات منسوبة اليها والقد القطع وضمن خاط معنى قد فعداه بعلى وزرد الدرع وسردها نسجها

(٢) الحرون من الخيل الذى لا يسهل قياده والشموس منها ما يمنع ظهره من الركوب

أو الى المجرور نحو فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أذ ذكر العذاب دليل على أن بشر استعارة تبعية تهكمية

« تنبيهان » الأول كما تكون المصرحة أصلية وتبعية تكون المكنية كذلك .

« الثاني » أنما سميت الاستعارة في القسم الأول أصلية لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر يعتبر أولا كما سميت في القسم الثاني تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى أذ هي في المشتقات تابعة للمصدر ، كما أن معاني الحروف جزئية لاتتصور الاستعارة فيها ألا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية ليتأتى كونها مشبها ومشبهاً بها أو محكوماً عليها أو بها فلا بد من أجراء التشبيه أولا في متعلق معاني الحروف ثم تتبعها الاستعارة في المعاني الجزئية

﴿ المبحث الخامس عشر في تقسيمها الى مرشحة ومجردة ومطلقة ﴾

تنقسم الاستعارة باعتبار اقترانها بما يلائم المستعار منه أو المستعار له أوعدم اقترانها بما يلائم أحدهما الى ثلاثة أقسام مرشحة ومجردة ومطلقة

(١) فالمرشحة هي التي تقرن بما يلائم المستعار منه كما تقول رأيت أسداً دامي الأنياب طويل البراثن ، وكما قال كُثَيِّر

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضِرْ
ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهْوَ لِلْقَلْبِ جَارِحُ

يريد أنها رمته بسهم نظرها الفاتك الذي ريشه الكحل فجرحت

قلبه ولم تضر ظواهر جلده ، فاستعار السهم للنظر والقدر المشترك بينهما التأثر من كل منهما ثم رشح الاستعارة وقواها بذكر الريش الملائم للسهم ، وكما قال عز اسمه أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ استعير الاشتراء للاختيار ثم قفى بالربح والتجارة اللذين هما من متعلقات الاشتراء تقوية للاستعارة

(ب) والمجردة هي التي تقرن بما يلائم المستعار له كما تقول رأيت أسداً يتكلم ، ولقيت بحرا يضحك ، وكما قال كثير يمدح عبد العزيز ابن مروان

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ (١)

استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه من كل ما يكره والقرينة تتمة البيت ، ثم وصفه بالغمر الذي هو وصف للمعروف لا للرداء على سبيل التجريد ، وقد يجتمع الترشيح والتجريد كما في قول زهير يمدح حصين بن ضمضم

---

١ الغمر من غمر الماء غمارة كثر يريد أنه كثير العطاء سخي وغلقت حصلت للموهوب له ويئس من ردها يقال غلق الرهن في يد المرتهن أذا حصل للمرتهن ولم يسترجعه الراهن وجملة المعنى أنه أذا ضحك وسر وهب ماله وفرقه وعنى برقاب الاموال أنفسها وعبر عنها بالرقاب كقولهم أعتق فلان رقبة أي عبداً كما عنى بالاموال الابل والماشية أي فهو لا يقتصر على الجود باللبن كما يجود غيره بل يجود بها أنفسها

لدَى أسدٍ شاكِي السّلاَحِ مقذّفٍ لهُ لِبَدٌ أظفارُهُ لمْ تقلّمِ (١)

فشاكى السلاح وهو حاده تجريد لأنه يناسب المشبه وهو الشجاع ، والمقذف أن أريد به المرمى به فى الوقائع والحروب كان تجريداً أيضاً وأن عنى به المرمى باللحم كناية عن عظم الجثة والضخامة لم يكن لا تجريداً ولا ترشيحاً لأنه يلائم كلا منهما . وله لبد وهى الشعر المتراكم بين كتفى الأسد ترشيح ، وأظفاره لم تقلم لا تجريد ولا ترشيح أذ هو قدر مشترك بين الطرفين لأنه كناية عن نفى الضعف ، والقرينة هى كلمة لدى أو القرينة حالية ولدى تجريد أذ الترشيح أو التجريد أنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها ولذا لا تسمى قرينة الاستعارة التصريحية تجريدا ولا قرينة المكنية ترشيحاً

(ج) والمطلقة هى التى لم تقترن بصفة معنوية ولا تفريع يلائم أحد الطرفين ، والفرق بينهما أن الملائم أن كان من تتمة الكلام الذى فيه الاستعارة فهو الصفة كما فى قوله تبسم ضاحكا ، وأن كان كلاماً مستقلاجىء به بعد تمام الاستعارة وبنى عليها فهو التفريع كما فى قوله تعالى فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ

(تنبيه) الترشيح أبلغ وأقوى من الأطلاق والتجريد لاشتماله على تقوية المبالغة وكمالها فأن المحور الذى يدور عليه الترشيح أنما هو تناسى

---

(١) شاكى السلاح أصله شائك دخله القلب المكانى واللبد بوزن عنب

التشبيه وادعاء أن المشبه هو نفس المشبه به وكأن الاستعارة غير موجودة ألا ترى أن الناثر أو الشاعر يجدّ في أنكارها ويخيل ألى السامع أن الأمر على ما يقول حقيقة ومن ثم وضع أبو تمام كلامه في علو المنزلة والرقى في خلال الشرف وضعه في علو المكان حيث يقول

وَيَصْعَدُ حتّى يَظُنَّ الجهُولُ   بأنَّ لهُ حاجَةً في السَّماء

فلولا أنه قصد أن يتناسى التشبيه ويعقد العزيمة على جحده ولا يألو جهدا في أنكاره فيجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا وجه ، ونظيره قول ابن الرومي

شافَهْتُمُ البَدْرَ بالسُّؤَالِ عنِ الـ   أمرِ إلى أنْ بلَغْتُمُ زُحَلا

وقول بشار

أتَتْني الشَّمْسُ زَائِرَةً   وَلمْ تَكُ تَبْرَحُ الفَلَكا

وقول الآخر

ولمْ أرَ قَبْلى مَنْ مَشى البَدْرُ نَحْوَهُ
وَلا رَجُلاً قامَتْ تُعانِقُهُ الأُسْدُ

ومن ذلك مذهب التعجب والنهى كما تقدم

﴿ المبحث السادس عشر في حسنها وقبحها ﴾

لاتقع الاستعارة موقعها ولا تقبل لدى البلغاء ألا أذا حازت الشروط الآتية
« ١ » رعاية حسن التشبيه أذ هو أساسها الذي تبنى عليه ما خلا أنه

مما يستملح هنا قوة الشبه بين الطرفين بعكس باب التشبيه . ومن ثمة تحسن الاستعارة فيما يقوى فيه الشبه بينهما بحيث يصير الفرع كأنه الأصل ولا يحسن التشبيه ألا ترى أن الرجل يقول اذا فهم مسئلة حصل فى قلبي نور ولا يقول كأن نوراً حصل فى قلبي ، ويقول لمن أوقعه فى شبهة أوقعتنى فى ظلمة ولا يقول كأنك أوقعتنى فى ظلمة

(٢) أن يكون وجه الشبه غريبا لطيفا كثير التفصيل لا مبتذلا ولا خفيا جدا حتى يعد تعمية وألغازا ومن ثم لا تحسن استعارة الأسد لانسان أبخر لخفاء وجه الشبه

(٣) أن تزداد بعداً عن الحقيقة بترشيحها ، ومن أجل هذا قدمت المرشحة على المجردة والمطلقة فى اعتبار الفصحاء ، ومن الجيد النادر فى ذلك قول كثير

(وَسالَتْ بأَعْناقِ المَطِيِّ الأَباطِحُ)

أراد أن أبله سارت سيرا حثيثا مع لين وسلاسة كأنها سيول وقعت في الأباطح ، فأن خلت مما سبق ذكره بأن كانت قبيحة التشبيه أوكانت مبتذلة انحطت درجتها واستهجنت كقول أبي نواس

بَحَّ صَوْتُ المالِ مِماَّ   مِنكَ يَشْكُو وَيصيحْ

يقصد أن المال تظلم من أهانته له بتمزيقه بالعطايا وهذا معنى حسن لكن العبارة عنه قبيحة لاتروق فى نظر البليغ ويأباها ذو الفطرة السليمة ، وقوله أيضاً وهو أسخف من الأول وأنزل قدرا

مَا لِرِجْلِ الْمَالِ أَضْحَتْ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَلَالَا

فأين هذا من قول مسلم بن الوليد فى هذا المعنى

تَظَلَّمَ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ ظَلَّامَا

وكقول أبى تمام

بَلَوْنَاكَ أَمَّا كَعْبُ عِرْضِكَ فِى الْعُلَا فَعَالٍ وَأَمَّا خَدُّ مَالِكَ أَسْفَلُ

مراده أن عرضك مصون ومالك مبتذل لكنه قد ساقه سياقًا مستكرها وأخرجه مخرجا مستهجنا . ونحوه قول الآخر يا مَنْ رَمَى قلبى بسهمٍ فأَوْلَجا فقوله أولجا من الاستعارة المنحطة عند كل ذى بصيرة نافذة وفكر ثاقب . وكقول بشار

وَجَذَّتْ رِقَابَ الْوَصْلِ أَسْيَافُ هَجْرِنَا

وَقَدَّتْ لِرِجْلِ الْبَيْنِ نَعْلَيْنِ مِنْ خَدِّى

قال فى العمدة فما أهجن رجل البين وأقبح استعارتها ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها وكذلك رقاب الوصل

المبحث السابع عشر فى المجاز المركب

المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فى غير المعنى الذى وضع له لعلاقة وقرينة مانعة عن ارادته وهو قسمان (١) ما كانت علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل المركب وذلك نوعان

«١» المركبات[1] الخبرية المستعملة فى الأنشاء نحو قوله تعالى حكاية عن أم مريم رَبِّ إِنّي وَضَعْتُها أُنثى وقوله

ذَهبَ الصِّبا وتولّتِ الأيامُ فَعَلى الصِّبا وعلى الزَّمانِ سلامُ

أذ هو وأن كان خبرا فى أصل وضعه الا أنه مستعمل فى الأنشاء لقصد التحسر والتحزن على ما فات من الشباب والقرينة على ذلك الشطر الثانى ؛ وقول جعفر بن عُلبة الحارثى وقد تقدم

هوَايَ معَ الرَّكْبِ اليمانِينَ مُصْعِدٌ جَنيبٌ وجُثْماني بِمكَّةَ مُوثَقُ

فهو يشير الى الأسف والحزن الذى ألم به من فراق الأحبة ويتحسر على ما آل اليه أمره: والقرينة على ذلك حاله. وهذا الضرب كثير دائر على الألسن

«٢» المركبات الأنشائية المستعملة فى الأخبار كما فى قوله عليه السلام مَنْ كَذَبَ عليّ مُتعمِّدًا فليتبوّأْ مقعدَهُ مِنَ النّارِ أذ المراد يتبوأ مقعده والعلاقة فى هذا السببية والمسببية لأن أنشاء المتكلم بهذه الجملة سبب لأخباره بما تتضمنه ، قال العينى فى شرحه على البخارى فليتبوأ أمر من التبوأ وهو اتخاذ المباءة والمنزل وظاهره أمر ومعناه خبر

«ب» ما كانت علاقته المشابهة وذلك بأن تشبه أحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه

---

(١) أما المركبات المقصود بها أفادة لازم الخبر كما تقدم فهى كنايات مركبة أو تعاريض

بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها بلا تغيير مطلقا كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع بالخلافة ألى مروان بن محمد حينما بلغه توقفه في البيعة له أما بَعْدُ فإنّي أَرَاكَ تُقَدِّمُ (١) رِجْلاً وتُؤَخِّرُ أُخْرَى فإذا أتاكَ كِتابي هذا فاعتَمِدْ على أَيِّهما شِئْتَ والسَّلام فقد شبهت صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخرى ، وكما يقال لمن يعمل فيما لا يجدى أراكَ تنفُخُ في غيرِ فحمٍ ، وأَرَاكَ تخُطُّ على الماء يراد أنه في عمله كمن يفعل ذلك ، وهذا القسم يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة . وقد يسمى التمثيل بلا قيد ، أما التشبيه الذى تقدم فيقال له تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي

والتمثيل متى شاع استعماله سمى مثلا ولا يغير مطلقا محافظة على الاستعارة فيخاطب به المفرد والمذكر وفروعهما بطريقة واحدة كقولهم جزاء سِنمّارٍ (٢) أي جازاه جزاء سنمار ، يضرب مثلا لمن يُجزى بالأحسان الأساءة وقولهم أحشَفاً وسُوءَ كِيلةٍ (٣) يضرب لمن يظلم من جهتين

---

(١) تقدم رجلا أي تارة وتؤخر مفعوله محذوف أى وتؤخرها أى تلك الرجل المتقدمة وقوله أخرى نعت لمرة أى مرة أخرى وأنما لم تجعل أخرى نعتا للرجل لئلا يفيد الكلام أن الرجل المؤخرة غير المتقدمة وليس ذلك صورة التردد كذا في ابن يعقوب

(٢) وأصله أن سنمارا وكان صانعا ماهرا بنى الخورنق بفتح الخاء والواو وسكون الراء وفتح النون وهو قصر النعمان بن امرىء القيس بظهر الكوفة فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه لئلا يبنى مثله فخر ميتا وفى ذلك يقول شاعرهم

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا جزاء سنمار وما كان ذا ذنب (٣) وأصله ان رجلا اشترى

وتقرير الاستعارة فى الأول أن يقال شبه من يُجزى بالأحسان أساءة بسنمار بجامع سوء الجزاء فى كل واستعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية ، وفى الثانى أن يقال شبهت هيئة من يظلم من وجهين بهيئة رجل اشترى من آخر تمراً حشفا وطفف له فى المكيال بجامع الظلم من جهتين واستعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية ، وهكذا تقيس على ذلك سائر أمثالهم نثرا ونظماً كقولهم تجُوعُ الحُرَّةُ ولا تأْكُلُ بِثَدْيَيْها يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال ، وقولهم

إذَا قالَتْ حَذَامِ فصَدِّقُوها فإِنَّ القَوْلَ ما قالَتْ حَذَامِ

المبحث الثامن عشر فى المجاز بالحذف والزيادة

كما توصف الكلمة بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلى كما تقدم ، كذلك توصف بالمجاز بطريق الاشتراك اللفظى أذا تغير حكم أعرابها الأصلى بواسطة حذف لفظ أو زيادته فالحذف كقوله تعالى واسأَل القَرْيَةَ الأصل واسال أهل القرية فالحكم الذى يجب للقرية فى الأصل وعلى الحقيقة هو الجر فحذف المضاف وأعطى المضاف أليه أعرابه ؛ وقوله عز اسمه وجاء رَبُّكَ أي أمر ربك ؛ والحكم بالحذف يكون لأحد أمرين « ١ » أما لأمر يرجع ألى غرض المتكلم نحو سل القرية ألا ترى

تمرا من آخر فاذا هو حشف وناقص المكيال فقال المشترى ذلك

أنك لو قرأته أو سمعته في غير التنزيل لم تقطع بأن هاهنا محذوفاً إذ من المحتمل أن يكون كلام رجل مر على قرية خربت وباد أهلها فأراد أن يقول مذكراً لنفسه أو لصاحبه على سبيل العظة والاعتبار سل القرية عن أهلها وقل لهم ماذا صنعوا كما قال الرقاشي سلِ الأَرْضَ من شقَّ أنهارَكِ وغرسَ أشجارَكِ فإنْ لمْ تجبكَ حواراً أجابتكَ اعتباراً

«ب» وأما لأن الكلام لا يصح بدون المحذوف كما اذا حذف أحد جزأي الجملة نحو فصبرٌ جميلٌ، ومتاعٌ قليلٌ

والزيادة كقوله تعالى ليسَ كمثلِهِ شيءٌ أي ليس مثله شيء، فأعراب مثله في الأصل النصب فاما زيدت الكاف صار جرا ، ونحوه قوله عز وعلا فاضربُوا فوقَ الأعناقِ أي اضربوا الأعناق وقول لبيد

إلى الحوْلِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكُما

ومنْ يبْكِ حوْلاً كاملاً فقدِ اعتذرْ

يريد ثم السلام عليكما ؛ ومما تقدم تعلم أن الحذف والزيادة إذا لم يوجبا تغير الأعراب لا توصف الكلمة من أجلهما بالمجاز كما في قوله تعالى أوْ كصيِّبٍ مِنَ السَّماءِ إذ الأصل أو كمثل ذوي صيب فحذف ذوي لدلالة يجعلون أصابعهم في آذانهم على هذا المحذوف، وحذف لفظ مثل لدلالة قوله كمثل الذي استوقد نارا عليه، ونحوه فَبما رَحْمةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ

المبحث التاسع عشر في المجاز العقلي أو الحكمي

هذا ضرب آخر من الاتساع والتجوز غير ما قدمنا لك الكلام عليه فإن ما مضى كانت تذكر فيه الكلمة ولا يراد معناها ولكن يراد ما هو ردف للمعنى أو شبيه به فالتجوز كان يكون في اللفظ نفسه ، أما ماهنا فإن الكلمة متروكة على ظاهرها ومعناها مقصود في نفسه وإنما التجوز في حكم يجرى عليها وذلك كقولهم نام ليلي وقوله تعالى فما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ ففي هذا مجاز لكنه لا في ذوات الألفاظ فإن الليل والتجارة مستعملان في حقيقتهما بل في أن جعلتهما فاعلين لنام وربح ، وإلى هنا تفهم ما قالوه في تعريفه الآتي

المجاز العقلي هو أسناد الفعل أو ما في معناه الى غير ما هوله لملابسة مع قرينة صارفة عن أن يكون الأسناد ألى ما هو له

وللفعل ملابسات كثيرة فهو يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب ، فأسناد الفعل المبنى للفاعل وما في حكمه ألى غير فاعله كالمفعول وغيره مما له ملابسة بالفاعل ، وأسناد الفعل المبنى للمجهول وما في حكمه كاسم المفعول ألى غير نائب الفاعل مما له ملابسة به ، مجاز كقولهم في المفعول به عيشة راضية ، وماء دافق ، وفي عكسه سيل مُفْعَم ، وفي المصدر جَدَّ جِدُه ، وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم ، وفي المكان طريق سائر ونهر جار وفي السبب بنى الأمير المدينة ، فالعيشة مرضية. والماء مدفوق والسيل هو الذي يفعم ويملأ يقال أفعم الأناء ملأه

وجد الجاد وأصله جد فلان جدا اى اجتهادا لأن حق الجد أن يسند للشخص لا للجد نفسه ، والشخص نائم فى النهار ، والماء جار فى النهر ، وبنى الفعلة المدينة بأمر الامير ؛ وقد يجيء هذا المجاز أيضا فى النسبة الأضافية بأن يضاف الى ملابس ماهوله نحو مكر الليل والنهار للظرفية الزمانية ، وجرى الأنهار وشقاق بينهما للظرفية المكانية ، وغراب البين للسببية على ما يزعمون قال شاعرهم

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلاَ نَاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرَابُهَا

كما يجيء أيضا في النسبة الأيقاعية بأن يوقع الفعل على ملابس ماهوله كقوله تعالى وَأَطِيعُوا أَمْرِي ، وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ

وكما جاء المجاز فى جميع مامضى فى الأثبات فقد جاء أيضا فى النفى كقوله عز وجل فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ أى خسرت

(أقسامه باعتبار الطرفين) المجاز العقلى باعتبار طرفيه المسند اليه والمسند أما

(١) حقيقتان كقوله (وَشَيَّبَ أَيَّامُ الفِرَاقِ مَفَارِقِي) وقول جرير

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلاَنَ فِى السُّرَى وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِىِّ بِنَائِمِ

(٢) مجازان نحو أحيا الأرض شبابُ الزمان ، اذ المراد بأحياء الارض أحداث النضارة والخضرة فيها مما ينتج عن تهييج القوى النمية فيها ، كما أن المراد من شباب الزمان ابتداء حرارته وازدياد قواه ، وأن كان أصل

معناه كون الحيوان فى زمن زيادة قوته والقدر المشترك بينهما الحسن فى كل من الابتداءين

(٣) مختلفان كقول الرجل لصاحبه أحيتنى رؤيتك أى آنستنى وسرتنى فقد جعل الحاصل بالرؤية من الأنس والمسرة حياة ، وقول أبى الطيب

وَتُحْيِي لهُ المَالَ الصَّوَارِمُ والقَنَا ويَقْتُلُ ما تُحْيِي التَّبَسُّمُ وَالجَدَا

فانه جعل الزيادة والوفور حياة للمال وتفريقه فى العطاء قتلا له ثم أثبت الأحياء فعلا للصوارم والقتل فعلا للتبسم مع ان كلا منهما لا يصح منه الفعل ، وقولهم أهلكَ النأسَ الدِّينارُ وَالدِّرْهَمُ من حيث جعلت الفتنة أهلا كا ثم أثبت الاهلاك فعلا لهما ، وقد وقع هذا المجاز كثيرا فى التنزيل كقوله تعالى واذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا نسبت الزيادة ألى الآيات لكونها سببا وقوله عز اسمه وذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ، وقوله يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ نسب الذبح أليه لأنه الآمر به وقوله يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا أسند الفعل الى الظرف لوقوعه فيه

(قرينته) هذا المجاز لا بد له من قرينة أما لفظية كقول أبى النجم العجلى

مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعًا عَنْ قُنْزُعِ جَذْبُ اللَّيَالِى أَبْطِىءْ أَوْ أَسْرِعِى (١)

---

(١) ميز فصل وعنه أى عن رأسه والقنزع الشعر المجتمع فى نواحى الرأس وجذب الليالى مضيها وتعاقبها وأبطىء أوأسرعى حال من الليالى على تقدير القول

فقد استند للناعلى أن أسناد ميز ألى جذب الليالى مجاز بقوله بعده

أفناهُ قيلُ اللهِ للشمسِ اطلُعى حتى إذا واراكِ أفقٌ فارجِعى

فأنه يدل على أنه فعل الله وأنه هو المفنى فيكون أسناده ألى جذب الليالى من الأسناد ألى الزمان ، وأما غير لفظيه كاستحالة صدور المسند من المسند أليه أو قيامه به عقلا نحو محبّتُكَ جاءتْ بى إليكَ . أو عادة نحو بنى الوزير القصر ، وكصدوره من الموحد كما فى أسناد الأشابة والأفناء ألى كر الغداة فى قول الصلتان العبدى

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيـــرَ كرُّ الغداةِ ومرُّ العشى

إذا ليلةٌ هرّمتْ يومها أتى بعدَ ذلكَ يومٌ فتى

(تنبيهات) الأول قال الأمام عبد القاهر هذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ فى الأبداع والاحسان والاتساع فى طرق البيان ولا يغرنك من أمره أنك ترى الرجل يقول أتى بى الشوق ألى لقائك ، وسار بى الحنين الى رؤيتك ، وأقدمنى بلدك حق لى على أنسان وأشباه ذلك مما تجده لشهرته يجرى مجرى الحقيقة فليس هو كذلك أبدا، بل يدق ويلطف حتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأنق لها

(الثانى) قال الأمام أيضا واعلم أنه ليس بواجب فى هذا المجاز أن يكون للفعل فاعل فى التقدير إذا أنت نقلت الفعل أليه عدت به ألى الحقيقة

مثل أن تقول في ربحت تجارتهم ربحوا في تجارتهم فأن ذلك لا يتأتى في كل شيء ألا ترى أنه لا يمكنك أن تثبت للفعل في قولك أقدمني بلدك حق لي على أنسان فاعلا سوى الحق ، وكذلك لا تستطيع في قول أبي نواس

يَزِيدُكَ وَجْهُـهُ حُسْنًا ... إِذَا مَا زِدْتَـهُ نَظَرَا

وقول ابن البواب

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي ... لِحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

أن تزعم أن ليزيد فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للوجه ، ولا لصيرني فاعلا غير الهوى ، فالاعتبار أذا بأن يكون المعنى الذي يرجع أليه الفعل موجودا في الكلام على حقيقته — معنى ذلك أن القدوم في المثال المتقدم موجود على الحقيقة وكذلك الزيادة والصيرورة موجودتان على الحقيقة وأذا كان معنى اللفظ موجودا على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه بل يكون لا محالة في الحكم

(الثالث) هذا المجاز كما يجرى في الخبر كما سلف لك يجرى في الانشاء كقوله تعالى وقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحا وقوله فأَوْقِدْ لي يا هامانُ على الطِّينِ فاجْعَلْ لي صَرْحاً وقوله فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى وقوله عز اسمه أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ فأن البناء والأيقاد فعل العملة وهامان سبب آمر وهكذا يقال فيما بعده

تتمة وفيها مبحثان

(الأول) المجازات اللغوية المفردة يجب أقرارها حيث وردت ولا

يجوز تعديها الا بأذن وتوقيف من اللغة اذا استعير لفظ الأسد للشجاع لما يربطهما من معنى الشجاعة يجب أقراره، ولا يجوز تعديته واستعارته للرجل الأبخر لعلاقة المشابهة بينهما . وكذا لفظ نخلة أذا استعير للرجل الطويل بجامع الطول فى كل لا يصح أن نعديه ونطلقه على الجبل من أجل طوله ؛ وسبيل المجاز بالحذف والزيادة هذه السبيل فاذاسمع سل الربع واسأل القرية وجب الاحتفاظ بما ورد ولا يجوز لنا أن نتخطاه فنقول سل الدار واسأل الشجر ونحو ذلك ألا بأذن منها ، وأذا سمع زيادة ما ولا فى نحو فبما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ ، ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ لا يجوز التعدى الى زيادة لم ولن من حروف النفى

أما المجازات الحكمية فيجوز تعديها الى غير محالها التى وردت فيها فكما ورد قوله تعالى أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرُفَها قيل تكاثرت أشواقى ، وأسقمنى فقدك ، وأحيتنى مشاهدتك الى غير ذلك مما لا يكاد يضبط فى الرسائل والمواعظ والخطب كما قال ابن نباته

إنما المَوْتُ حُسامٌ ازْهَقَ النُّفُوسَ ذُبابُه (١)

(الثانى) المجاز خلاف الأصل فلا يضطر أليه ألا لباعث يرجع أما ألى اللفظ أو ألى المعنى أو أليهما جميعاً ، فمايرجع الى اللفظ أن يكون المجاز أخف على اللسان من الحقيقة كما نشعر بذلك فى مثل لفظ الخَنْفَقِيق وهو

«١» طرفه الذي يضرب به

وهو اسم للداهية أو يكون صالحا للقافية أو السجع وهى لا تصلح لذلك أو يكون مألوف الاستعمال والحقيقة غريبة وحشية ،

ومما يرجع الى المعنى قصد التعظيم كما تقول سلام على المجلس الكريم عادلا الى المجاز تعظيما للمخاطب وتشريفا له عن أن يخاطب بلقبه ، أو المبالغة مع الايجاز كما تقول رأيت أسدا شاكى السلاح فيكون أقوى وآكد من قولك رأيت شجاعا كما تبين لك ذلك فيما سلف ،

ومما يرجع اليهما تحسين اللفظ ودقة المعنى من أجل أن الشىء اذا عرف من بعض الوجوه دون بعض تاقت النفس الى تحصيل ما ليس بمعلوم لها وذلك لا يتسنى الا عند التعبير بالمجاز ، أما عند التعبير بالحقيقة فيحصل العلم به من جميع الوجوه ، لا جرم كان التعبير بالمجاز أقرب الى تحسين الكلام وتلطيفه

تمرين

بين ما فى الجمل الآتية من الاستعارة والمجاز المفردين والمركبين والمجاز العقلى

قال عز اسمه والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ـ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ـ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ ـ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ـ وجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ

وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ـ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ـ فَلْيَدْعُ نَادِيَه ، وأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ـ وقال عليه السلام إِنَّ الغَضَبَ لَيُوقَدُ فِي فُؤَادِ ابْنِ آدَمَ النَّارَ أَلا تَرَاهُ إِذَا غَضِبَ كَيْفَ تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ ، قَيِّدُوا القُرْآنَ بالدَّرْسِ فإِنَّ لهُ أَوَابِدَ (١) كَأَوَابِدِ الوَحْشِ ، ومن كلام الحجاج عند قدومه العراق إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَبْدَ المَلِكِ بنَ مَرْوَانَ نَثَلَ كِنَانَتَهُ وعَجَمَهَا عُوداً عُوداً فَرَآنِي أَصْلَبَهَا نِجَاراً وأَبْعَدَهَا نَصْلاً ـ وقال الحريرى فلَمَّا لاحَ ابنُ ذُكَاء ، وأَلْحَفَ الجَوُّ الضِّيَاء ، لَبِثْنَا فِي الانْتِظَار . إِلى أَنْ هَرِمَ النَّهَار . وكادَ جُرُفُ اليَوْمِ يَنْهَار ـ وقيل الحِلْمُ والأَنَاةُ تَوْءَمَانِ نَتِيجَتُهُمَا عُلُوُّ الهِمَّةِ ـ وقال أبو الأصبع

أَهْلَكَنَا اللَّيْلُ والنَّهَارُ مَعاً ‍ ‍ ‍ ‍ والدَّهْرُ يَغْدُو مُصَمِّماً جَذَعَا

وإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ‍ ‍ ‍ ‍ أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

وأَقْبَلَتْ يَوْمَ جَدَّ البَيْنُ فِي حُلَلٍ ‍ ‍ ‍ ‍ سُودٍ تَعَضُّ بَنَانَ النَّادِمِ الحَصِرِ

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالآمالِ أَرْقُبُهَا ‍ ‍ ‍ ‍ ما أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلا فُسْحَةُ الأَجَلِ

«١» الأوابد جمع آبدة وهى التى توحشت ونفرت من الأنس كذا فى اللسان

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا

الباب الثالث في الكناية

الكناية لغة ما يتكلم به الأنسان ويريد به غيره وقد كنى يكنى ويكنو بكذا عن كذا أنشد الجوهرى

وإِنِّي لأَكْنُو عَنْ قَذُورَ بِغَيْرِهَا وأُعْرِبُ أَحْيَانًا بِهَا وأُصَارِحُ

أما في اصطلاح علماء الفصاحة فقد عرفها الأمام عبدالقاهر بقوله، هي أن يريد المتكلم أثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجيء ألى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيومىء به أليه — وعرفها غيره بأنها اللفظ المستعمل فيما وضع له لكن لا ليكون مقصودا بالذات بل لينتقل منه ألى لازمه المقصود لما بينهما من العلاقة كقولهم فلانٌ طويلُ النِّجادِ (١) يعنون به طويل القامة، وفُلَانَةُ نَؤُومُ الضُّحَى يقصدون أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها من قِبَلِ أن هذا وقت سعى نساء العرب فى أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما تحتاج أليه فى تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها فلا تنام فيه إلا من تكون ذات خدم ينوبون عنها فى السعي لذلك، ففى نحو هذا هم يريدون معنى لم يذكروه بلفظه الذى يخصه ولكنهم ذكروا معنى هو تاليه وردفه فى الوجود، ذلك أن القامة اذا طالت طال النجاد وإذا كانت

«١» ما وقع على العاتق من حمائل السيف كذا فى اللسان

المرأة مرفهة مخدومة غير محتاجة ألى السعى تبع ذلك أن تنام الى الضحى ، ومع هذا فليس بممتنع أن تريد طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأول ، ومن هذا تعلم أن الفرق بينها وبين المجاز صحة إرادة المعنى الأصلى فيها مع إرادة لازمه بخلاف المجاز فأنه ينافى ذلك ، وقد تمتنع إرادة المعنى الأصلى فيها لخصوص الموضوع كما فى قوله تعالى الرَّحْمَنُ على العَرْشِ استَوَى، وقوله بلْ يَدَاهُ مبسُوطَتانِ لأن المعنى الأصلى هنا مستحيل تنزه ربنا عما يقول الظالمون

(أقسامها) تنقسم الكناية الى ثلاثة أقسام

(١) كناية يطلب بها صفة من الصفات كالجود والشجاعة وهى ضربان

(١) قريبة وهى ما ينتقل منها الى المطلوب بلا واسطة ، وهى أما واضحة كما فى قولهم طويل النجاد وقول الحماسى

أبَتِ الرَّوَادِفُ والثُّدِيُّ لِقُمْصِها ... مَسَّ البُطُونِ وأنْ تَمَسَّ ظُهورَا

كنى عن كبر الأعجاز ونهود الثدى بارتفاع القميص عن أن يمس بطنا أو ظهرا وهذا من بديع الكناية ، وقول عمر بن أبى ربيعة

بَعيدَةُ مهوَى القُرْطِ اما لِنَوْفَلٍ ... أبُوها وإماّ عبدُ شَمْسٍ وهاشِمِ

يقصد أنها طويلة العنق ، وأما خفية كما يكنون عن الأبله بطول عرض القفا لزعمهم أن عرض القفا وعظم الرأس اذا أفرطا دلا على الغباوة أو ماترى قول طرفة

أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذى تَعرِفُونَهُ
خَشاشٌ كرَأْسِ الحيَّةِ المتَوَقِّدِ (١)

«ب» بعيدة وهى ما ينتقل منها الى المطلوب بها بواسطة كما يقولون فى الكناية عن المضياف فلان كثير الرماد فانه ينتقل من كثرة الرماد ألى كثرة الأحراق ومنها ألى كثرة الطبخ والخبز ومنها ألى كثرة الأكلة ومنها ألى كثرة الضيفان ثم ألى الكرم وهو المقصود، ونظيره قول الآخر

وما يكُ فىَّ مِنْ عيبٍ فإنّى   جَبانُ الكَلْبِ مهزُولُ الفَصيلِ

فأن الفكر ينتقل من جبن الكلب عن الهرير فى وجه من يقصد دارا هو مقيم على حراستها والعسّ دونها مع أن ذالك ليس من طبيعته، ألى أنه قد دام زجره وتأديبه حتى تغير عن مجرى عادته، ثم ألى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها أثر وجوه، ومن هذا الى كونه ملجأ للقاصى والدانى، ومن ذا ألى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف. — وكذا ينتقل من هزال الفصيل الى فقد الأم، ومن ذا ألى قوة الداعى الى نحرها مع كمال عنايتهم بالنوق خصوصاً المتالى (٢) ومن هذا الى صرفها الى الطبائخ ومن ذا يصل ألى أنه مضياف

«٢» كناية يطلب بها الموصوف وهى قسمان

«١» رجل ضرب خفيف اللحم وخشاش بالفتح ويكسر ماض وقد شبه تيقظه وذكاءه بتوقد رأس الحية   «٢» المتالى من أتلت الناقه أذا تلاها ولدها

« ا » ما هو معنى واحد بأن يتفق فى صفة اختصاص بموصوف معين فتذكر تلك الصفة ليتوصل بها الى ذلك الموصوف كمجامع الأضغان كناية عن القلوب فى قوله

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمٍ والطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ(١)

وقول البحترى فى قصيدته التى وصف فيها قتله للذئب

فأَتْبَعْتُها أُخْرَى فأَضْلَلْتُ نَصْلَها

بِحَيْثُ يَكُونُ اللُّبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ

ففى الشطر الثانى ثلاث كنايات كل منها مستقل بأفادة الغرض لا كناية واحدة وهى قوله بحيث يكون اللب ، والرعب ، والحقد

« ب » ما هو مجموع معان بأن تؤخذ صفة فتضم ألى صفة ثانية وثالثة فتكون جملتها مما يختص بالموصوف فتى ذكرت توصل بها اليه كما يقال كناية عن الانسان حى مستوى القامة عريض الأظفار ، فمجموع هذه الأوصاف الثلاثة هو المختص بالأنسان لا كل واحدة منها

«٣» كناية يطلب بها نسبة أمر لآخر واتصافه بها أثباتا أونفيا كما يقولون المَجْدُ بيْنَ ثَوْبَيْهِ والكَرَمُ بيْنَ بُرْدَيْهِ فلم يصرحوا بثبوت المجد والكرم

«١» الضاربين منصوب على المدح وكذا الطاعنين والأبيض السيف والمخذم القاطع والأضغان جمع ضغن وهو الحقد

له بل كنوا عن ذلك بكونهما بين برديه وبين ثوبيه وكقول زياد الأعجم في عبد الله بن الحشرج وكان أمير نيسابور

إنَّ السَّماحةَ والمُروءةَ والنَّدى　　في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

فأنه أراد أن يثبت هذه الصفات خلالا للممدوح لكنه لم يصرح بذلك فيقول أنها لمجموعة فيه أو مقصورة عليه أو نحو ذلك ، بل عدل الى ما أنت تراه فجعلها في قبة مضروبة عليه ليمكنه أن يثبتها للممدوح بطريق الكناية ، ومثله وأن كان في حلة أبدع ووشي أغرب قول حسان

بنى المَجدُ بيتاً فاستقرَّتْ عِمادُهُ　　علينا فأعيا الناسَ أنْ يتحوَّلا

وقول ابي نواس

فما جازَهُ جُودٌ ولا حلَّ دُونَهُ　　ولكنْ يَصيرُ الجُودُ حيثُ يَصيرُ

وقول الآخر　　وَحَيْثُما يَكُ أَمْرٌ صالِحٌ تَكُنِ

فني كل هذا توصل الى أثبات الصفة للممدوح بأثباتها في المكان الذي يحل فيه ولزومها بلزومه حيثما كان ، وعلى هذا المسلك يحمل قولهم مِثْلُكَ لا يَبْخَلُ قال في الكشاف نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي العرب لا تَخفِرِ الذمم فأنه أبلغ من قولك أنت لا تخفر انتهى

تقسيمها باعتبار آخر ألى تعريض وتلويح ورمز وأيماء

تنقسم الكناية باعتبار آخر ألى أربعة أقسام

(١) تعريض وهو لغة خلاف التصريح واصطلاحا ما أشير به ألى غير المعنى بدلالة السياق كما تقول عند المؤذى أنالست بمؤذ ، فالمعنى نفى الأذى عنك ولكنك تشير بدلالة السياق ألى أن من تكلمت عنده مؤذ ،

(٢) تلويح وهو لغة أن تشير ألى غيرك من بعد ، واصطلاحا كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم كما تقدم فى نحو كثير الرماد ، وجبان الكلب ، ومهزول الفصيل

(٣) رمز وهو لغة أن تشير ألى قريب منك خفية بشفة أو حاجب كما قال

رمزت إلىَّ مخافةً من بعلها ... من غير أن تبدى هناك كلامها

واصطلاحا كناية قلت فيها الوسائط مع خفاء فى اللزوم كما سلف لك فى نحو عريض القفا وعريض الوسادة

(٤) أيماء وأشارة وهى كناية قلت وسائطها مع وضوح الدلالة كقول البحترى

أوما رأيتَ المجدَ ألقى رحلَهُ ... فى آلِ طلحةَ ثمَّ لم يتحوَّلِ

فهذا ظاهر فى أن آل طلحة أماجد ، ومثله قول أبى تمام يصف أبلا

أبِنَّ فما يَزُرْنَ سوى كريمٍ ... وحسبُكَ أن يزُرْنَ أبا سعيدِ

فقد أفاد بغاية الوضوح كرم أبى سعيد ، ومن لطيف ذلك وعجيبه قول

بعضهم في البرامكة

سألتُ النَّدى وَالجُودَ مالي أرَاكُما
تبدَّلتُما ذُلّاً بعزٍّ مؤبَّدِ

وَما بالُ رُكْنِ المجدِ أمسى مُهدَّماً فقالا أُصِبْنا بابْنِ يحْيى مُحمّدِ
فقلتُ فهلّا متُّما عِندَ موْتِهِ فقدْ كُنتُما عبدَيْهِ في كُلِّ مشْهدِ
فقالا أقمنا كيْ نُعزّى بفقْدِهِ مسافةَ يوْمٍ ثُمّ نتلُوهُ في غدِ

(تنبيه) الكناية أما حسنة وأما قبيحة فالحسنة ما جمعت بين الفائدة ولطف الاشارة كما تقدم لك من الأمثلة ، وكقول أعرابية تصف زوجها

لهُ إبلٌ قليلاتُ المسارحِ كثيرَاتُ المبارِكِ إذَا سمِعنَ صوْتَ المِزهَرِ أيقنَّ أنّهنَّ هوَالِكُ ، والقبيحة ما خلت عن الفائدة المرادة من الكناية وهي معيبة لدى أرباب الفصاحة كقول الشريف الرضي يرثي امرأة إنْ لَمْ تكُنْ نَصْلاً فغِمْدُ نِصالِ فهذه من رديء الكناية وسخيفها فأنها لا تفيد المعنى الذي قصد بل قد تجر بالوهم الى ما يقبح من تهمتها بالريبة ، وقول أبي الطيب

إنّي على شَغَفي بما في خُمْرِها لأعِفُّ عمّا في سَرَاوِيلاتِها

قال ابن الأثير فهذه كناية عن النزاهة والعفة الا أن الفجور أحسن منها وليس ذلك الا من سوء تأليفها وقبح تركيبها ، وقد أجاد الشريف الرضي

فيما زلت فيه قدم أبي الطيب فجاء به على رصف حسن وقالب عجيب حيث قال

أَجِنُّ إِلى مايَضْمَنُ الخُمْرُ والحُلِى ... وأَصْدِفُ عمَّا في ضَمَانِ المآزِرِ

وقريب من بيت المتنبي قول الآخر

وما نِلْتُ مِنها مُحَرَّماً غَيْرَ أَنَّنِي ... إِذَا هِيَ بَالَتْ بُلْتُ حَيْثُ تَبُولُ

تمرين

بين أنواع الكناية وفرق بين أقسامها فيما يلي

قال علي كرم الله وجهه في الشقشقية والله لقد تقمصها فُلانٌ وإنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحا ، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ولا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ ، فَسَدَلْتُ دُونَها ثَوباً وطَوَيْتُ عَنْها كَشْحاً (١) وروى أن امرأة وقفت على قيس بن سعد فقالت أَشْكُو إِلَيْكَ قِلَّةَ الفأرِ في بَيْتِي فقال ما أحسن ما ورّت عن حاجتها املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا ، ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك بن مروان فقالت له يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ مشَتْ جِرْذَانُ بَيْتِي على العِصِيِّ ، فقال لها ألطفت في السؤال ، لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا ، وقال تعالى وحملناه على ذاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (٢) وقالوا لبس لفلان جلد النمر (٣) وفلان طاهر الذيل (٤)

---

(١) الجملة الاولى كناية عن أبي بكر والثانية كناية عن استحقاقه للخلافة والثالثة كناية عن علو شأنه «٢» كناية عن السفينة «٣» كناية عن العداوة «٤» كناية عن النزاهة

قوى الظهر (١) رحب الصدر (٢) وقال أبو تمام يستعطف مالك بن طوق

مالِى رَأَيْتُ تُرَابَكُم يَبِسَ الثَّرَى   مالى أرَى أطْوَادَكُمْ تَتَهدَّمُ (٣)

يَبِيتُ بِمَنْجاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُها   إِذَاما بُيُوتٌ بِالْمَلاَمَةِ حُلَّتِ (٤)

بَنِي عَمِّنا لا تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَما   دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغُمَيْرِ القَوَافِيا (٥)

ظَلِلْنا نَعُودُ المَجْدَ مِنْ وَعْكِكَ الذِي
وَجِدْتَ وَقُلْنا اعْتَلَّ عُضْوٌ مِنَ المَجْدِ (٦)

لا أُمْتِعُ العُوذَ بِالفِصالِ ولا   أَبْتاعُ مِنْها الأَقْرِيبَةَ الأَجَلِ (٧)

والمَجْدُ يَدْعُو أَنْ يَدُومَ لِجِيدِهِ   عِقْدٌ مَساعِي ابنِ العَمِيدِ نِظامُهُ (٨)

ومُدَّرِعٍ مِنْ صِبْغَةِ اللَّيْلِ بُرْدَهُ   يُفَوِّقُ طَوْرًا بالنضارِ ويَطْلُسُ

«١» كناية عن القدرة «٢» كناية عن سهولة المعاشرة «٣» يبس الثرى كناية عن تنكر ذات البين وتهدم الأطواد كناية عن موت الرؤساء «٤» أومأ بنفي اللوم الى نفي أنواع الفجور عنه توصلا الى براءتها عن كل ما يشينها «٥» ذكر الشعر وعرض به الى ما جرى فى ذلك الموضع من قتل أشرافهم والظهور عليهم .
«٦» وعكته الحمى آذته وأوجعته «٧» أمتع بمعنى متع واستمتع والعوذ جمع العائذ وهى الحديثة النتاج من الابل والخيل والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه يكنى بذلك عن كرمه (٨) نبه بكون مساعي ابن العميد نظاما للمجد على اعتنائه بتزيينه ومنه ينتقل الى اختصاصه به

إِذَا سَأَلُوهُ عَنْ عَوِيصَيْنِ أَشْكَلَا

أَجَابَ بِمَا أَعْيَا الْوَرَى وَهْوَ أَخْرَسُ (٦)

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهْوَ أَعْجَمُ (٧)

خاتمه

اتفقت كلمة العلماء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأن الكناية أبلغ من الأفصاح، وأن التعريض أوقع فى النفس من التصريح ، وأن للاستعارة من الفخامة والنبل ما ليس لصريح التشبيه والمجاز المرسل من قبل أنها تنبيء عن الاتحاد، وماليس للكناية لأن فيها جمعا بين كناية واستعارة من حيث أن فيها انتقالا من الملزوم الى اللازم كما فى الكناية وفيها استعمال اللفظ فى غير الموضوع له لعلاقة المشابهة ، وأن أبلغ أنواعها التمثيلية ثم المكنية

قال الأمام عبد القاهر وليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة فى المعنى نفسه لا يفيدها خلافه بل لأنه يفيد تأكيدا لأثبات المعنى لا يفيده خلافه ، فليست فضيلة قولنا رأيت أسدا على قولنا رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد فى شجاعته وجراءته أن الأول أفاد زيادة فى مساواته للأسد فى الشجاعة لم يفدها الثانى بل هى أن الأول أفاد تأكيدا لأثبات تلك المساواة له لم يفده الثانى ، وسر هذه المزية والفخامة أنك

---

(١) فوق فلان فلانا على قومه فضله عليهم وطلس الشيء محاه يصف حجر المحك

«٢» يصف كلبا

اذا قلت رأيت أسدا كنت قد تلطفت لما أردت أثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده، وذلك أنه اذا كان أسدا فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة، وكالمستحيل أو الممتنع أن يعرى عنها واذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلا كالأسد كنت قد أثبتها أثبات الشيء يترجح بين أن يكون وألا يكون ولم يكن من حديث الوجوب فى شيء

وليست فضيلة قولنا جم الرماد على قولنا كثير القرى أن الأول أفاد زيادة لقراه لم يفدها الثاني بل هي أن الأول أفاد تأكيدا لاثبات كثرة القرى له لم يفده الثانى ، وذلك أن كل عاقل يعلم أن أثبات الصفة باثبات دليلها آكد وأبلغ فى الدعوى من أن تجيء اليها فتثبتها هكذا ساذجا غفلا ، وذلك أنك لا تدعى دليل الصفة الا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط كذا فى دلائل الاعجاز مع اختصار

الفن الثالث علم البديع

البديع والبدع الشيء الذى يكون أولا وفى التنزيل قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ أى ما كنت أول من أرسل ، والبديع أيضا المحدث العجيب ، وفى اصطلاح أرباب الفصاحة علم يعرف به الوجوه والمزايا التى تزيد الكلام حسنا وتكسبه شرفا ونبلا ، بعد أن يطابق الحال التى يورد فيها مع وضوح دلالته على ما عرفت من الفنين السابقين

(واضعه) أول من دون مسائله ووضع أصوله عبد الله بن المعتز

المتوفى سنة ٢٧٤ هجريه ، ثم اقتفى أثره معاصره قدامة بن جعفر الكاتب ثم جاءت التآليف تترى فألف فيه أبو هلال العسكرى ثم ابن رشيق القيروانى ثم صفى الدين الحلى وقد نظم فيه قصيدة نبوية ميمية وذكر اسم كل نوع بجانب بيت وجعل البيت شاهدا على ذلك النوع وجمع فيها مائة وأربعين نوعا وهكذا ارتقت التآليف صعدا وزيدت الأنواع حتى جاوزت المائة والستين كما عدها ابن حجة الحموى فى كتابه (خزانة الأدب)

(تنبيه) ما سماه ابن المعتز بالبديع يشمل علم البيان أيضا فانه عد من الأنواع الاستعارة والكناية وغيرها

تقسيم المحسنات الى معنوية ولفظية — ومتى تزيد الكلام حسنا

تنقسم المزايا والمحسنات البديعية الى قسمين ، محسنات معنوية وهى التى يكون التحسين والتنميق بها راجعا الى المعنى أصالة وان حسنت اللفظ تبعا ، ومحسنات لفظية وهى التى يكون التحسين بها راجعا الى اللفظ كذلك

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات لا سيما القسم اللفظى منها لا تقع موقعها من الحسن الا اذا طلبها المعنى فلا يجد الشاعر أو الناثر عنها مندوحة ومن ثم كان الولوع بها والاستكثار منها مجلبة للاساءة حيث يطلب الأحسان لأن المعانى لاتدين للألفاظ فى كل موضع ولا تنقاد لها فى كل حين ، ولذا تجد كلام المتقدمين الذين لزموا سجية الطبع وما توحيه اليهم البديهة وصنعة الكلام أسلس وأوضح فى المراد ، وأمكن فى العقول وأبعد عن التفاوت — أما المتأخرون فقد جعلوا هذه المحسنات قبلتهم التى اليها

يجهون حتى حمل غالبهم فرط الشغف بها أن ينسى أنه أنما يتكلم ليفهم ويقول ليبين ظنا منه أنه أذا جمع أنواعا من البديع فى فقرة أو فقرات و بيت أو أبيات فلا ضير أذا خبط السامعون فى فهم كلامه خبط عشواء فى ليلة ليلاء قال الأمام ولن تجد أيمن طائرا وأحسن أولا وآخرا وأهدى ألى الاحسان وأجلب للاستحسان من أن ترسل المعانى على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ فأنها أذا تركت وما تريد لم تكتس ألا ما يليق بها ولم تلبس من المعاريض [1] ألا ما يزينها ، فأما أن تضع فى نفسك أنه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذى أنت منه بعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والوقوع فى الذم انتهى

المحسنات المعنوية

عرفت مما أسلفناه لك أن المزايا والمحسنات كثيرة لكنا رأينا ألا نذكر منها ألا ما اشتهر أمره ، وأهم الشاعر والناثر علمه

التورية وتسمى الايهام والتخييل

التورية لغة مصدر ورّيت الخبر تورية أذا سترته وأظهرت غيره ، واصطلاحا أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ؛ ويريد المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريده وهو ليس بمراد ، ولأجل هذا سميت أيضاً أيهاماً ،

«١» جمع معرض بكسر الراء ثوب تجلى فيه الجارية ليلة الزفاف

قال الزمخشري ولا ترى بابًا في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضى الله عنهم أجمعين ، فمن ذلك قوله تعالى الرَّحْمَنُ على العَرْشِ اسْتَوَى لأن الاستواء على معنيين ، أحدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لأن الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك ، والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورّى عنه بالقريب المذكور انتهى

(أقسامها) تنقسم التورية الى أربعة أقسام مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة

(ا) فالمجردة هي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به وهو المعنى القريب كما تقدم في الآية وكقول أبي بكر رضوان الله عليه وقد سئل حين الهجرة عن النبي عليه السلام فقيل له من هذا فقال هادٍ يَهْدِيني أراد أبو بكر هاديًا يهديني الى الاسلام فورى عنه بهادى الطريق وهو الدليل في السفر

(ب) والمرشحة وهى التي يذكر فيها لازم المورى به وهو المعنى القريب وتنقسم الى قسمين

«١» قسم يذكر فيه الترشيح قبلها كقوله تعالى وَالسماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ فاليد مستعملة هنا في القدرة وهو المعنى البعيد وقد قرنت بالبناء الذى يناسب المعنى القريب وهو الجارحة

«٢» وقسم يذكر بعدها كقول القائل

مُذْ هِمْتُ مِنْ وَجْدِيَ فِي خَالِهَا ... وَلَمْ أَصِلْ مِنْهُ إلى اللَّثْمِ
قَالَتْ قِفُوا وَاسْتَمِعُوا مَا جَرَى ... خَالِيَ قَدْ هَامَ بِهِ عَمِّي

فالخال يطلق على خال النسب وهو المعنى القريب المورى به ، وعلى الخال الذي في الخد وهو المعنى البعيد المقصود ثم رشح التورية بذكر العم بعدها وهو المناسب للمعنى القريب

(ج) والمبينة هي ما ذكر فيها لازم المورى عنه كقول ابن سناء الملك

أَمَا وَاللهِ لَوْلَا خَوْفُ سُخْطِكْ ... لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلْقَى بِرَهْطِكْ
مَلَكْتَ الْخَافِقَيْنِ فَتِهْتَ عُجْباً ... وَلَيْسَ هُمَا سِوَى قَلْبِي وَقُرْطِكْ

الشاهد في لفظة الخافقين فأنها تحتمل أنهما ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورى به ، وتحتمل أنهما قلبه وقرط محبوبته ، وذا هو المعنى البعيد المورى عنه والمراد للشاعر وقد بينه بالنص عليه بذكر القلب والقرط

«د» والمهيأة هي التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ ألا باللفظ الذي يذكر قبلها أو بعدها ، فالأول كقول ابن سناء الملك يمدح المظفر صاحب حماه

وَسِيرَتُكَ فِينَا سِيرَةٌ عُمَرِيَّةٌ
فَرَوَّحْتَ عَنْ قَلْبٍ وَأَفْرَجْتَ عَنْ كَرْبِ
وَأَظْهَرْتَ فِينَا مِنْ سِمَاتِكَ سُنَّةً
فَأَظْهَرْتَ ذَاكَ الْفَرْضَ مِنْ ذَلِكَ النَّدْبِ

الندب والفرض معناها القريب الحكمان الشرعيان ، والبعيد الفرض العطاء والندب الرجل السريع فى قضاء الحوائج ، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم منها الحكمان الشرعيان ،

والثانى كقول الأمام على كرم الله وجهه للاشعث بن قيس إنّ أبا هذا كانَ ينسجُ الشِّمالَ باليمينِ فالشمال معناها القريب ضد اليمين والبعيد جمع شملة (١) ولولا ذكر اليمين بعدها ما فهم السامع منها اليد التى بها التورية

الاستخدام

هو ذكر اللفظ بمعنى وأعادة ضمير أو أشارة عليه بمعنى آخر ، أو أعادة ضميرين تريد بثانيهما غير ما تريده بأولها ، وشاهد الأول قوله تعالى فمَنْ شهد مِنكمُ الشَّهرَ فليصُمْهُ أريد بالشهر الهلال وبضميره الزمان المعلوم ، وقول معاوية بن مالك معوذ الحكماء يصف بأس قومه ورياستهم

إذَا نزَلَ السَّماءُ بأَرْضِ قومٍ رَعَيْناهُ وإنْ كانُوا غِضابَا (٢)

أراد بالسماء الغيث وبضميره النبات ، وقول الآخر

«١» وهو كساء من صوف أو شعر يؤتزر به فاذا لفق لفقين فهى مشملة يشتمل بها الرجل اذا نام بالليل «٢» الغضا بالقصر شجر شديد الاشتعال بالباديه تمكث به النار زمانا ، يريد الدعاء ويطلب له ولأحبابه النازلين بمكانه السقيا وأن أحرقوا قلبه بنار الجوى

رَأى العقيقَ فأجرَى ذَاكَ نَاظِرُهُ مُتَيَّمٌ لجَّ فى الاشوَاقِ خاطِرُهُ

قصد بالعقيق المكان المعلوم وأشار أليه بمعنى الحجر الأحمر اللون ، وشبه دموعه به ، وشاهد الثاني قول البحترى

فَسقَى الغضَا والساكِنيهِ وإنْ همُو شَبُّوهُ بينَ جوانحٍ وقلوبِ

أراد بضمير الغضا فى قوله والساكنيه المكان وفى قوله شبوه أى أوقدوه الشجر

اللف والنشر

هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين اتكالا على أن السامع يرد الى كل ما يليق به لوضوح الحال.فالمفصل أما مرتب كقوله تعالى وَمِنْ رَحْمَتِهِ جعَلَ لكمُ الليلَ والنهارَ لِتسكُنوا فِيهِ ولِتبتغُوا مِنْ فضْلهِ جمع بين الليل والنهار بواو العطف ثم أضيف الى كل ما يليق به فأضيف السكون الى الليل لأن فيه النوم والراحة، وابتغاء الرزق الى النهار لما فيه من الكد والعمل ، وقول الشاعر

أَلستَ أنتَ الذي مِنْ وَرْدِ نِعْمَتِهِ وَوِرْدِ رَاحتِهِ أَجْنِي وَأَغْتَرِفُ

وقول ابن الرومي

آرَاؤُكُمْ وَوُجوهُكُمْ وَسُيوفُكُمْ فى الحادِثاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجومُ

فِيها مَعَالِمُ لِلْهُدَى وَمَصابِحٌ تَجلُو الدُّجى والأُخرَياتُ رُجومُ

واما بعكس ترتيب اللف كقول ابن حيوس

كَيفَ أسلُو وأنتِ حِقفٌ وغُصنٌ　　وغزالٌ لحظًا وقدًّا ورِدفا

فاللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف وهو الرمل المتراكم

والمجمل كقوله تعالى وَقالوا لن يدخُلَ الجنةَ إلّا من كانَ هودًا أو نصارَى فضمير قالوا لليهود والنصارى على سبيل اللف (١) ثم أضيف ما لكل أليه بعد . أذ التقدير وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ، ومثله قوله عليه السلام فإنّ المرءَ بينَ يَومينِ يومٍ قدْ مضَى أُحصِيَ فيهِ عملُهُ فَختِمَ عليهِ ، ويومٍ قدْ بقيَ لا يدرِي لعلّهُ لا يَصلُ أليهِ

الجمع

هو أن يجمع بين شيئين مختلفين أو أكثر في حكم واحد كقوله تعالى المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدُّنيا وقوله عز وعلا إنّ الذينَ كفرُوا مِنْ أهلِ الكتابِ والمشركينَ في نارِ جهنّمَ خالدِينَ فِيها ، وقول أبي العتاهية

إنّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه　　مَفسدةٌ لِلمرءِ أيُّ مفسدَه (٢)

«١» لف بين قولي الفريقين فلم يبين مقول كل فريق ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله لما علم من تعادي الفريقين

«٢» الجدة الاستغناء يقال وجد في المال

وقول الآخر

وأحوالي وصُدْغُكَ والليالي ظَلامٌ في ظَلامٍ في ظَلامِ

التفريق

هو أن يعمد المتكلم الى نوعين مندرجين تحت جنس واحد فيوقع بينهما تباينا فى المدح أو الذم أو غيرهما كقول الوطواط فى المدح

ما نَوالُ الغَمامِ وقتَ رَبيعٍ كنَوالِ الأَميرِ يومَ سَخاءِ
فنَوالُ الأَميرِ بَدْرةُ عينٍ ونَوالُ الغَمامِ قطرةُ ماءِ(١)

فهذان النوالان يندرجان تحت اسم العطاء ويفترقان فى الرفعة والضعة

وقول بدر الدين ابن النحوية فى الغزل

حَسِبتُ جَمالَهُ بَدْرًا مُنيرًا وأينَ البَدْرُ مِنْ ذَاكَ الجَمالِ

الجمع مع التفريق

هو أن يجمع بين شيئين فى معنى ويفرق بين جهتى الأدخال كقوله تعالى وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ، وقول الوطواط

فوَجْهُكَ كالنارِ فى ضَوْئِها وقَلْبِيَ كالنارِ فى حَرِّها

«١» البدرة كيس فيه عشرة آلاف درهم والبدرة وجدا بتثليث الواو وجدة أيضا أيضا جلد السخلة اذا فطم

شبه وجه الحبيب وقلبه هو بالنار ثم فرق بين وجهى المشابهة بأن جعله في الوجه الضوء واللمعان وفي القلب الحرارة والاحتراق، وقول البحتري

وَلماَّ الْتَقَيْنا والنَّقا مَوْعِدٌ لَنا تَعَجَّبَ رَائِي الدُّرِّ مِنَّا وَلاقِطُهْ

فَمِنْ لُؤلُؤٍ تجلُوهُ عِنْدَ ابْتِسامِها

وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الحَدِيثِ تُساقِطُهْ

التقسيم

هو ذكر متعدد وإضافة ما لكل إليه على التعيين، وبقيد التعيين يخرج اللف فإنه لا تعيين فيه بل الأمر موكول إلى السامع كما تقدم؛ وشاهده قول أبي تمام

فَما هُوَ إلاَّ الْوَحْيُ أو حَدُّ مُرْهَفٍ تُمِيلُ ظُباهُ أخْدَعَيْ كُلِّ مائِلِ

فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عالِمٍ

وَهذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جاهِلِ(١)

وللتقسيم إطلاقان آخران أحدهما أن تذكر أحوال الشيء ثم يضاف إلى كل حال ما يليق بها كقول المتنبي

سأطْلُبُ حقِّي بالْقَنا ومشايِخٍ

كأنَّهُمُ مِنْ طُولِ ما الْتَثَمُوا مُرْدُ

«١» الوحي الاشارة والمرهف السيف والظبي حد السيف والأخدعان عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا

ثِقالٌ إِذَا لاقَوْا خِفافٌ إِذَا دُعُوا   كثيرٌ إِذَا شَدُّوا قليلٌ إِذَا عُدُّوا

وثانيهما أن تستوفى أقسام الشيء بالذكر كقوله تعالى لهُ ما في السَّمَوَاتِ وما في الأرْضِ وما بَيْنَهُمَا وما تَحْتَ الثَّرَى ، وقوله عز وعلا يَهَبُ لِمَنْ يَشاء إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يشاء الذُّكُورَ أوْ يزَوِّجُهُمْ (١) ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيجْعَلُ مَنْ يشاء عَقِيماً ، وقول أعرابي وقف على حلقة الحسن البصري فقال رَحِمَ اللهُ مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ فَضْلٍ أوْ آسى مِنْ كَفَافٍ أوْ آثَرَ مِنْ قُوتٍ فقال الحسن ما ترك لأحد عذرا ،

الجمع مع التقسيم

هو جمع أمور متعددة واندراجها تحت حكم واحد ثم تقسيمها ، أو تقسيمها ثم جمعها ، فالأول كقول المتنبي يمدح سيف الدولة حين غزا خَرْشَنَة ولم يفتحها

حتّى أَقامَ على أَرْباضِ خَرْشَنَةٍ (٢)   تَشْقَى بِهِ الرُّومُ والصُّلْبانُ والبِيَعُ

لِلسَّبْيِ ما نَكَحُوا وَالقَتْلِ ما وَلَدُوا

والنَّهْبِ ما جَمَعُوا والنارِ ما زَرَعُوا

فقد جمع في البيت الأول شقاء المقيمين بنواحي تلك البلدة بما يلحقهم من

«١» من المزاوجة وهي الجمع أي يجمع لهم ذكوراً وأناثا والعقيم من لا ولد له
(٢) بلد بديار بكر وأرباض البلد ما حولها وحتى متعلقة بما سبقها وهو قوله قاد المقانب أي العساكر

الأهانة ثم فصله فى الثانى ؛ والثانى كقول حسان

قَوْمٌ إِذَا حارَبُوا ضَرُّوا عدُوَّهمُ أَوْ حاوَلُوا النَّفْعَ فى أَشْياعِهِمْ نفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهمْ غيْرُ مُحْدَثَةٍ إِنَّ الخَلاَئِقَ فاعْلَمْ شَرُّها البِدَعُ

قسم فى البيت الأول صفات الممدوحين قسمين ضر الأعداء ونفع الأولياء ثم جمعها فى الثانى بقوله سجية تلك وأشار بعدئذ ألى أن شر الأخلاق ما كان مستحدثا مبتدعا لا غريزة وجبلة

الجمع مع التفريق والتقسيم

هذا النوع جامع للأنواع الثلاثة المتقدمة وقد مثلوا له بقوله تعالى يَوْمَ يأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فأَمَّا الذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ ، وأَمَّا الذِينَ سُعِدُوا فَفِى الجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمٰوَاتُ والأَرْضُ إِلاَّ ماشاءَ رَبُّكَ عَطاءً غيْرَ مجْذُوذٍ[١] فالجمع فى قوله لا تكلم نفس لأن النفس متعددة فى المعنى أذهى نكرة فى سياق النفى تعم ، والتفريق فى قوله فمنهم شقى وسعيد والتقسيم فى قوله فأما الذين شقوا وأما الذين سعدوا ، ومن هذا أيضا قول ابن شرف القيروانى

«١» الزفير أخراج النفس بشدة والشهيق رده كذلك والمجذوذ المقطوع

لِمُخْتَلِفِي الحاجاتِ جَمْعٌ بِبابِهِ ... فَهذا لهُ فنٌّ وهذا لهُ فَنُّ
فَلِلخامِلِ العَلْيا ولِلمُعْدِمِ الغِنى ... ولِلمُذْنِبِ العُتْبي ولِلخائِفِ الأَمْنُ

الطابقة — الطباق — التكافؤ — التضاد

المطابقة لغة الجمع بين الشيئين واصطلاحا الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من أبيات القصيدة ، وتنقسم الى عدة تقسيمات فتنقسم أولا الى

(ا) مطابقة بلفظين من نوع واحد سواء أكانا اسمين نحو وَتَحْسَبُهُم أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ أم فعلين نحو تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاء وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاء وَتُعِزُّ مَنْ تَشاء وتُذِلُّ مَنْ تَشاء ، وقوله عليه السلام الأنصار إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِندَ الفَزَعِ وَتَقِلُّونَ عِندَ الطَمَعِ أم حرفين نحو لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها ما اكْتَسَبَتْ ، وقول القائل

على أنني راضٍ بأنْ أحمِلَ الهوَى ... وأَخْرُجَ مِنهُ لا عَلَيَّ ولا لِيا

(ب) مطابقة بلفظين من نوعين نحو أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فأَحْيَيْناهُ ،

ثانيا الى ما يكون الطباق فيه ظاهرا كما أسلفنا ، والى ما يكون خفيا نوع خفاء كقوله عز اسمه أَشِدَّاء عَلى الكُفَّارِ رُحَماء بَيْنَهُمْ فان الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة

ثالثا الى طباق الايجاب كما تقدم ، والى طباق السلب وهو أن يجمع

بين فعلى مصدر واحد مثبت ومنفى أو أمر ونهى كقوله تعالى ولكنّ أكثرَ الناس لا يعلمون ، يعلمونَ ظاهرًا من الحياةِ الدُّنيا، وقول الشاعر

خُلِقُوا وما خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ ... فكأنَّهُمْ خُلِقُوا وما خُلِقُوا
رُزِقُوا وما رُزِقُوا سَماحَ يدٍ ... فكأنَّهُمْ رُزِقُوا وما رُزِقُوا

المقابلة

ومن الطباق نوع يختص باسم المقابلة وهى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب ، فمقابلة اثنين باثنين كقوله عليه السلام لعائشة عليكِ بالرِّفقِ ياعائشةُ فإنّهُ ما كانَ في شيء إلاّ زانَهُ ولا نُزِعَ من شيء إلاّ شانَهُ . وقول الجعدى

فتًى تمّ فيهِ ما يسرُّ صديقَهُ ... على أن فيهِ ما يسوءُ الأعاديا

ومقابلة ثلاثة بثلاثة كقول البحترى

وأُمّةٍ كانَ قُبحُ الجَوْرِ يُسخِطُها ... دَهرًا فأصبحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضيها

وقول أبى الطيب

فلا الجُودُ يُفْني المالَ والجَدُّ مُقْبِلٌ
ولا البُخْلُ يُبقي المالَ والجدُّ مُدْبِرُ

ومقابلة أربعة بأربعة كقوله تعالى فأمّا مَنْ أعطى واتّقى وصدّقَ بالحُسنى فسنُيَسِّرُهُ لليُسرى وأمّا مَنْ بخِلَ واستغنى وكذَّبَ بالحُسنى

فسنيسره لليسرى وتتضح لك مقابلة اتقى باستغنى اذا علمت أن المراد بالاستغناء الزهد فيما عند الله كأنه استغنى عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق

ومقابلة خمسة بخمسة كقول أبى الطيب

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِى وأَنْثَنِى وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي

ومقابلة ستة بستة كقوله

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجُ عِزٍّ يَزِينُهُ وَفِى رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يَشِينُهُ

التدبيج

ومن الطباق ما يخص باسم التدبيج من دبّج الأرض زينها، وهو أن يؤتى فى معنى من المعانى كالمدح أوغيره بألوان من الأصباغ بقصد الكناية أو التورية ، فتدبيج الكناية كقول أبى تمام يرثى مجاهدا

تَرَدَّى ثِيَابَ المَوْتِ حُمْرًا فما أَتَى

لها اللَّيْلُ إِلَّا وَهْىَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

أراد أن المرثى لطخت ثيابه بالدم القانى حين قتل فما أرخى الليل سدوله ألا وقد صارت من السندس الأخضر ، فكنى عن القتل بلبس الثياب الحمر وعن دخول الجنة بخضر السندس اذ هو من شعار أهلها .

وتدبيج التورية كقول الحريرى فمذ ازورّ المحبوب الأصفر، (١)

«١» ازور بعد وأعرض والفودان شعرا جانبي الرأس مما يلى الأذنين

واغبرَّ العيشُ الأخضر، اسودّ يومي الأبيض، وابيضّ فَوْدِي الأسود حتى رثى لي العدوُّ الأزرق، فيا حبذا الموتُ الأحمر، فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر انسان ذو صفرة محبوبة والبعيد الذهب وهو المراد هنا فيكون تورية كما علمت، وأما بقية الكلام فكناية لأنه كنى باخضرار العيش عن طيبه وباغبراره عن ضيقه وباسوداده عن الحزن وبابيضاض الفود عن ضعفه من كثرة الحزن

ايهام التضاد

ويلحق بالطباق ايهام التضاد وهو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين معبراً عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان كقول دِعْبِل الخُزاعي

لا تعجبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى

فظهور المشيب المقصود بالضحك لا يقابل البكاء الا أنه قد عبر عنه بالضحك الذي معناه الحقيقي يقابل البكاء وبعد هذا البيت

قدْ كانَ يضحكُ في شبيبته والآنَ يحسُدُ كُلَّ من ضحِكا

لا تأخُذا بظُلامتي أحدًا قلبي وطرْفي في دَمي اشتركا

ونظيره قول أبي تمام

ما إنْ ترى الأحسابَ بيضاً وُضَّحاً إلا بحيثُ ترى المنايا سُودَا

مراعاة النظير — الائتلاف — التوفيق — التناسب

هو الجمع بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد وبهذا القيد يخرج الطباق . فالجمع بين أمرين كقوله تعالى الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ . وبين ثلاثة كقول البحترى يصف الأبل بالأنضاء والهزال

كالقِسِيِّ المُعْطَّفاتِ بلِ الأَسْـــهُمِ مَبْرِيَّةً بلِ الأَوْتارِ(١)

فقد اختار تشبيهها بالقسى دون العراجين والأطناب (٢) مثلا من أجل أنه أراد تشبيهها بالأسهم والأوتار فيحصل بذكرها معها ملاءمة لا تحصل بدونها . وبين أربعة كقول بعضهم للمهلبى الوزير أَنْتَ أَيُّها الوَزِيرُ إِسْماعِيلِيُّ الوَعْدِ شُعَيْبِيُّ التَّوْفِيقِ يُوسُفِيُّ العَفْوِ محمَّدِيُّ الخُلُقِ . وبين أكثر من أربعة كقول ابن رشيق

أَصَحُّ وَأَقْوَى ما سَمِعْناهُ فى النَّدَى عَنِ الخَبَرِ المأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ

أَحادِيثُ تَرْوِيها السُّيُولُ عنِ الحَيا عنِ البحرِ عنْ جودِ الأَمِيرِ تَمِيمِ

فلاءم بين الصحة والقوة والسماع والخبر والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا أى المطر والبحر وكف تميم ، وبذا صار الكلام ملتئم النسج محكم التأليف ، مع ما أدخله فى البيت الثانى من حسن الصنعة فأتى بصحة الترتيب فى العنعنة إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الأحاديث

«١» المعطفات المنحنيات والمبرية المنحوتة «٢» الأطناب جمع طنب بضمتين وهو حبل الخيمة

ألا ترى أن السيول أصلها المطر وهو أصله البحر وهو أصله كف الممدوح على حسب ما ادعاه مبالغة فى المدح

تشابه الأطراف

ومن مراعاة النظير ما يسمى تشابه الأطراف ، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى كقوله تعالى لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فأن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبرة تناسب من يدرك شيئا اذ من يدرك شيئا يكون لا شك خبيرا به ، وقد يعرّف بأنه جعل عجز جملة صدر تاليتها أو قافية بيت صدر ما يليه كقوله تعالى مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ، وقول ليلى الأخيلية تمدح الحجاج

إذا نزلَ الحجاجُ أرضاً مريضةً   تتبّعَ أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداءِ العضالِ الذى بها   غلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها

سقاها فروّاها بشربِ سجالِهِ   دماء رجالٍ حيثُ مالَ حشاها

التفويف

هو أن يؤتى فى الكلام بمعان متلائمة فى جمل منتظمة مستوية المقادير أو متناسبتها كقول القائل يصف سحابا

تَسَرْبَلَ وَشْياً مِنْ خُزُوزٍ تَطَرَّزَتْ

مَطَارِفُهَا طَرْزاً مِنَ الْبَرْقِ كَالتِّبْرِ (١)

فَوَشْيٌ بِلاَ رَقْمٍ وَنَقْشٌ بِلاَ يَدٍ وَدَمْعٌ بِلاَ عَيْنٍ وَضِحْكٌ بِلاَ ثَغْرِ

وقول أبي الوليد بن زيدون

تِهْ أَحْتَمِلْ وَاحْتَكِمْ أَصْبِرْ وَعِزَّ أَهُنْ

وَوَلِّ أُقْبِلْ وَمُرْ أَسْمَعْ وَقُلْ أُطِعِ

الأرصاد — التسهيم

هو أن يجعل قبل آخر السجعة أو البيت ما يفهم بها عند معرفة الروي كقوله تعالى ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ ،

وقول البحتري

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَّمَتْ بِلاَ سَبَبٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَلاَمِي

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّلْتِهِ بِمُحَلَّلٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتِهِ بِحَرَامِ

فالسامع إذا وقف على قوله وهل يجازى بعد الإحاطة بما تقدم علم أنه ليس (إلا الكفور) وأيضاً فان الحاذق بمعاني الشعر وتأليفه يعلم بعد أن عرف البيت الأول وصدر الثاني في بيتي البحتري أن ليس عجزه إلا ما قاله

---

(١) الخزوز جمع خز وهو الحرير والتطريز عمل الطراز للثوب بذهب أو غيره والمطارف جمع مطرف بضم الميم وسكون الطاء وفتح الراء وهو الثوب له أعلام

المشاكلة

هي لغة المماثلة واصطلاحا ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله عز وعلا وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فالجزاء على السيئة في الحقيقة ليس بسيئة إذ المعنى وجزاء سيئة عقوبة مثلها ، فسماه ثانيا سيئة للمشاكلة اللفظية ، ومثل ذلك الحديث إن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا المعنى أن الله لا يقطع عنكم نعمه وفضله حتى تملوا عن مسألته فوضع لا يمل موضع لا يقطع عنكم الثواب ، وقول أبي الرَّقَعْمَق وقد تطرف ما شاء

قالوا اقترحْ شيئاً نُجِدْ لك طَبْخَهُ ... قلتُ اطبُخوا لي جُبَّةً وقميصا (١)

عبر عن خياطة الجبة بالطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام

الاستطراد

أن يشرع المتكلم في فن من فنون القول ويستمر عليه ثم يخرج منه إلى غيره وبعدئذ يعود ثانيا إلى ما كان كقوله عز وجل وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ فقوله وقرآن الفجر من

---

(١) اقترح من اقترحت عليه شيئاً إذا سألته إياه من غير روية وطلبته على سبيل التكليف والتحكم

الاستطراد اللطيف لأنه خرج من ذكر الليل إلى قرآن الفجر ثم عاد بعده إلى ذكر الليل ، ونحو قول الآخر

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه   فليس به بأس وإن كان من جرم(١)

المزاوجة

هي لغة مصدر زاوج بين الشيئين قارن بينهما ، واصطلاحا أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري

إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى   أصاخت إلى الواشي فلج بها الهجر(٢)

فقد زاوج بين معنيين هما لجاج الهوى ولجاج الهجر في الشرط والجزاء في أن رتب عليهما لزوم شيء ، وقوله أيضاً

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها(٣)

زاوج بين الاحتراب وتذكر القربى فرتب فيضان شيء عليهما

العكس — التبديل

هو تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره ، وهو على ضروب منها

(١) أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف اليه كقول من قال عادات السادات سادات العادات فالعادات أحد طرفي الكلام والسادات مضاف

---

(١) جرم ذنب (٢) اللجاج كثرة الكلام والخصومة والمراد هنا اللزوم والإصاخة الاستماع

(٣) احتربت تحاربت والضمائر فيه وفيما بعده عائدة على الفرسان في البيت قبله

أليه ذلك الطرف وقد وقع العكس بينهما ، وقول المتنبي

أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ

إِذَا أَمْطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابَةٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلُ

(٢) أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ، وقول الحماسي

رَمَى الحِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودَا

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودَا

(٣) أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، وقول الحسن البصري إِنَّ مَنْ خَوَّفَكَ حَتَّى تَلْقَى الأَمْنَ خَيْرٌ مِمَّنْ آمَنَكَ حَتَّى تَلْقَى الخَوْفَ ، وقول الأضبط السعدي

قَدْ يَجْمَعُ المَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ المَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

التجريد

هو لغة أزالة الشيء عن غيره ، واصطلاحا ضربان أولهما أخلاص الخطاب ألى غيرك وأنت تريد به نفسك ، وثانيهما أخلاص الخطاب لنفسك ويسمى هذا تجريدا غير محض ، وسر تسمية هذا النوع بهذا الاسم ماقاله أبو علي الفارسي من أن العرب تعتقد أن في الأنسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى ألى ألفاظها مجردا عن الأنسان كأنه

غيره وهو هو بعينه كقولهم لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، ولئن سألته لتسألن منه البحر وهو عينه الأسد والبحر لا أن هناك شيئا منفصلا عنه أو متميزا منه — ثم قال وعلى هذا النمط كون الإنسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقاول غيره كما فعل الأعشى في قوله

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وهل تُطيقُ وَدَاعاً أَيُّها الرَّجُلُ

انتهى ، ومن الضرب الأول قول الشاعر المعروف بالحيص بيص

إلَامَ يَرَاكَ المَجْدُ في زِيِّ شاعِرٍ ... وَقَدْ نَحِلَتْ شَوْقاً فُرُوعُ المَنَابِرِ

كَتَمْتَ بِعَيْبِ الشِّعْرِ حِلْماً وَحِكْمَةً ... بِبَعْضِهِما يَنْقَادُ صَعْبُ المَفَاخِرِ

فالخطاب في هذا مجرّى الى غيره والمراد نفسه كي يتمكن من ذكر ما ذكره من المناقب وعد ما عده من الفضائل التي تستحق الإعجاب والإكبار ،

ومن الضرب الثاني قول عمرو بن الأطنابه

أَقُولُ لَها وقَدْ جَشَأَتْ وجاشَتْ ... مَكانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وقول المتنبي يمدح فاتكا الأخشيدي وقد نفحه بهدية سنية

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيها ولا مالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الحالُ

(تنبيه) لهذا الضرب من الكلام فائدتان أحداهما التمكن من أجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره لأنه موجه خطابه الى غيره فيكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقول ، ثانيتهما طلب التوسع في الكلام وهذا

من مزايا اللغة العربية

المبالغـة

هي ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو الضعف حدا يستحيل أو يبعد

(آراء العلماء فيها) للعلماء فيها مذاهب ثلاثة (١) الرفض مطلقا وحجة هؤلاء أن خير الكلام ما خرج مخرج الحق وجاء على منهاج الصدق من غير أفراط ولا تفريط (٢) القبول مطلقا وحجة أولئك أن خير الشعر أكذبه وأفضل الكلام ما بولغ فيه (٣) وهو الذي عليه الأئمة التوسط بين الأمرين ، فتقبل مع الحسن أذا جرت على منهج الاعتدال ، ودليل ذلك وقوعها في التنزيل على ضروب مختلفة ، وترد أذا جاءت على جهة الأغراق والغلو ويذم مستعملها كما درج على ذلك أبو نواس وابن هانئ الأندلسي والمتنبي وأبو العلاء وغيرهم

« طرقها » للمبالغة طرق ثلاثة «١» استعمال اللفظ في غير ما وضع له كما تقدم لك في أبواب الاستعارة والتمثيل والكناية «٢» ترادف الصفات وتكريرها للتفخيم والتهويل كما في قوله تعالى اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَاشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ فانظر كيف تعددت هذه الجمل بلا عطف فأفادت المبالغة في حال الموصوف وأبانت

المراد على أحسن وجه «٣» أتمام الكلام بما يوجب المبالغة كقول المتنبي في صفة الفرس ومدحه بالصبر والجلد على الجرى

وَأُصْرِعُ أىَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ   وَأُنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ ارْكَبُ

مدحه أولا بأنه يلحق كل وحش ولم يستثن شيئا ثم عقبه بمدح أعظم ومبالغة أكثر بالشطر الثاني من أجل أنه أفاد به وفرة جريه وكثرة نشاطه وشدة صلابته

(أقسامها) تنقسم ألى ثلاثة أقسام تبليغ وأغراق وغلو لأن المدّعى للوصف من الشدة أو الضعف أما أن يكون ممكنا فى نفسه أولا ، الثانى الغلو والأول أما أن يكون ممكنا فى العادة أيضا أولا ، الأول التبليغ والثانى الأغراق

فالتبليغ هو ما يكون المدعى فيه ممكنا عقلا وعادة كقول امرئ القيس

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ   دِرَاكاً فَلَمْ يَنْضَحْ بِماءٍ فَيُغْسَلِ (١)

فقد وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثورا وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق ، وذلك مما لا يمتنع عقلا ولا عادة

والأغراق هو ما يكون المدعى فيه ممكنا عقلا لا عادة وهذا على ضربين

«١» وهو أجابهما الى حسن الأصغاء أن يقترن به ما يقربه من نحو

«١» عادى عداء والى موالاة بين الصيدين يصرع أحدهما أثر الآخر ودراكا متتابعا والنضح الرشح

« لو لولا كاد كأن » واذ ذاك يظهر حسنه ويبهر شكله كقول امرئ القيس

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ

مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْهَا لأَثَّرَا (١)

يصف محبوبته بالرقة ونعومة الجسم ، وقرب الدعوى بلفظة لو حتى جعل السامع يصغي الى ما يقول ، وقول المتنبي

رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الخِلاَلِ إِذَا   أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ   لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

وقول الفرزدق يمدح زين العابدين

يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ   رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَاجَاءَ يَسْتَلِمُ

« ب » أن يجيء مجردا عما ذكر كقول عمرو بن الأيهم

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا   وَنُتْبِعُهُ الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالا

فقد ادعى أنه يتبع جاره الكرامة حيث سار وهذا ليس بجائز في شرعة العادة وأن أجازه العقل ، والغلو ما يكون المدعى فيه غير ممكن لا عادة ولا عقلا وهذا مسرح الشعراء المفلقين في مدحهم وهجوهم وهو على قسمين أيضا

« ا » أن يقترن به ما يقربه الى الامكان كلفظة يكاد في قوله

« ١ » المحول ما أتى عليه حول والاتب درع المرأة وما قصر من الثياب وقميص بلا كمين

ويكادُ يَخرُجُ سُرعةً مِن ظِلِّهِ لو كانَ يرغَبُ في فِراقِ رَفيقِ (١)

وأجمل منه قوله تعالى يكادُ زَيتُها يُضيء ولو لم تَمسَسهُ نارٌ ، أو أن يتضمن نوعا حسنا من تخييل الصحة وتوهمها لشهود شيء يغالط الوهم فيه فتتبادر صحته كقول أبي الطيب

عقَدَتْ سنابكُها عليها عِثيَرًا لو تبتغي عنقًا عليهِ لأمكنا (٢)

فقد ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رءوسها بحيث صار أرضا يمكن السير عليها ، أو أن يخرج مخرج الهزل والخلاعة كقول القائل

أسكَرُ بالأمسِ إن عزَمتُ على الشُربِ غدًا إنَّ ذا مِنَ العَجَبِ

لا شك أن سكره على هذه الصفة محال ولكن حسنه الهزل لمجرد سرور المجالس ومضاحكته

«ب» أن يجرد عن الاعتبارات المتقدمة وهو مردود كقول أبي الطيب

كأنّي دَحَوتُ الأرضَ مِن خِبرتي بها

كأنّي بَنى الاسكندرُ السدَّ مِن عزمي

شبه نفسه بالخالق جل وعلا في دحوه الأرض ثم نزل فجأة الى الحضيض فشبه نفسه بالاسكندر ،

«١» يصف فرسا بسرعة الجري «٢» السنابك الحوافر والعثير الغبار والعنق السير السريع وضمير عليها للخيل

المذهب الكلامي

هذه التسمية تنسب ألى الجاحظ وهو أن يأتي البليغ على صحة دعواه وأبطال دعوى خصمه بحجة عقلية قاطعة تصح نسبتها ألى علم الكلام ولم يستشهد على هذا النوع بأعظم من شواهد القرآن ، فمن لطيف ذلك قوله تعالى لوْ كانَ فِيهِما آلِهةٌ الاّ اللهُ لفَسَدَتا أذ تمام الدليل لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله . وقوله عز وعلا حكاية عن أبراهيم فَلَمَّا أفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ لأن تحليل القياس القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي ، وقوله صلى الله عليه وسلم لوْ تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثيرًا فتمام الدليل لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم ، ويروى أن أبا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن أنت فقال من تميم فقال أبو دلف

تَميمٌ بِطُرْقِ اللُّؤْمِ أهدَى مِنَ القَطا وَإنْ سَلَكَتْ سُبْلَ الهِدايَةِ ضَلَّتِ

فقال له التميمي بتلك الهداية جئت اليك فأفحمه

حسن التعليل

هو أن تقصد ألى حكم من الأحكام فتراه مستبعدا من أجل ما اختص به من الغرابة واللطف فتأتي على جهة الاستظراف بعلة مناسبة للتعليل وتدعي كونها علة للحكم لتوهم تحقيقه وتقريره نهاية التقرير من قبل أن أثبات الشيء معللا آكد في النفس من أثباته مجردا عن التعليل ،

وأقسامه أربعة لأن الوصف أما ثابت قصد بيان علته أو غير ثابت أريد أثباته ، والثابت أما ألا يظهر له علة فى العادة أو يظهر له علة غير المذكورة ، وغير الثابت أما ممكن أوغير ممكن . فالأول كقول أبى تمام

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنَى فالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكانِ العالي

جعل علة حرمان الكريم من الغنى هى العلة التى من أجلها حرم المكان العالى من السيل فكما أن العلو هو السبب فى حرمان المكان العالى من السيل كذلك علو قدر الكريم هو المانع له من الغنى الذى هو كالسيل فى حاجة الخلق اليه ، ومما جاء نادرا بديعا من هذا الضرب قول أبى هلال العسكرى

زَعَمَ البَنَفْسَجُ أَنَّهُ كَعِذارِهِ حُسْناً فَسَلُّوا مِنْ قَفاهُ لِسانَهُ

فخروج ورقة البنفسج الى الخلف مما لا تظهر له علة ، ولكنه جعلها الافتراء على المحبوب ، و الثانى كقول المتنبى

ما بِهِ قَتْلُ أَعادِيهِ ولكِنْ يَتَّقِي إِخْلافَ ما تَرْجُو الذِّئابُ

جرت العادة بأن الملوك أنما يقتلون أعداءهم ليسلموا من أذاهم وضرهم ، لكن أبا الطيب أعمل الحيلة واخترع لذلك سببا غريبا فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن ألا ما اشتهر وعرف به حتى لدى الحيوان الأعجم من الكرم الغريزى ومحبته أجابة طالب الأحسان ومن ثم فتك بهم الفتك الذريع لأنه قد علم علم اليقين أنه أذا غدا للحرب رجت الذئاب والوحوش الضوارى أن يتسع عليها رزقها وتنال من لحوم أعدائه

القتلى فما أراد أن يخيب لها مطلبا ، وقول ابن المعتز وهو من لطيف ذلك

قالوا اشتكت عينُهُ فقلتُ لهم ... مِنْ كثرةِ القتلِ نالَها الوَصَبُ
حُمْرَتُها مِنْ دِماءِ مَنْ قَتَلَتْ ... وَالدَّمُ في النَّصْلِ شاهِدٌ عجَبُ

والثالث كقول مسلم بن الوليد

يا وَاشِياً حَسُنَتْ فينا إساءتُهُ ... نجّى حِذَارُكَ إِنسانِي مِنَ الغَرَقِ

فاستحسان أساءة الواشى ممكن لكنه لما كان مخالفا لما عليه الناس احتاج الى تعقيبه بذكر سببه وهو حذره من الواشى ولأجله امتنع من البكاء فسلم أنسان عينه من الغرق فى الدموع

والرابع كقول من قال مترجما أياه عن شعر فارسى

لو لَمْ تكُنْ نِيَّةُ الجوزاءِ خِدْمَتَهُ ... لمَا رأيْتَ عليها عِقدَ مُنْتَطَقِ (١)

فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد أثباتها وجعل الدليل على ذلك شدها النطاق

التفريع

هو أن يقصد الشاعر أو الناثر وصفا ما ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف توكيدا كقول ابن المعتز

«١» الجوزاء برج فيه عدة نجوم تسمى نطاق الجوزاء والنطاق والمنطقة مايشد به الوسط وقد يكون مرصعا بالجواهر كالعقد ومنتطق أي منتطق به

كَلاَمُهُ أَخْدَعُ مِنْ لحظِهِ ... وَوَعدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طيفِهِ

فبينما هو يصف خدع كلامه اذ فرغ منه وصف كذب وعده

ونوع آخر منه وهو أن يؤتى بالاسم منفياً ثم يتبعه بأعظم أوصافه المناسبة للمقام أما في الحسن أو في القبيح ثم يخبر بأفعل التفضيل كقول الأعشى

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... غناء جاد عليها مُسْبِلٌ هطِلُ

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

يوماً بأطيبَ منها طيبَ رائحةٍ ... وَلاَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الأُصُلُ

تأكيد المدح بما يشبه الذم

هو على ضروب ثلاثة (١) وهو أبلغها أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها وذلك هو الغاية في مدح الممدوح كقول النابغة الذبياني

وَلاَ عيبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ(١)

أثبت لهم بعض العيوب بتقدير عد فلول السيوف من المعايب والنقائص وهذا محال لأن ذلك دليل على كمال الشجاعة وفرط الحمية فكأنه في المعنى تعليق على المحال كما قالوا في الأمثال حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل

«١» الفلول جمع فل بفتح الفاء وهو الكسر في حد السيف وقراع الكتائب مضاربة الجيوش

في سم الخياط ، وفي هذا الأسلوب من الكلام تأكيد من جهتين

«ا» أنه كدعوى أقيم عليها البرهان إذ كأنه استدل على نفي العيب عنهم بتعليق وجوده على وجود ما لا يكون وما لا يتحقق بحال «ب» أن الأصل في الاستثناء الاتصالي فإذا تلفظ المتكلم بغير أو إلا أو نحوهما دار في خلد السامع ووقع في وهمه قبل النطق بما يذكر بعدها أن الآتي مستثنى من المدح السابق وأنه يراد به إثبات شيء من الذم ولكن عند ما يليها صفة مدح أخرى يحصل التوكيد ويكون مدحا على مدح في أبهى قالب وآنق منظر ، ونحوه قول ابن الرومي

وما تَعْتَرِيها آفةٌ بشريةٌ   منَ النَّوْمِ إلاَّ أنَّها تتغيَّرُ
كذلكَ أنفاسُ الرِّياضِ بسُحْرةٍ   تطيبُ وأنفاسُ الأنامِ تغيَّرُ

وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما

«٢» أن يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى كقوله عليه السلام أنا أفصحُ العربِ بيدَ[1] أنّي من قريش ، وقول النابغة الجعدي

فتًى كمُلتْ أخلاقُه غيرَ أنَّهُ   جوادٌ فما يُبقي منَ المالِ باقيا

وهذا الضرب يفيد التأكيد من الوجه الثاني فقط ولذا كان الضرب الأول أبلغ وأجمل

(١) بيد بمعنى غير

«٣» أن يؤتى بالاستثناء المفرغ كقوله تعالى وما تَنْقِمُ مِنّا إلاّ أن آمنّا بِآياتِ رَبّنا لمّا جاءتنا اذ المعنى وما تعيب منا الا أسس المناقب ودعائم المفاخر كلها وهو الايمان بآيات ربنا ،

ويجرى الاستدراك فى هذا الباب مجرى الاستثناء كقول البديع الهمذانى

هُوَ البَدْرُ إلاَّ أنَّهُ البَحْرُ زَاخِرًا ... سِوَى أنّهُ الضِّرْغامُ لكِنّهُ الوَبْلُ

فقوله ألا وسوى استثناء مثل بيد أنى من قريش وقوله لكنه استدراك يفيد فائدة الاستثناء أذ ألا فى باب الاستثناء المنقطع بمعنى لكن

تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو ضربان (١) أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها كما تقول فلان لا خير فيه ألا أنه يسيء الى من يحسن اليه (٢) أن يثبت للشيء صفة ذم ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له كما تقول فلان حسود ألا أنه نمام ، وبيان أفادتهما التوكيد مع تفاوتهما فيه تفهم على قياس ماعرفت فى الباب السابق؛ كما أن الاستدراك كالاستثناء أيضا

الأدماج

هو لغة من أدمج الشيء فى ثوبه لفه واصطلاحا أن يضمّن كلام سيق لمعنى من مدح أوغيره معنى آخر كقول أبى الطيب يصف طول الليل

«١» زخر البحر ارتفع وطمى والضرغام من أسماء الاسد والوبل المطر الغزير

أُقلِّبُ فيه أجفاني كأنّي أعُدُّ بها على الدّهرِ الذُنُوبا

فقد أدمج وأدخل فى وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر وكثرة ذنوبه،

التوجيه — الابهام

هو ايراد الكلام محتملا معنيين على السواء كهجاء ومديح ليبلغ القائل غرضه الذى يريده بما لا يمسك عليه كما روى أن محمد بن حزم هنأ الحسن بن سهل بتزويج بنته بوران للخليفة المأمون مع من هنأه فأثابهم وحرمه فكتب اليه أن أنت تماديت فى حرماني قلت فيك شعرا لا يعرف أهو مدح أم ذم فاستحضره وسأله فأقر فقال الحسن لا أعطيك أو تفعل فقال

بارَكَ اللهُ للحَسَنْ وَلِبورانَ فى الخَتَنْ

يا إمامَ الهُدى ظفرْ تَ ولكِنْ بِبِنتِ مَنْ

فلا يدرى ببنت من فى العظمة وعلو الشأن أم فى الدناءة والخسة فاستحسن الحسن منه ذلك وسأله أمن مبتكراتك هذا فقال لا بل نقلته من شعر بشار بن برد وكان كثير العبث بهذا النوع ،ومن أحاديثه فى ذلك أنه خاط قباء عند خياط أعور يسمى زيدا فقال له الخياط مازحا لأخيطنه فلا تدرى أهو جبة أم قباء فقال له بشار اذا أنظم فيك شعرا لا يعلم من سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك فلما خاطه له كما أخبره قبل قال فيه بشار

خاطَ لي زَيْد قَبَاء ليتَ عينيهِ سَوَاء (١)

قُلْ لِمَنْ يَعرِفُ هذا أمَديحٌ أمْ هِجاء

التهكم

هو الأتيان بلفظ البشارة في موضع الأنذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء وهو كثير الدخول في كلام رب العزة وكلام رسوله ومستفيض على ألسنة الفصحاء

فالبشارة في موضع الأنذار كقوله عز اسمه بَشِّرِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً أذ البشارة تدل على الوعد بحصول كل محبوب فأذا وصلت بالمكروه دلت على التهكم

والمدح في موضع الاستهزاء بأن تورد صفات المدح ويقصد بها الذم نحو ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ المقصد الاستخفاف والأهانة بأنه الذليل المهان ولكنه أخرج هذا المخرج تهكما

ونحوه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب إِنكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ لم يريدوا أنه يستحق المدح بهاتين الصفتين مع كونه أهلا لهما بل أخرجوا الكلام مخرج الاستهزاء تهكما بحاله تمردا منهم واستكبارا أذ غرضهم أنك

« ١ » قال في خزانة الادب أغلب الناس يسمون الخياط عمرا لكن صاحب تحرير التحبير روي أنه زيد وأورد البيت مصرعا مرفوع العروض والضرب

لأنت السفيه الجاهل حيث أمرهم بما لم يحبوا

الهزل الذي يراد به الجد

هو أن يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال كما حكي أن أشعب حضر وليمة بعض ولاة المدينة وكان بخيلاً فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجدهم على مائدة فيها جدي مشوي يحوم الناس حوله ولا يمسه أحد منهم لعلمهم ببخله وكان أشعب يحضر مع الوفود ويرى الجدي فقال في اليوم الثالث (زوجته طالق ان لم يكن عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول من عمره قبل ذلك)

ومن هذا المذهب قول أبي العتاهية

أَرْقيكَ أَرْقِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكا ... مِنْ بُخْلِ نَفْسِكَ عَلَّ اللهَ يَشْفِيكا

ما سِلْمُ نَيْلِكَ إِلاَّ مَنْ يُناوِلُها ... ولا عَدُوُّكَ إِلاَّ مَنْ يُرَجِّيكا

القول الموجب

هو نوعان أحدهما أن يقع في كلام أحد أثبات صفة لشيء وترتيب حكم عليها فينقل السامع تلك الصفة الى غير ذلك الشيء ساكتا عن الحكم كقوله تعالى ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمنافقون أرادوا بالأعز أنفسهم وبالأذل المؤمنين ورتبوا على ذلك الاخراج من المدينة فنقلت صفة العزة للمؤمنين وأبقيت صفة الأذلية للمنافقين من غير تعرض لثبوت حكم

الاخراج للمتصفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم

ثانيهما تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على غير ما يريده تنبيها على أنه الأولى بالقصد كقول القَبَعْثَرَي للحجاج وقد قال له متوعدا لأحملنك على الأدهم — مثل الامير يَحْمِلُ على الأَدْهَم والأَشْهَب (١) فقد أبرز وعيده في معرض الوعد وأبان له بألطف وجه أن من كان على صفته في السلطان وبسطة اليد فهو جدير بأن يُصْفِد ويعطي لا أن يَصْفِد ويُوثِق، وقد صرح الحجاج بمراده بعدُ فقال ويلك أنه لحديد فقال القبعثري لأَن يكُونَ حديدًا خيرٌ مِنْ أَنْ يكُونَ بليدًا فصرف كلامه هذا أيضا على غير ما يريد، قال السكاكي وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجي وسل سخيمته (٢) حتى آثر أن يحسن على أن يسيء غير أن سحره بهذا الأسلوب

الاطراد

هو أن يذكر اسم الممدوح واسم من يمكن من آبائه على ترتيب الولادة ليزداد ابانة وتوضيحا على ترتيب صحيح ونسق مستقيم من غير تكلف ولا تعسف فيكون كالماء الجاري رقة وانسجاما كقوله

---

(١) الأدهم الاول القيد والثاني من الخيل ما غلب سواده حتى ذهب البياض

(٢) الضغينة ، وسبب وعيده أياه مابلغ الحجاج عنه من أنه كان جالسا في بستان مع جماعة من أخوانه زمن الحصرم بكسر الحاء والراء فجرى ذكره فقال القبعثري اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه فلما مثل بين يديه قال له أأنت قلت ذلك قال نعم ولكن أردت العنب الحصرم

إنْ يقتلوكَ فقدْ ثللتَ عروشهم بعتيبةَ بنِ الحارثِ بنِ شهابِ(١)

وقول ذؤيد بن الصمة

قتلنا بعبدِ اللهِ خيرَ لِداتِهِ ذؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قاربِ(٢)

وقد روى أن عبد الملك لما سمعه قال لو لا القافية لبلغ به آدم ، ومنه قوله عليه السلام الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يوسفُ ابنُ يعقوبَ بنِ إسحقَ بنِ إبراهيمَ، أما ذكر الأمهات والجدات ، فليس محمودا عند البلغاء لما فيه من الركة وأنزال قدر الممدوح ولهذا عيب على أبي نواس قوله يمدح محمدا الأمين

أصبحتَ يابنَ زبيدةَ ابنةِ جعفرٍ أملاً لعقدِ حبالِهِ استحكامُ

الترجيع في المحاورة — المراجعة

هي أن يحكي المتكلم محاورة جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأخصر لفظ فيكون لكلامه الوقع الحسن والمنزلة العالية ، ومن جيد ذلك قول البحتري

بتُّ أسقيهِ صفوةَ الراحِ حتى وضعَ الكأسَ مائلاً يتكفا

قلتُ عبدَ العزيزِ تفديكَ نفسي قالَ لبيكَ قلتُ لبيكَ ألفا

(١) ثل العروش كناية عن ذهاب العز وتضعضع الحال

(٢) اللدة والترب والند نظيرك في السن

هاكَها قالَ هاتِها قلتُ خذها — قالَ لاأستطيعُها ثمّ أغفا

التطريز

هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى ويكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد كقول القائل

وتسقيني وتشربُ من رحيقٍ — خليقٍ أن يلقّبَ بالخلوقِ
كأنّ الكاسَ في يدها وفيها — عقيقٌ في عقيقٍ في عقيقِ

(تنبيه) من أنواع البديع الايغال والتكميل والتتميم والتذييل والتوشيع والاعتراض وتجاهل العارف وقد تقدم الكلام عليها مع مزيد البسط فى علم المعانى فى بابى الايجاز والأطناب والخروج عن مقتضى الظاهر فلم نر حاجة الى أعادة ذكرها هنا اكتفاء بما تقدم

بين أنواع المحسنات المعنوية الآتية

حروفُ سرّي جاءت لمعنًى أردتُهُ — برتبةِ أسماءٍ لهنّ وأفعالُ
إذا صدقَ الجدُّ افترى العمّ للفتى — مكارمَ لاتخفى وإن كذبَ الخالُ

وللغزالةِ شيءٌ من تلفّته — ونورُها من ضيا خدّيه مكتسبُ

رأى جسدي والدمعَ والقلبَ والحشا — فأضنى وأفنى واستمالَ وتيّما

آراؤهُ وعطاياهُ ونقمتُهُ   وعفوُهُ رحمةٌ للناسِ كلِّهمِ

فجودُ كفَّيهِ لم تقلعْ سحائبُهُ   عن العبادِ وجودُ السُّحبِ لم يدُمِ

وقال علي بن أبي طالب أنعمْ على من شئتَ تكنْ أميرَه واستغنِ عمن شئتَ تكنْ نظيرَه واحتجْ إلى من شئتَ تكنْ أسيرَه

شتّانَ أمّا الذي من فضلِ أنملهِ   فدائمٌ والذي للمزنِ لم يدُمِ

أبادهمْ فلبيتِ المالِ ما جمعوا   والروحُ للسيفِ والأجسادُ للرَّخمِ

وما يستوي الأعمى والبصيرُ ولا الظلماتُ ولا النورُ ولا الظلُّ ولا الحرورُ وما يستوي الأحياءُ ولا الأمواتُ

حلوُ الشمائلِ وهو مرٌّ باسلٌ   يحمي الذمارَ صبيحةَ الإرهاقِ

وفي الحديث إنّ للهِ رجالاً جعلهمْ مفاتيحَ الخيرِ مغاليقَ الشرِّ وقال أبو بكر في وصيته عند الموت هذا ما أوصى به أبو بكر آخرَ عهدِه من الدنيا خارجاً منها وأوّلَ عهدِه بالآخرةِ داخلاً فيها

إنْ تُردْ خبرَ حالِهمْ عن يقينٍ   فالقَهمْ في منازلٍ أو نزالِ

تلقَ بيضَ الوجوهِ سودَ مثارِ النقعِ خضرَ الأكنافِ حمرَ النصالِ

يُبدي وشاحاً أبيضاً من سيبِهِ   والجوُّ قد لبسَ الوشاحَ الأغبرا

فى خدهِ فتحٌ لمستطفةِ صدْغِهِ   والخالُ حبّةُ وقلبى الطائرُ

خُزَيمةُ خيرُ بنى حازمٍ   وحازمٌ خيرُ بنى دارمِ
ودارمٌ خيرُ تميمٍ وما   مثلُ تميمٍ فى بنى آدمِ

وقال تعالى تعلمُ ما فى نفسى ولا أعلمُ ما فى نفسكَ وقال عز اسمه ألا بُعدًا لمدينَ كما بعدتْ ثمودُ

سريْتُ بها حتى تجلّتْ بغُرّةٍ   كغُرّةِ يحيى حينَ يُذكرُ خالدُ

وقال الحسن بن سهل وقد قيل له لا خيرَ فى السرَفِ فقال لا سرَفَ فى الخيرِ

فلا مجدَ فى الدُّنيا لمَنْ قلَّ مالهُ   ولا مالَ فى الدُّنيا لمَنْ قلَّ مجدُهُ

أضاءتْ لنا أحسابُهم ووجوهُهم   دُجى الليلِ حتى نظّمَ الجزعَ ثاقبُهْ

ولو أنَّ ما بى منْ جوًى وصبابةٍ   على جملٍ لمْ يبقَ فى النارِ كافرُ

ولوْ لمْ تكنْ ساخطًا لمْ أكنْ   أذمُّ الزمانَ وأشكو الخطوبا

ما ربعُ ميّةَ معمورًا يطيفُ بهِ   غيلانُ أبهى رُبًا منْ ربعها الخربِ

ولا عيبَ فيكُمْ غيرَ أنَّ ضيوفَكُمْ   تُعابُ بِنسيانِ الأحِبَّةِ والوَطنْ

وفي الحديث بَشِّرْ مالَ البَخيلِ بِحادِثٍ أوْ وارِث

فَمالهُ مِنْ عَمَلٍ صالِحٍ   يَرْفَعُهُ اللهُ إلى أَسْفَلِ

فَنَوْبي مِثْلُ شَعْري مِثْلُ نَعْري   بَياضٌ في بَياضٍ في بَياضِ

المحسنات اللفظية

التجنيس — أقسامه — حسنه — فائدته

هو لغة من التجانس وهو التماثل واصطلاحا أن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه الآتية مع اختلاف المعنى

وينقسم الى قسمين تام وغير تام فالتام ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها وينقسم الى ما يأتي

(١) تماثل ومستوف (٣) فالمماثل ما كان اللفظان فيه من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين كقوله تعالى ويومَ تقومُ الساعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمونَ ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ فالساعة الأولى يوم القيامة والثانية واحدة الساعات، وقوله عليه السلام خلُّوا بينَ جَريرٍ والجَرير لما نازع الصحابة جرير بن عبد الله في أخذ زمام ناقة النبي عليه السلام أيهم يقبضه، وقول ابي تمام

فأصبحَتْ غُرَرُ الأيامِ مُشْرِقَةً   بالنَّصرِ تَضحَكُ عن أيامِكَ الغُرَرِ (١)

---

(١) الغرر الأولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء أكرمه فاللفظ واحد والمعنى مختلف

« ب » والمستوفى ما كان اللفظان فيه من نوعين كاسم وفعل كقول أبي تمام

مامات من كرم الزمان فإنه   يحيا لدى يحيى بن عبد الله

وقول الشاعر المعروف بالمغربي

لو زار ناطيفُ ذات الخال أحيانا   ونحن في حفر الاجداث أحيانا
تقولُ أنتَ امرؤ جافٍ مغالطة   فقلتُ لا هومتْ أجفانُ أجفانا(١)

« ٢ » غير مركب كالأمثلة التي فرطت ، ومركب وهو ما كان أحد ركنيه لفظا مركبا ويسمى جناس التركيب وينقسم الى

« ا » مركب من كلمتين تامتين ويسمى بالملفوف كقول القاضي الفاضل

عضنا الدهرُ بنابِهْ   ليت ما حلّ بنا بِهْ
لا يوالي الدهرُ إلاّ   خاملاً ليس بنابِهْ

وقول أبي الفتح البستي

ناظراه فيما جنتْ ناظراهُ   أوْ دعاني أمتْ بما أوْ دعاني

« ب » مركب من كلمة وبعض كلمة ويسمى مرفوا كقول الحريري

والمكرُ مهما اسطعتَ لا تأتِهِ   لتقتني السؤددَ والمكرُمهْ

---

(١) هوم الرجل هز رأسه من النعاس والأجفان الاولى جمع جفن والثانية من الجفاء كما أن أحيانا الاولى جمع حين والثانية فعل من الحياة

وقوله أيضاً

وَلاَ تَلهُ عن تَذْكارِ ذَنبِكَ وَابْكِهِ بِدَمْعٍ يُحاكِي المُزْنَ حالَ مَصابِهِ
وَمَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الحِمامَ وَوَقعَتَهُ وَرَوْعَةَ مَلْقاهُ وَمَطْعَمَ صابِهِ(١)

«٣» متشابه ومفروق لأنه أن توافقت المركبة من كلمتين مع غير المركبة في الخط لقب بمتشابه كقول بعض البلغاء يامغرور أمسك وقس يومك بأمسك ، وقول البستي

إذا ملكٌ لم يكنْ ذا هِبَهْ فدَعهُ فدَولتُهُ ذاهِبَهْ

وقوله أيضاً فهمتُ كتابكَ ياسيدي فهمتُ ولا عجبٌ أن أهيما

وأن لم تتفقا فيه لقب بمفروق كقوله أيضا

كُلُّكُمْ قد أخذَ الجامَ ولا جامَ لنَا
ما الذي ضرَّ مديرَ الجامِ لو جاملَنا(٢)

وقول الآخر

لا تعرضَنَّ على الرُّواةِ قصيدةً مالمْ تُبالِغْ قبلُ في تهذيبِها
فمتى عرضتَ الشعرَ غيرَ مُهذَّبٍ عدُّوهُ منكَ وساوساً تهذي بها

«١» المصاب الانصباب والسكب والصاب عصارة شجر مر

(٢) الجام الكأس وجاملنا عاملنا بالجميل ومدير الجام الساقي والاستفهام أنكاري

وقول الحريري   فَبِحَرْا بِيَ أَخْرَقَ بِي ، وَأَسْمالِيَ أَسْمَى لِي (١)

وغير التام ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأربعة

(١) فأن اختلفا في هيئات الحروف ، فأما في الحركات فيسمى محرفا كقولهم لا تُنالُ الغُرَرُ إلاَّ بِرُكُوبِ الغَرَرِ (٢) ، وقولهم البِدْعةُ شَرَكُ الشِّرْكِ

وقول الحريري

فَقُلْتُ لِلاَئِمِي أَقْصِرْ فَإِنِّي   سأَخْتارُ المَقَامَ على المُقَامِ

وأما في النقط فيسمى مصحفا كالآية وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ، والحديث عليكم بالأبكار فإنهن أشدُّ حُبّاً وأقلُّ خِبّاً ، وقول أبي فراس

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ أَغْتَرِفْ   وبِفَضْلِ عِلْمِكَ أَعْتَرِفْ

(ب) وأن اختلفا في العدد سمي ناقصا ويكون ذلك على وجهين (١) بزيادة حرف في الأول كقوله تعالى والْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَساقُ ويسمى مردوفا ، أو في الوسط كقولهم جَدِّي جَهْدِي (٣) ويسمى مكتنفا ، أو في الآخر ويسمى مطرفا كقول أبي تمام

يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ   تَصُولُ بِأَسْيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ (١)

---

(١) السمل كحذر الثوب الخلق وجمعه أسمال (٢) الغرر بالضم جمع أغر وهو الحسن من كل شيء وبالفتح التعريض للهلكة (٣) الجد الغنى والحظ والجهد التعب والمعنى ان حظى من الدنيا وغناى بمشقتي وتعبي لا بالوراثة (٣) العواصي جمع

وقول البحتري

لَئِن صَدَفَتْ عنا فَرُبَّتَ أنْفُسٍ   صوادٍ إلى تلكَ الوُجُوهِ الصَّوادِفِ (١)

(٢) بزيادة أكثر من حرف ويسمى مذيلا كقول الخنساء

إنَّ البُكاءَ هُوَ الشِّفا   ءُ مِنَ الجَوَى بينَ الجَوانِحْ

(ج) وأن اختلفا في نوع الحروف اشترط ألا يكون الاختلاف بأكثر من حرف وهو على وجهين

(١) أن يكون هو وما يقابله في الطرف الآخر متقاربي المخرج ويسمى مضارعا والاختلاف أما في الاول كقول الحريري بيني وبينَ كِنّي لَيْلٌ دامِسٌ وطريقٌ طامِسٌ (٢) أو في الوسط كقولهم البَرايا أهدافُ البَلايا وقوله تعالى وهُمْ يَنْهَوْنَ عنهُ ويَنْأَوْنَ عنهُ ، أو في الآخر كقول الحريري لهُمْ في السيرِ جَرْيُ السَّيْلِ وإلى الخيرِ جَرْيُ الخَيْلِ

(٢) أن يكونا غير متقاربي المخرج ويسمى لاحقا والاختلاف أما في الأول كالآية وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (٣) وقول الحريري لا أُعطي

عاصية من عصاه يعصوه ضربه بالعصا وعواصم من عصمه إذا حفظه وقواض حاكمات بالقتل وقواضب قاطعات (١) صدفت أعرضت والصوادي جمع صادية

(٢) السكن البيت وليل دامس مظلم وطريق طامس بعيد (٣) الهمزة من يعيبك في الغيب واللمزة من يعيبك في وجهك وقيل الهمزة المغتاب واللمزة العياب

زمامي لمن يخفر ذمامي[1] أو في الوسط كقوله تعالى ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ، أو في الآخر كقوله تعالى فَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ، وقول البحترى

أَلِمَا فَاتَ مِنْ تَلَاقٍ تَلَافٍ ... أَمْ لِشَاكٍ مِنَ الصَّبَابَةِ شَافِ

(د) وأن اختلفا في ترتيب الحروف سمى تجنيس القلب وهو ضربان

(١) قلب الكل كقولهم حُسَامُهُ فَتْحٌ لِأَوْلِيَائِهِ حَتْفٌ لِأَعْدَائِهِ

(٢) قلب البعض كما جاء في الصحيحين اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا ، وكما في قول أبي الطيب

مُمَنَّعَةٌ مُنَعَّمَةٌ رَدَاحٌ ... يُكَلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا[2]

« تنبيهان » الأول اذا ولى أحد المتجانسين الآخر على جهة التتمة والتكملة لمعناه سمى مزدوجا ومكررا ومرددا كما في الحديث الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ وكما في قولهم مَنْ طَلَبَ شَيْئاً وَجَدَّ وَجَدَ وَمَنْ قَرَعَ بَاباً وَلَجَّ وَلَجَ ، وقول البستي

أَبَا الْعَبَّاسِ لَا تَحْسَبْ لِشَيْنِي ... بِأَنِّي مِنْ حِلَى الْأَشْعَارِ عَارِ

أو هما بمعنى (١) الزمام للبعير الحبل الذي يوضع في الخشاش يشد الى طرفه المقود وجمعه أزمة وخفر بعهده وفى به وأخفره نقضه والذمام الحق والحرمة

(٢) الرداح المرأة الثقيلة الأوراك

فلي طَبعٌ كسلسالٍ مَعينٍ زُلالٍ مِنْ ذُرَى الأحجارِ جارِ
إذا ما أَكْبَت الأدوارُ زَنْدًا فلي زَنْدٌ على الأدوارِ وارِ

« الثانى » من التجنيس نوع يسمى تجنيس الاشارة وهو ألا يذكر أحد المتجانسين فى الكلام ولكن يشار أليه بما يدل عليه كقول بعضهم

حَلَقَتْ لِحيَةُ مُوسى باسمِهِ وبِهرُونَ إذا ما قُلِبا

فلا شك أنك اذا ما قلبت هرون من آخره يصير نوره لكنه لم يذكرها بلفظها بل أشار اليها بقوله وبهرون أذا ما قلبا

« حسن التجنيس وفائدته » قال فى أسرار البلاغة لا يحسن تجانس اللفظين ألا اذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله

ذَهبتْ بِمَذْهَبِهِ السَّماحَةُ فالتَوَتْ فيهِ الظُّنُونُ أَمَذْهبٌ أَمْ مُذْهَبُ

واستحسنت تجنيس القائل حتّى نَجا مِنْ خوْفِهِ وما نَجا [1] وقول المحدث

ناظِراهُ فيما جنَتْ ناظِراهُ أَوْ دَعانِي أَمُتْ بِما أَوْدَعانِي

لأمر يرجع ألى اللفظ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت فى الأول وقويت فى الثانى ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها ألا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر

---

(١) نجا الأولى أحدث والثانية خلص

قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق فى الصورة من حلى الشعر ومذكورا فى أقسام البديع ، وقال ابن رشيق فى العمدة التجنيس من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك فى تكلفه وقد كثر منه الساقه المتعقبون فى نظمهم ونثرهم حتى بردورك ، وقال ابن حجة الحموى فى خزانة الأدب أما الجناس فأنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب

رد العجز على الصدر

هو فى النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين المتفقين فى اللفظ والمعنى أو المتجانسين المتفقين فى اللفظ دون المعنى أو الملحقين بالمتجانسين وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق — فى أول الفقرة والآخر فى آخرها ، فالمكرران كقوله تعالى وتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، وقولهم الحيلةُ تَرْكُ الحيلَة ، والمتجانسات نحو سائِلُ اللَّئِيم يَرْجِعُ ودَمْعُهُ سائِلٌ، والملحقان اشتقاقا نحو واسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّارًا وشبه اشتقاق نحو قالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَالِينَ

وفى النظم أن يكون أحدهما فى آخر البيت والآخر أما فى صدر المصراع الأول أو فى حشوه أو فى آخره أو فى صدر المصراع الثانى

فشاهد الأول من المتكررين قول المغيرة بن عبدالله

سَرِيعٌ إِلى ابنِ العَمِّ يَلطِمُ وَجْهَهُ ... وليسَ إِلى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

وشاهد الثانى قول الصمة بن عبد الله القشيرى

أَقُولُ لِصاحِبِي والعِيسُ تَهْوِي ... بنا بَيْنَ المُنِيفَةِ فالضِّمارِ

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ (١)

وشاهد الثالث قول أبى تمام

ومَنْ كانَ بالبِيضِ الكَوَاعِبِ مُغْرَماً

فَمَا زِلْتُ بالبِيضِ القَوَاضِبِ مُغْرَماً (٢)

وشاهد الرابع قول ذى الرمة

وإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ ساعَةٍ ... قَلِيلاً فإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُها (٣)

وهكذا يقال للمتجانسين والملحقين بهما اشتقاقاً أو شبه اشتقاق

التسميط

هو أن يؤتى بالبيت من الشعر على أربعة مقاطع ثلاثة منها على سجع واحد مع مراعاة القافية فى الرابعة الى أن تنتهى القصيدة على هذا النمط كقول جنوب الهُذَلية

---

(١) العيس الابل يخالط بياضها شقرة وتهوى تنحدر والمنيفة والضمار موضعان وعرار نجد وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة (٢) الكواعب جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود والقواضب السيوف القواطع (٣) اسم يكون يعود الى الالمام الذى يفهم من البيت السابق والمعرج من التعريج وهو الاقامة

وَحربٍ وردْتَ وثغرٍ سددْتَ ... وعِلْجٍ شددْتَ عليْهِ الحبالا
ومالٍ حويْتَ وخيلٍ حميْتَ ... وضيفٍ قريْتَ يخافُ الوكالا (١)

وقول الحريرى

لزِمْتُ السِّفارَ وجُبْتُ القِفارَ ... وعِفْتُ النِّفارَ لأجْنى الفرَحْ
وخُضْتُ السُّيولَ ورُضْتُ الخُيولَ ... لِجرِّ ذُيولِ الصِّبا والمَرَحْ

التخييف

هو أن يكون الكلام من المنثور أو المنظوم معقودا من جزأين أحدى كلمتى العقد منقوطة كلها والأخرى كلها مهملة كقول الحريرى ثمَّ الكرمُ ثبَّتَ اللهُ جيشَ سُعودِكَ يزينُ . واللؤمُ غضَّ الدهرُ جفنَ حسودِكَ يشينُ والأروعُ يثيبُ . والمعورُ يخيبُ . والحُلاحِلُ يُضيفُ والماحلُ يخيفُ (٢) وقوله

اسْمحْ فبثُّ السَّماحِ زَيْنٌ ... ولا تُخِبْ آملًا تَضيَّفْ

لزوم ما لا يلزم — الأعنات

هو أن يلتزم الناظم أو الناثر قبل الروى أو قبل الفاصلة فى السجع ما ليس بلازم كأن يلتزم حرفا وحركة مخصوصين أو أحدهما وقد كان

---

(١) الثغر الموضع الذى يخشى منه مجيء العدو والعلج الرجل الضخم القوى وجمعه علوج وأعلاج والوكال الضعف والاتكال على الغير

(٢) الأروع الشهم الذكي الفؤاد والمعور القبيح السريرة والحلاحل السيد فى عشيرته الشجاع الركين فى مجلسه والماحل النحيف البدن والمكان المجدب

الروى أو السجع يحصل بدون ذلك ، فمن التزامهما معا قول أبى العلاء

ضَحِكنا وكان الضحكُ منا سفاهةً وحقٌّ لِسكانِ البسيطةِ أن يبكوا
يُحطِّمنا صرفُ الزمانِ كأننا زُجاجٌ ولكن لا يُعادُ لنا سبكُ

ومن التزام الحركة قول ابن الرومى وكان مولعا بهذا النوع قوله

لِما تؤذِنُ الدنيا بهِ من صُروفِها يكونُ بكاء الطفلِ ساعةَ يولدُ
وإلاّ فما يُبكيهِ منها وإنهُ لأوسعُ مِما كانَ فيه وأرغدُ
إذا أبصرَ الدُّنيا استهلَّ كأنهُ بما سوفَ يَلقى مِن أذاها يُهدَّدُ

ومثال التزامهما من المنثور قوله تعالى قالَ قرينُهُ رَبَّنا ما أطغيتُهُ ولكنْ كانَ فى ضلالٍ بعيدٍ قالَ لا تختصموا لدىَّ وقد قدَّمتُ إليكم بالوعيدِ ، وقوله فأما اليتيمَ فلا تقهرْ وأما السائلَ فلا تنهرْ وقوله عليه السلام فلا يُغنى عنكُمْ إلاّ عملٌ صالِحٌ قدَّمتموهُ أو حُسنُ ثوابٍ حزتموهُ

التشريع

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى أذا وقفت على كل واحدة منهما ، وأنما يقع ممن كان ضليعا متمكنا من صناعة النظم بارعا فى ذلك مقتدرا كقول بعضهم

اسلَمْ ودُمتَ على الحوادثِ مارَسا رُكنا ثَبيرٍ أو هِضابُ حِراءِ
ونَلِ المُرادَ مُمكَّناً مِنهُ على رَغمِ الدُّهورِ وفُزْ بِطولِ بقاءِ

وهذان من جيد ذلك النوع وأن كان أثر الصنعة ظاهرا عليهما ، فيمكن أن يذكرا على قافية أخرى وبحر آخر بأن يقال

اسلَمْ ودُمتَ على الحوَا ... دِثِ ما رَسا رُكنا ثبِيرْ
ونَلِ المُرادَ مُمكَّناً ... مِنهُ على رَغمِ الدُّهورْ

القلب

هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس وبدئ بحرفه الأخير الى الأول لم يتغير عما كان عليه ، ويجرى فى النثر والنظم لكنه نادر قليل لصعوبة مسلكه ووعورة مرتقاه فمن ذلك قوله تعالى وربَّكَ فكبِّرْ وقول بعضهم سِرْ فلاَ كَبا بِكَ الفرَسُ ، وقول القاضى الأرَّجانى

موَدَّتُهُ تدُومُ لِكُلِّ هوْلٍ ... وهلْ كُلٌّ موَدَّتُهُ تدُومُ

السجع — حكمه — شروط حسنه — أقسامه

هذا النوع كثير الاستعمال فى كلام الفصحاء وهو فى المنثور بإزاء التصريع الآتى بيانه فى المنظوم ، واشتقاقه من قولهم سجعت الناقة أذا مدت حنينها على جهة واحدة ، وفى اصطلاح علماء البيان أن تتواطأ الفواصل فى الحرف أو فى الوزن أو فى مجموعهما كما يعلم مما سيأتى

(حسنه) يرى الكثيرون من جهابذة الكلام ونقادالشعر حسنه وأن الكلام لا يحلو بدونه ، والدليل على ذلك أنك لا تجد لبليغ كلاما يخلو منه كما لا تخلو منه سورة وأن قصرت بل ربما وقع فى أوساط الآيات

كقوله تعالى لوْ نَشاء أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ على قُلوبِهِمْ ،

« شروط حسنه » لا يحسن السجع كل الحسن الا اذا استوفى أربعة أشياء

«١» أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع

«٢» أن تكون الألفاظ خدم المعانى اذ هى تابعة لها ، فاذا رأيت السجع لايدنى لك الا بزيادة فى اللفظ أو نقصان فيه فاعلم أنه من المتكلف الممقوت

«٣» أن تكون المعانى الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة

«٤» أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلت عليه الأخرى حتى لا يكون تكرار بلا فائدة

« أقسامه » السجع ضربان الأول أن تتفق فيه القرينتان فى حرف الروى ويسميه الرمانى السجع الحالى وعليه عمل المتأخرين وهو ثلاث مراتب

(ا) أن تكون ألفاظ القرينتين مستوية الأوزان متعادلة الأجزاء وهو أحسن أنواع السجع كقوله تعالى إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ

«ب» أن يختص التوازن بالكلمتين الاخيرتين من الفقرتين فقط دون ما عداهما من سائر الالفاظ نحو فِيها سُرُرٌ مَرْفوعَةٌ وأَكْوابٌ مَوْضوعَةٌ

«ج» أن يقع الاتفاق فى حرف الروى مع قطع النظر عن التوازن فى شىء من أجزاء الفقرة لافى آخر ولا غيره ويسمى المطرف كقوله تعالى مالَكُمْ لا تَرْجونَ للهِ وَقارا وقدْ خلَقَكُمْ أَطْوارا

الضرب الثانى أن يختلف حرف الروى فى آخر الفقرتين وهو الذى

يعبر عنه بالازدواج ويسميه الرماني السجع العاطل وهو منهج السلف من الصحابة والتابعين في مكاتباتهم وينقسم الى نوعين

(أ) أن يراعى التوازن في جميع كلمات القرينتين أو في أكثرها مع مقابلة الكلمة بما يعادلها وزناً ويسمي المماثلة وهو أحسنها وأعلاها كقوله تعالى وآتيناهما الكتابَ المستبينَ وهديناهما الصراطَ المستقيمَ

(ب) ألا يراعى التوازن الا في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين فقط ويسمي الموازنة كقولهم اصبرْ على حرِّ القتالِ ومضضِ النزالِ وشدةِ المصاعِ ومداومةِ البرازِ

وأيضا السجع أما قصير نحو والمرسلاتِ عرفاً فالعاصفاتِ عصفا وأما متوسط نحو اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمر وإنْ يروْا آيةً يُعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر واما طويل نحو إذْ يريكهمُ اللهُ في منامِكَ قليلا ولوْ أراكَهمْ كثيراً لفشلتمْ ولتنازعتمْ في الأمرِ ولكنَّ اللهَ سلَّمَ إنهُ عليمٌ بذاتِ الصدورِ، وإذْ يُريكموهمْ إذِ التقيتمْ في أعينكمْ قليلاً ويقللكمْ في أعينهمْ ليقضيَ اللهُ أمراً كانَ مفعولاً وإلى اللهِ تُرجعُ الأمورِ

(أحسن السجع) أحسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى في سدرٍ (١) مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ وظلٍّ ممدودٍ، ثم ما طالت قرينته

«١» المخضود الذي لاشوك له والطلح شجر الموز والمنضود الذي نضد بالحمل

الثانية عن الأولى كقوله تعالى والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى أو الثالثة كقوله عز اسمه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه، ولا يحسن أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى كثيرا لأن السجع اذا استوفى أمده فى الأول بطوله وجاء الثانى أقصر منه كان كالشيء المبتور وشاهد ذلك الذوق السليم

(تنبيهات) الأول اعلم أن فواصل الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها لأن المزاوجة بين الفقر فى جميع الصور لا تتم الا بالوقف ألا ترى أن قولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت لو وصلته لم يكن هنالك بد من أعطاء أواخر القرائن ما يستلزمه حكم الاعراب فتختلف أواخرها ويفوت السجع

(الثانى) يقال للجزء الواحد من السجع سجعة وجمعها سجعات، وفقرة وجمعها فقر وفقرات وفقرات، وقرينة لمقارنة أختها وتجمع على قرائن، وللحرف الأخير منها حرف الروى أو الفاصلة

(الثالث) ربما غيرت الكلمة عن موضوعها فى تصريف اللغة طلبا للسجع والمزاوجة بين الكلمة وأخواتها ألا ترى قوله عليه السلام فى تعويذه لابن ابنته أعيذه من الهامه والسامه والعين اللامه وأصلها اللمة لأنها من ألم فعبر عنها باللامة لموافقة الهامة والسامة، وقوله للنساء انصرفن

من أسفله الى أعلاه

مأزورات ، غير مأجورات والأصل موزورات أخذا من الوزر لكنه قال مأزورات لمكان مأجورات

(الرابع) يرى بعض العلماء ومنهم الباقلانى وابن الأثير كراهة أطلاق السجع على القرآن الكريم لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما يخلو من التكلف والتعسف وأنما يسمى مثل هذا فواصل يستريح الكلام اليها

التصريع ـ سجع الشعر

هوجعل العروض مقفاة تقفية الضرب فتى عرف عجز النصف الأول من البيت عرفت القافية ، وكثيرا ما يرد فى شعر المتقدمين وقل من استعمله من المتأخرين ، وينقسم ألى سبع درجات

« ١ » وهى أعلى المراتب أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه فى فهم معناه غير محتاج ألى ما يليه ويسمى التصريع الكامل كقول إمرئ القيس فى معلقته

أفاطِمَ مَهلاً بَعضَ هـذَا التَّدَلُّلِ وإنْ كُنْتِ قد أزمعْتِ صَرمي فأجملي

« ٢ » أن يستقل المصراع الأول بنفسه ولا يحتاج ألى الذى يليه الا أن الثانى يرتبط به كقوله أيضا

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ ومنْزِلِ بِسقْطِ اللِّوَى بيْنَ الدَّخول فحَومَلِ

« ٣ » أن يكون الشاعر مخيرا فى وضع كل مصراع موضع الآخر ويسمى التصريع الموجه كقول ابن حجاج البغدادى

مِنْ شُرُوطِ الصَّبُوحِ فِى المِهْرَجانِ   خِفَّةُ الشُّرْبِ مَعْ خُلُوِّ المَكانِ

(٤) ألا يستقل المصراع الأول بنفسه ولا يفهم منه المعنى ألا بالثانى ويسمى التصريع الناقص وليس بمستحسن كقول المتنبي

مَغانِى الشِّعْبِ طِيباً فِى المَغانِى   بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزمانِ(١)

(٥) أن يحصل التصريع فى البيت بلفظة واحدة فى الوسط والقافية ويسمى التصريع المكرر ، كقول عبيد الأبرص

وَكُلُّ ذِى غَيْبَةٍ يَؤُوبُ   وَغائِبُ المَوْتِ لا يَؤُوبُ

«٦» أن يكون المصراع الأول معلقا على صفة يأتى ذكرها فى أول المصراع الثانى ويسمى التصريع المعلق وهو معيب عند أهل الصناعة الشعرية كقول امرئ القيس

ألا أيُّها اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ألا انْجَلِى   بِصُبْحٍ وما الإِصْباحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ

«٧» أن يكون التصريع فى البيت مخالفا لقافيته ويسمى التصريع المشطور وهو أدنى درجات التصريع وأقبحها كقول أبى نواس

أَقِلْنِى قَدْ نَدِمْتُ عَلى الذُّنُوبِ   وَبِالإِقْرارِ عُذْتُ مِنَ الجُحُودِ

فقد صرع فى وسط البيت بالباء وفى آخره بالدال ، وهذا لا يكاد يستعمل ألا على الندرة والقلة

«١» المغانى جمع مغنى وهو المكان الذى فيه أهله والشعب موضع بعينه كثير الشجر

« تمرين »

بين أنواع المحسنات اللفظية الآتية

كُنْ كيفَ شئتَ عن الهوى لا أنتهي ... حتى تعودَ ليَ الحياةُ وأنتَ هي

فلانٌ حازمٌ حاملٌ لأعباء الأمور ، كافٍ كافلٌ لمصالح الجمهور ،

أسبَلْنَ منْ فوقِ النُّهودِ ذَوائبا ... فتركْنَ حبّاتِ القلوبِ ذَوائبا

فإنْ حلُّوا فليسَ لهمْ مقرٌّ ... وإنْ رحلُوا فليسَ لهمْ مفرٌّ

لعيْني كُلَّ يومٍ فيهِ عَبْرَه ... تُصيِّرُني لأهلِ العشقِ عِبْرَه

يسارٌ منْ سجيّتِها المنايا ... ويُمنَى منْ سجيّتِها اليسارُ

هُمُ القومُ إنْ قالُوا أصابُوا وإنْ دُعوا

أجابُوا وإنْ أعطوْا أطابُوا وأجزَلوا

وقال عز اسمه فلا أُقسمُ بالخُنَّسِ ، الجَوارِ الكُنَّسِ ، وفي الحديث اللهمَّ أعطِ منفقًا خلفًا ، وأعطِ مُمسكًا تلفًا ،

تذييل في السرقات الشعرية وما يرتبط بها

الشاعران اذا توافقا على اللفظ والمعنى أو على المعنى وحده فان لم يعلم أخذ الثاني من الأول جاز أن يكون من قبيل اتفاق القرائح وتوارد الأفكار من غير قصد الى سرقة وأخذ ويسمى مواردة يرشد الى ذلك أن ابن ميادة

لما أنشد ابن الاعرابي قوله لنفسه

مُفِيدٌ ومِتلافٌ إذا ما أتيتَهُ تهلَّلَ واهتزَّ اهتزازَ المهنَّدِ

قيل له أين يذهب بك ، هذا للحطيئة قال الآن علمت أنى شاعر أذ وافقته على قوله ولم أسمعه الا الساعة ولذا لا ينبغي لأحد أن يحكم على شاعر بالسرقة مالم يعلم جلية أمره بأن يتيقن انه كان يحفظ قول من سبقه حينما نظم أو بأن يخبر عن نفسه بأنه أخذ ممن تقدمه

فان لم يعرف ذلك فالواجب أن يقال قال فلان كذا وقد سبقه أليه فلان فقال كذا حتى يتباعد عن دعوى المعرفة بالغيب ويسلم من انتقاص غيره ويكون صادقا فيما حكم وقال .

واعلم أن اتفاق القائلين أن كان فى الغرض كالوصف بالشجاعة والسخاء والذكاء ، أو فى وجه الدلالة على الغرض كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر ووصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم — لا يعد هذا سرقة ولا استعانة لأن تلك أمور اشتركت فيها العقول وتقررت بحكم العادات واستوى فيها الفصيح والأعجم

ونظير هذا قولهم أن الطيف يجود بما يبخل به صاحبه ، وأن الممدوح يجود ابتداء من غير مسئلة ، وأن هذا الرزء أول حادث . وأن الذاهب لم يكن واحدا وانما كان قبيلة ، وأشباه ذلك مما يجرى هذا المجرى

أما اذا احتاج المعنى الى كد الفكر فذاك هو الذى يدعى فيه

الاختصاص والسبق لأنه لا يصل الى مثله كل أحد فهو جدير بأن يقضى فيه بالتفاضل بين القائلين ويقال أن أحدهما يفضل الآخر وأن الثانى زاد على الأول أو نقص كما فعل أبو تمام وكان امام الصنعة ورئيسها فابتدع معنى جديدا لم يسبق اليه وذلك أنه أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينيه التى مطلعها   ما فى وُقوفِكَ ساعةً مِنْ باسِ   فلما انتهى الى قوله

إقْدَامُ عمرٍو فى سماحةِ حاتِمٍ   فى حِلْمِ أحْنَفَ فى ذَكاءِ إياسِ

قال الحكيم الكندى وأى فخر فى تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأطرق أبو تمام ثم أنشد

لا تُنكِرُوا ضَرْبى لهُ مَنْ دُونَهُ   مثلاً شَرُودًا فى النَّدَى والبَاسِ

فاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأقَلَّ لِنُورِهِ   مثلاً مِنَ المشْكاةِ والنِّبْرَاسِ

فهذا معنى ابتكره ولم يتقدمه أحد به فمن أتى بعده بهذا المعنى أو بجزء منه عد سارقا له . وهذه السرقات وأن تعددت فنونها وكثرت مذاهبها لا تخرج عن ثمانية أنواع وهى

(١) النسخ أو الانتحال وهو سرقة مذمومة ، وحقيقته أن يأخذ أحد الشاعرين معنى صاحبه ولفظه كله أو أكثره فهو ينقسم الى قسمين

« ١ » أن يأخذ لفظ الأول ومعناه ولا يخالفه الا بروى القصيدة كقول امرئ القيس

وُقوفاً بِها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ   يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَحَمَّلِ

أخذه طرفة وأجراه على منواله الاول فقال

وُقوفاً بِها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ   يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ

« ب » أن يأخذ المعنى وأكثر اللفظ كما قال بعضهم يمدح معبدا ويذكر فضله في الغناء

أَجادَ طُوَيْسٌ والسُّرَيْجِيُّ بَعْدَهُ   وما قَصَباتُ السَّبْقِ إِلاّ لِمَعْبَدِ

أخذه أبو تمام فقال

مَحاسِنُ أَوْصافِ المُغَنِّينَ جَمَّةٌ   وماقَصَباتُ السَّبْقِ إِلاّ لِمَعْبَدِ

« ٢ » المسخ أو الاغارة وهو أن يؤخذ بعض اللفظ أو يغير بعض النظم وهو ثلاثة أضرب

(١) أن يكون الثاني أبلغ من الاول لاختصاصه بحسن السبك أوجودة الاختصار أو الايضاح أوزيادة المعنى وهو مقبول ممدوح كقول الآخر

خَلَقْنا لَهُمْ في كُلِّ عَيْنٍ وحاجِبٍ   بِسُمْرِ القَنا وَالْبِيضِ عَيْناً وحاجِبا

مع قول ابن نباتة وهو بعده وقد زاد فيه معنى لم يطرقه الأول وهو الأشارة الى انهزامهم

خَلَقْنا بِأَطْرافِ القَنا في ظُهُورِهِم   عُيُوناً لها وَقْعُ السُّيُوفِ حَواجِبُ

(ب) أن يكون الثاني دون الأول في البلاغة وهذا جدير بالرد وخليق

بالمذمة كقول أبي تمام

هيهاتَ لا يأتي الزّمانُ بمثلهِ إنّ الزّمانَ بمثلهِ لبخيلُ

مع قول أبي الطيب وقد أخذ عنه وقصر عن الغاية التي وصل اليها سابقه وهو

أعدَى الزّمانَ سخاؤهُ فسخا بهِ ولقدْ يكُونُ بهِ الزّمانُ بخيلاَ(١)

اذ قوله يكون بلفظ المضارع لم يقع موقعه أذ المعنى على المضى ، ولكن الوزن ألجأه الى ذلك

(ح) أن يكون الثاني مثل الأول وهو حينئذ بعيد من الذم والفضل للسابق كقول بشار

ياقومِ أذْنِي لبعضِ الحيّ عاشقةٌ والأذْنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحيانا

مع قول ابن الشحنة الموصلي وقد أخذه من سابقه

وإنّي امرُؤٌ أحببْتكُمْ لمكارمٍ سمعتُ بها والأذْنُ كالعينِ تعشقُ

(٣) السلخ والالمام وهو أخذ المعنى وحده وينقسم الى ثلاثة أقسام أيضا

(ا) أن يكون الثاني ممتازا بحسن سبكه وبلاغته ورصانته كقول البحتري

تصدُّ حياءً أنْ تراكَ بأوجهٍ أتى الذّنبَ عاصيها فليمَ مطيعُها

وقول أبي الطيب وهو أحسن منه سبكا وكأنه اقتبسه من قوله تعالى أتُهلكنا

(١) المعنى أن الزمان سخا به علي وكان بخيلا به فاما أعداه سخاؤه أسعدني بضمي أليه وهدايتي له

بما فعل السفهاء منا

وجُرْم جرّهُ سفهاء قوْمٍ وحلّ بغيْرِ جارمِه العذابُ

(ب) أن يكون الثاني دون الاول كقول بعض الأعراب

وريحُها أطيبُ مِنْ طِيبها والطِّيبُ فيهِ المِسْكُ والعنبر

وقول بشار وقد أخذه منه وقصر عنه فى المعنى حيث يقول

وإذا أدْنيْتُ مِنْها بَصَلاً غلبَ المِسْكُ على ريحِ البَصَل

(ج) أن يتساوى الأول والثانى كقول الأعرابى

ولمْ يكُ أكْثرَ الفِتْيانِ مالاً ولكنْ كانَ أرْحبَهمْ ذِرَاعا(١)

مع قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى البرمكى

وليْسَ بأوْسَعِهِمْ فى الغِنى ولكنَّ معْرُوفهُ أوْسعُ(٢)

وهذه الأنواع الثلاثة من الأخذ الظاهر ، أما غير الظاهر فهو ذو شعب كثيرة أهمها الآتية

« ٤ » التشابه وهو أن يتشابه معنى الأول والثانى كقول الطرماح ابن حكيم الطائى

لقدْ زادَني حُبًّا لِنفْسيَ أنَّني بَغيضٌ إلى كُلِّ امرئٍ غيْرِ طائِلِ

« ١ » رحب الباع والذراع ورحيبهما سخيهما « ٢ » قبله ،

يريد الملوك مدى جعفر ولا يصنعون كما يصنع

مع قول المتنبي

وإذا أتتكَ مذمّتي من ناقصٍ　　فهيَ الشّهادةُ لي بأنّي كاملُ

فذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو طائل الطرماح. وشهادة ذم الناقص أباالطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه ، وليس بضائر في التشابه اختلاف الغرض في البيتين كأن يكون أحدهما نسيبا والآخر مديحا أو هجاء أو افتخارا فأن الحاذق من يتحيل في أخفاء مأخذه بتغيير لفظه والعدول عن القافية والوزن

(٥) النقل وهو أن ينقل معنى الأول الى غير محله كقول البحتري

سُلِبوا فأشرَقتِ الدّماءُ عليْهمُ　　مُحْمَرّةً فكأنّهمْ لمْ يُسْلَبوا (١)

نقله المتنبي الى السيف فقال

يبِسَ النّجيعُ عليْهِ وَهْوَ مُجرَّدٌ　　عنْ غِمْدِهِ فكأنّما هُوَ مُغْمَدُ(٢)

«٦» أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول كقول جرير

إذَا غَضِبَتْ عليكَ بَنو تَميمٍ　　وجدْتَ النّاسَ كُلّهُمُ غِضابا

أخذه أبو نواس وعمم فيه فقال يستعطف الرشيد لما سجن الفضل البرمكي

وَليْسَ على اللهِ بِمُسْتَنْكرٍ　　أنْ يَجْمَعَ العالَمَ في واحِدِ

«٧» القلب وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول كقول

---

(١) سلبوا أي ثيابهم وكأنهم لم يسلبوا لأن الدماء المشرقة من شعاع الشمس كانت بمنزلة الثياب لهم (٢) النجيع الدم المائل الى السواد

أبي الشيص في الغرام بمحبوبه

أَجِدُ المَلامَةَ في هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

قلبه أبو الطيب فقال

أَأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فِيهِ مَلامَةً ... إِنَّ المَلامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (١)

فأبو الشيص صرح بحب الملامة من حيث اشتمال اللوم على ذكر المحبوب وهذا محبوب له ، والمتنبي صرح بكراهتها لصدورها من أعدائه وكل ما يصدر من العدو فهو مبغوض فكل منهما نحا منحى غير الآخر

(٨) أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف أليه زيادة تحسنه كقول الأفوه الأودى

وتَرَى الطَّيْرَ على آثارِنا ... رَأْيَ عينٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارْ

مع قول أبي تمام

لَقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أعلامِهِ ضُحًى ... بِعُقْبانِ طَيْرٍ في الدِّماءِ نَوَاهِلِ

أَقامَتْ مَعَ الرَّاياتِ حتّى كأنَّها ... مِنَ الجَيْشِ إلاَّ أنَّها لم تُقاتِلِ (٢)

فقد أفاد الأفوه بقوله رأى عين قربها لأنها أذا بعدت تخيلت ولم تر ، وهذا القرب أنما كان لتوقعها الفريسة ، وبقوله ثقة أن ستمار تأكدها مما هي طامحة أليه ، أما ابو تمام فلم يحم حول هذا ولكنه زاد عليه قوله ألا أنها لم تقاتل وقوله في الدماء نواهل ثم بأقامتها مع الرايات حتى كأنها من

«١» الاستفهام للانكار وجملة وأحب فيه ملامة حالية والانكار راجع للجمع بين محبته ومحبة الملامة فيه . (٢) يريد ان أعلامه وراياته الشبيهة بالعقبان في التلون والفخامة ظللت بعقبان طير قد رويت من الدماء

الجيش وحسن من أجل ذا أن يقول ألا أنها لم تقاتل وبهذه الزيادة أكسبت كلامه حسنا وطلاوة وأن كان قد ترك بعض ما ألم به الأفوه

(تنبيه) الأنواع التي ليس الأخذ فيها ظاهرا كلها مقبولة ، ومنها ما يدق فيه الصنع ويخفى فيه مكان الأخذ حتى يخرج بحسن التصرف وجودة السبك من حيز الأخذ والاتباع الى أن يكون أشبه بالاختراع والابتداع . أما ما يرتبط بالكلام على هذا الباب فهو ثمانية أنواع

(١) الاقتباس وهو أن يضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف على وجه لا يكون فيه أشعار بأنه منه [1] كقول الحريري (أنا أنبئكم بتأويله) وأميز صحيح القول من عليله ، وقول القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في معشوق له يسمى بالنسيم

انْ كانتِ العُشاقُ مِنْ أشْوَاقِهِمْ جعلُوا النّسيمَ إلى الحبيب رَسولا
فأنا الذِي أتْلو لهُمْ « ياليتَني كُنْتُ اتّخذْتُ معَ الرّسولِ سَبيلا »

وقول الحريري وكِتْمانُ الفقْرِ زَهادَة « وَانتِظارُ الفَرَجِ بالصبْرِ عِبادَة » فالفاصلة الثانية حديث وقول الصاحب بن عباد

قالَ لي إنّ رَقيبي سيّىء الخُلْقِ فدَارِهْ

---

(١) كأن يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا أو قال النبي عليه السلام كذا فان مثل هذا لا يسمي اقتباسا

نُتُ دَعْى وجْهكَ الجَنـةُ حُفَّتْ بالمكارِه

اقتبسه من الحديث حُفَّتِ الجنةُ بالمكارِهِ وحُفَّتِ النارُ بالشهوات

وينقسم الاقتباس الى ضربين

(١) ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى الى معنى آخر كما تقدم

(٢) ما ينقل الى معنى آخر كقول ابن الرومى

لئنْ أخطأتُ فى مَدْحِيـكَ ما أخطأتَ فى منعى
لقدْ أنزلتُ حاجاتى « بوادٍ غيرِ ذِى زرْعٍ »

فقد كنى بهذا الوادى عن رجل لا يرجى نفعه ولا خير فيه ، وهو فى الآية الكريمة واد لا ماء فيه ولا نبات ، وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير كقول بعضهم فى الرثاء

قدْ كانَ ما خِفْتُ أنْ يكونا « إنّا إلى اللهِ رَاجعونا »

« تتمة » الاقتباس على ثلاثة أقسام مقبول وهو ما كان فى الخطب والمواعظ، ومباح وهو ما يكون فى الغزل والرسائل والقصص ، ومردود وهو ما كان فى الهزل كقول القائل

أوْحى إلى عشّاقِهِ طَرْفُهُ (هيهاتَ هيهاتَ لِما تُوعدُون)
وَرِدْفُهُ ينطقُ مِنْ خلفِهِ (لِمثْلِ هذا فليَعملِ العامِلُون)

(٢) التضمين وهو أن يضمن الشاعر كلامه شعرا من شعر غيره مع

التنبيه عليه أن لم يكن مشهورا لدى نقاد الشعر وذوى اللسن كقول الحريرى يحكى ماقاله الغلام الذى عرضه أبوزيد للبيع

عليَّ أنّي سأنشدُ عندَ بيعي (أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا)

المصراع الأخير للعرجى وأصله

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثغرِ[1]

أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته فكقوله

قدْ قلتُ لما أطلعَتْ وجناتُهُ حولَ الشقيقِ الغضِّ روضةَ آسِ[2]

أعذارَهُ الساري العجولَ ترفَّقاً ما في وقوفِكَ ساعةً مِنْ باسِ

المصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبى تمام

ما في وقوفِكَ ساعةً مِنْ باسِ تقضي حقوقَ الأربُعِ الأدراسِ

وأحسن التضمين أن يزيد المضمن فى كلامه نكتة لا توجد فى الأصل كالتورية والتشبيه فى قوله

إذا الوهمُ أبدى لي لماها وثغرَها تذكَّرتُ ما بينَ العُذيبِ وبارقِ

ويُذكِرُني مِنْ قدِّها ومدامعي مجرَّ عواليِنا ومجرى السوابقِ[3]

المصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبى الطيب

«١» الكريهة الحرب وسداد الثغر بكسر السين سده بالخيل والرجال والثغر الموضع الذى يخشى منه العدو «٢» أطلعت أبدت والوجنات ما ارتفع من الخدين والآس الريحان ويريد به العذار وترفقا أمر من ترفق (٣) اللمى سمرة الشفتين ويذكر من الأذكار ومجر

تذكَّرتُ ما بينَ العُذيبِ وبارقٍ مجرَّ عوَالينا ومجرَى السوَابقِ(١)

يريد المتنبي أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ويسابقون على الخيل ، أما الشاعر الآخر فأراد بالعذيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة وببارق ثغرها الشبيه بالبرق وبما بينهما ريقها وهذه تورية بديعة نادرة في بابها ، وشبه تبختر قدها بتمايل الرماح وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق

«٢» العقد وهو نظم المنثور لا على طريق الاقتباس(٢) ، ومن شروطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ، فعقد القرآن كقول القائل

أنِلني بالذي استقرضتَ خطًّا وأشهِدْ معشرًا قدْ شاهدُوهُ
فإنّ اللهَ خلّاقُ البرايا عنَتْ لجلالِ هيبتِهِ الوُجوهُ
يقولُ «إذَا تدَاينتُمْ بدَينٍ إلى أجلٍ مُسمًّى فاكتبُوهُ»

وعقد الحديث كقوله

إنّ القُلوبَ لأجنادٌ مُجنّدَةٌ بالإذنِ مِنْ رَبِّها تهوَى وتأتلفُ
فما تعارَفَ مِنْها فهُوَ مؤتلفٌ وما تناكرَ مِنْها فهُوَ مُختلفُ

عقد لقوله عليه السلام الأرْوَاحُ جُنُودٌ مجنّدَةٌ ما تعارَفَ مِنْها ائتلفَ وما

وهي رءوس الرماح مفعول ثان ليذكر وفاعله يعود على الوهم

(١) ما بين ظرف للتذكر أو للمجر ومجر بدل منه وما زائدة

(٢) فلا بد أن يغير فيه تغييرا كثيرا أو يشير إلى أنه من القرآن أو الحديث

تناكرَ منها اختلافَ

«٤» الحل وهو نثر النظم وشرط قبوله أمران

«ا» أن يكون سبكه جيدا لا ينقص عن سبك أصله

«ب» أن يكون حسن الموقع مستقرا فى محله غير قلق ولا ناب كما قيل فإنهُ لماَ قبُحَتْ فَعَلاتُهُ وحنْظَلَتْ نَخَلاَته لمْ يزلْ سوء الظَّنِّ يقتادُهُ ويُصدِّقُ توَهُّمَهُ الذي يَعتادُهُ، [1] وهو حل قول [2] أبى الطيب

اذَا ساءَ فِعلُ المرءِ ساءتْ ظنُونُهُ وصدَّقَ ما يَعتادُه مِنْ توَهُّمِ

«٥» التلميح وهو أن يشير الناظم أو الناثر فى بيت أو قرينة سجع الى قصة معلومة أو نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو مثل أو حكمة، وأحسنه وأبلغه ماحصل به زيادة فى المعنى المقصود كقول بعضهم فى مليح اسمه بدر

يابدرُ أهلُكَ جارُوا وعلَّمُوكَ التَّجرِّى وقبَّحُوا لكَ وَصْلى
وحسَّنوا لكَ هجرى فليفعلُوا ما أرادُوا فإنَّهمْ أهلُ بدْرِ

أشارة الى قوله عليه السلام لعمر حينما سأل قتل حاطب [3] بن أبى بلتعة وكان

---

(١) الفعلات الأفعال وحنظلت نخلاته أى صار نخلاته أى صارت كالحنظل فى المرارة والمراد بها نتائج أفكاره ويقتاده يقوده (٢) قاله يشكو سيف الدولة واستماعه لقول أعدائه (٣) لأنه أرسل خطابا مع امرأة لأهل مكة سرا يخبرهم بعزم

ممن شهد بدرا لعلَّ اللهَ قد اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ فقالَ اعملُوا ما شئتم فقدْ غفرتُ لكمْ

(٦) حسن الابتداء — براعة المطلع — هذا أحد المواضع الثلاثة التي ينبغي للشاعر أو الناثر أن يجيد سبكها ويحسن رصفها ليكون مفتتح كلامه مشعرا بما يرمى اليه ومشيرا الى ما يريده

قال ابن رشيق في العمدة أن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح كما جاء في الخبر الشعر قفل أوله مفتاحه فعلى الشاعر أن يجوِّد ابتداء شعره فانه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة ، وليجتنب « ألا وخليليَّ وقد » فلا يستكثر منها في ابتدائه فانها من علامات الضعف والتكلان ألا للقدماء وليجعله حلوا سهلا وفخما جزلا انتهى

ومن جيد الابتداءات قول امرئ القيس

قفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحَومَلِ (١)

فقد وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد ، ونحوه قول النابغة

كِليني لِهَمٍّ يا أُميمةَ ناصِبِ وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكبِ

النبي وأصحابه على فتح مكة ليكون له يد عندهم فعلم النبي ذلك بالوحي

(١) السقط منقطع الرمل حيث يدق واللوى رمل معوج ملتو والدخول وحومل موضعان

وقد فضلوا بيت النابغة على البيت الاول لأن الشطر الثانى منه كثير الألفاظ قليل المعنى غريب اللفظ . وقد كان أبو تمام فى الموضع الذى لا يجارى فى فخم ابتداءاته لما لها من الروعة والجلال كقوله يهنئ المعتصم بفتح عَمُّورِيَّة مع أن المنجمين كانوا قد زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ   فِى حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فِى   مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ

وهذا من جيد براعة الاستهلال وهى ما يناسب فيها المطلع المقصود ، وربما خان الحظ بعض الشعراء المفلقين وأوقعهم نحس الطالع فى مهواة سحيقة لا قرار لها أما من غفلة أو غلظة فى الطبع أو استغراق فى الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب ، واعتبر ذلك بما أنشده ذو الرمة حين دخل على عبد الملك بن مروان

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ   كَأَنَّهُ مِنْ كُلًى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ(١)

وكان بعينه رَمَش (٢) فهى تدمع أبدا فظن أنه عرّض به وأمر بإخراجه ، وبما أنشده إسحاق الموصلى

يَا دَارُ غَيَّرَكِ الْبِلَى وَمَحَاكِ   يَا لَيْتَ شِعْرِى مَا الَّذِى أَبْلاكِ

لما بنى المعتصم قصره بميدان بغداد وجمع عظماء دولته فى يوم حفل

---

(١) الكلى جمع كلية بضم الكاف والمفرية المخروزة والسرب الجارى
(٢) الرمش بفتح الراء والميم حمرة فى الجفن

فتشاءم منه وأمر بهدم القصر . فعلى الفطن الحاذق أن ينظر في أحوال المخاطبين ويختار للأوقات ما يشاكلها فيقصد ما يحبون ويتجنب ما يكرهون سماعه

« ٧٥ » التخلص — الخروج — وهو أن يخرج المتكلم من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل وحسن تخلص بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة الالتئام والانسجام فيحرك من نشاط السامعين ويبعث على إصغائهم إليه . وأحسنه ما أتى الناظم في بيت واحد كقول مسلم بن الوليد يمدح البرامكة

أُجِدَّكِ(١) ماتدرِينَ أَنْ رُبَّ لَيْلَةٍ　　كأَنَّ دُجاها مِنْ قُرُونِكِ يُنْشَرُ
سَرَيْتُ بها حتَّى تجلَّتْ بِغُرَّةٍ　　كَغُرَّةِ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

ويليه ما جاء في بيتين كقول المتنبي يمدح المغيث بن علي العجلي

مَرَّتْ بنا بَيْنَ تِرْبَيْها فقُلْتُ لها　　مِنْ أَيْنَ جانَسَ هذا الشادِنُ العَرَبا
فاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قالَتْ كالمُغِيثِ يُرَى
لَيْثَ الشَّرَى وهْوَ مِنْ عِجْلٍ إذا انْتَسَبا(٢)

وأكثر الناس ولوعا بهذا النوع أبو الطيب . ولأجله يسقط سقوطا قبيحا كقوله

هافانْظُرِي أَوْ فَظُنِّي بِي تَرَيْ حُرَقًا　　مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْها فقَدْ وَأَلا

« ١ » بكسر الجيم وفتحها لا يتكلم به الا مضافا والمعنى أجد منك هذا فنصبه على طرح الباء فاذا سبق بالواو فقيل وجدك فهو مفتوح الجيم لا غير

« ٢ » الترب واللدة المساوي في السن والشادن من الظباء ما شدن قرنه وقوي واستضحكت ضحكت والشرى موضع

علّ الأميرَ يرى ذُلّي فيشفعَ لي ... إلى التي تركتني في الهوى مثلا «٢»

فقد تمنى أن يكون له الأمير قوادا

والمتأخرون كلهم على الجملة قلما يفوتهم سلوك هذه الطريق ، أما العرب فما كانت تذهب هذا المذهب في الخروج من المديح بل يقولون عند فراغهم من نعت الابل وذكر القفار وما هم بسبيله، دع ذا ، وعدّ عن ذا ثم يأخذون فيما يريدون ويسمى هذا اقتضابا كقوله

فدعْ ذا وسلّ الهمّ عنكَ بجسْرَةٍ ... ذمولٍ إذا صام النهارُ وهجّرا«٢»

أو يأتون بأن المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه . وكثيرا ما كان البحتري يسلك هذه الطريقة كقوله

لولا الرجاء لمُتُّ من ألمِ النوى ... لكنّ قلبي بالرجاء موكّلُ

إنّ الرعيةَ لم تزلْ في سيرةٍ ... عُمَريّةٍ مذْ ساسَها المُتوكِّلُ

ومن الاقتضاب ما هو شبيه بالتخلص كما يقول القائل بعد حمد الله أما بعد كذا وكقوله تعالى هذا وإنّ للطاغين لشرّ مآبٍ أي هذا كما ذكر وقول الناثر هذا باب هذا فصل

«٨» الانتهاء — الاختتام — وهو أن يختم المتكلم كلامه بأحسن

«١» الحرق جمع حرقة ما يجده الانسان من لذعة حب أو حزن ووأل نجا

«٢» الجسرة الطويلة الضخمة والذمول الناقة التي تسير الذميل وصام النهار قام قائم الظهيرة واعتدل

الخواتم أذ هي آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها فلا جرم أن كانت محكمة لا سبيل للزيادة عليها ولا لأن يأتي بعدها بأحسن منها في رشاقتها وحلاوتها وقوتها وجزالتها مع تضمنها معنى تاما يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية. وقد أجاد فيه المتأخرون كأبي نواس وأبي تمام والبحتري لا سيما المتنبي فانه أتى فيه بالعجب العجاب ، ومن ذلك قول أبي نواس في المأمون

فَبَقِيتَ لِلْعِلْمِ الذي تَهْدِي لَهُ　　وتقاعَسَتْ عن يَوْمِكَ الأَيَّامُ

فانظر كيف تضمنت هذه الخاتمة الدعاء بالبقاء مع غاية المدح والأعظام لحاله ، وقول ابن حجة في مختتم بديعيته

حُسْنُ ابْتِدائِي بِهِ أَرْجُو التَّخَلُّصَ مِنْ　　نارِ الجحيمِ وهذا حُسْنُ مُخْتَتَمِي

يقول مؤلفه عفا الله عنه فرغت من تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه
بعد وضعه وترتيبه لتسع خلون من شوال سنة أربع وثلاثين
وثلثمائة وألف هجرية بمدينة الخرطوم حاضرة
الديار السودانية والحمد لله
أولا وآخرا

م

فهرس الكتاب

صفحة	
٣	مقدمة المؤلف
٨	نبذة فى تاريخ علوم البيان أو علوم البلاغة الخ
١٧	مقدمة فى حقيقة الفصاحة والبلاغة الخ
١٩	فصاحة المفرد تتحقق بسلامته من عيوب خمسة
٢٧	تدريب على ذلك
٣٠	فصاحة الكلام تتم بمروه من ستة أشياء
٤٢	تمرين على ما تقدم
٤٦	فصاحة المتكلم
٤٧	بلاغة الكلام
٥٠	بلاغة المتكلم
٥٣	متمات
٥٤	الفن الأول علم المعانى

صفحة	
٥٥	موضوعه — واضعه — فائدته
٥٦	الباب الأول فى الخبر وفيه أربعة مباحث وتطبيقات عليها
٧٠	الباب الثانى فى الانشاء وفيه ستة مباحث وتطبيقات عليها
٨٨	الباب الثالث فى الذكر
٩٠	الباب الرابع فى الحذف وفيه أربعة مباحث وتطبيق
١٠١	الباب الخامس فى التقديم وفيه أربعة مباحث وتمرين
١١٣	الباب السادس فى التنكير وتطبيق عليه
١١٧	الباب السابع فى التعريف وفيه ثمانية مباحث وتمرين
١٣٣	الباب الثامن فى التقييد الخ
١٤٤	الباب التاسع فى القصر وفيه

صفحة

خمسة مباحث وتطبيق

١٥٦ الباب العاشر فى الوصل والفصل وفيه ستة مباحث وتتمة فى الجملة الحالية وتطبيق على ذلك

١٧٦ الباب الحادى عشر فى الأيجاز والأطناب والمساواة الخ

٢٠٢ الباب الثانى عشر فى الخروج عن مقتضى الظاهر

٢٠٩ الفن الثانى علم البيان

٢١٣ الباب الأول فى التشبيه وفيه سبعة مباحث وتذييل وتطبيق

٢٥٠ الباب الثانى فى الحقيقة والمجاز بنوعيه وفيه تسعة عشر مبحثا

٢٩٩ الباب الثالث فى الكناية الخ

٣٠٨ خاتمة

٣٠٩ الفن الثالث علم البديع

٣١٠ تقسيم المحسنات ألى معنوية ولفظية ـ متى تزيد الكلام الخ

صفحة

٣١١ المحسنات المعنوية ــ التورية

٣١٤ الاستخدام

٣١٥ اللف والنشر

٣١٦ الجمع

٣١٧ التفريق ـ الجمع مع التفريق

٣١٨ التقسيم

٣١٩ الجمع مع التقسيم

٣٢٠ الجمع مع التفريق والتقسيم

٣٢١ المطابقة أو الطباق أو التكافؤ

٣٢٢ المقابلة

٣٢٣ التدبيج

٣٢٤ أيهام التضاد ــ مراعاة النظير

٣٢٦ تشابه الأطراف ــ التفويف

٣٢٧ الأرصاد أو التسهيم

٣٢٨ المشاكلة ــ الاستطراد

٣٢٩ المزاوجة ــ العكس

٣٣٠ التجريد

٣٣٢ المبالغة

صفحه

٣٣٦ المذهب الكلامى — حسن التعليل

٣٣٨ التفريع

٣٣٩ تأكيد المدح بما يشبه الذم

٣٤١ تأكيدالذم بما يشبه المدح ـ الأدماج

٣٤٢ التوجيه أو الأبهام

٣٤٣ التهكم

٣٤٤ الهزل الذى يراد به الجد — القول بالموجب

٣٤٥ الاطراد

صفحة

٣٤٦ الترجيع فى المحاورة أو المراجعة

٣٤٧ التطريز — تطبيق

٣٥٠ المحسنات اللفظية — التجنيس — أقسامه الخ

٣٥٧ رد العجز على الصدر

٣٥٨ التسميط

٣٥٩ الخيف ـ لزوم مالا يلزم

٣٦٠ التشريع

٣٦١ القلب — السجع

٣٦٧ تمرين ـ تذييل فى السرقات الشعرية وما يرتبط بها

يغير بيت المتنبىّ صفحة ٢٥ سطر ٣ ببيتى أبى تمام

وَرَاعِنى اللُّهَا والوُدّ حتّى كأنَّما أفادَ الغِنى مِنْ نائِلى وفوائِدِى

فأصبحَ يلقانى الزَّمانُ مِنَ أجلِهِ بِإعْظامِ مولودٍ ورأفةِ والِدِ

١٣٢٨٨

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	٨	هرونَ	هرونُ
٢١	٦	لاحتياج	لاحتياجه
٢٧	٦	إذا	أذا
٣٤	١٢	فما	فما
٣٧	٥	التعمية	المسكنة
٤٠	١٣	اللهِ	اللهُ
٤١	٥	بهمّته	بهمّتِه
٦٦	١٢	السفينةِ	السفينةَ
٦٨	٨	يفاعِ	يفاعٍ
٧١	١٢	أقيمو	أقيموا
٧٣	٤	ئالوا	وقالوا
٨٩	١٧	لمحمدا	لمحمد
١٠٠	٩	العدار	العذار
١٠٤	٩	الجفلى	الجَفلى
١٠٦	٥	يا كُلُ	يا كُلُ
١١٥	٥	عند	عن
١٢٣	٨	عاهدو	عاهدوا
١٤٨	١٦	بعضه	بعض
١٥٠	١٨	ين	من
١٥٤	١٣	ما ألا	ماوألا
١٥٦	١٢	فى كل	كل فى
٢٠٠	١٤	تشتهى	تشتهيه
٢٢٧	١٨	المنشئات	المنشآت
٢٣١	٥	كأن	كان
٢٣١	١٠	يقز	ينزو
٢٦٧	١٣	على المراد	على أن المراد
٢٧٢	٩	به	بها
٢٧٥	١٤	وهى	وهو
٢٧٨	١٢	اللام	للام
٣٠٩	٢	أيهن	أهن
٣٠٧	٢	ييس	ييس
٣٣٤	٣	لأقرا	لأقرا

مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض